

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد خضر - بسكرة -

شعبة التاريخ

قسم العلوم الإنسانية

رقم التسجيل: 05/PG/D/LMD/HIS/21

الرقم التسلسلي:

العمارة في المغرب الإسلامي في العهدين المرابطي والموحدي

- دراسة مقارنة -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لـ د في العلوم الإنسانية - تاريخ -

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

إشراف الدكتورة:

من إعداد الطالب:

فتيبة شلوق

سميح موهوبى

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	جامعة	الرتبة العلمية	الصفة
مغنية غردان	محمد خضر بسكرة	أستاذ تعليم العالي	رئيسا
فتيبة شلوق	محمد خضر بسكرة	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
مسعود كربوع	محمد خضر بسكرة	أستاذ تعليم العالي	عضو مناقشا
سالم كربوقة	محمد خضر بسكرة	أستاذ محاضر أ	عضو مناقشا
صلاح الدين هدوش	الحادي عشر باتنة 1	أستاذ تعليم العالي	عضو مناقشا
كريم الطيب	الحادي عشر باتنة 1	أستاذ محاضر أ	عضو مناقشا

السنة الجامعية: (1445-1446هـ / 2024-2025م)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد خضر - بسكرة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
الرقم التسلسلي:
شعبـة التـارـيخ
رـقم التـسـجيـل: 05/PG/D/LMD/HIS/21

العمارة في المغرب الإسلامي في العهدين المرابطي والمورقـي دراسة مقارنة -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لـ د في العلوم الإنسانية - تاريخ -
تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي
إشراف الدكتورة: فتيحة شلوق
من إعداد الطالب: سميح موهوبي

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	جامعة	الرتبة العلمية	الصفة
مفتبـة غـردـاـين	محمد خـضر بـسـكـرة	أسـتـاذ تـعـلـيم العـالـي	رئيسـا
فتـحة شـلـوق	محمد خـضر بـسـكـرة	أسـتـاذ مـحـاضـر أـ	مـشـرـفـاـ وـمـقـرـراـ
مسـعـود كـربـوـع	محمد خـضر بـسـكـرة	أسـتـاذ تـعـلـيم العـالـي	عـضـواـ مـنـاقـشاـ
سـالم كـربـوـعـة	محمد خـضر بـسـكـرة	أسـتـاذ مـحـاضـر أـ	عـضـواـ مـنـاقـشاـ
صلـاحـ الدـيـن هـدوـش	الـحـاج لـخـضر بـاتـنة	أسـتـاذ تـعـلـيم العـالـي	عـضـواـ مـنـاقـشاـ
كـريـمـ الطـيـب	الـحـاج لـخـضر بـاتـنة	أسـتـاذ مـحـاضـر أـ	عـضـواـ مـنـاقـشاـ

السنة الجامعية: (1445-1446 هـ / 2024-2025 م)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ }

سورة النحل الآية 53

الإهداء

الإهداء

إلى أمي وأبي

إلى إخوتي وأخواتي وأبنائهم

إلى الزوجة الكريمة وابنتي آلاء ورحيل

إلى جميع الأقارب والأصدقاء

إلى من لقّنني حرفا وأعطاني درسا

شكراً وعرفان

شكراً وعرفان

الحمد لله رب العالمين نعمته و نستعينه في فعله تتم الشّالعات
و تتحقق الأمانياته والسلام على المبعوث بالخير والبركاته نبينا
محمد عليه الصلاة وأذكى السلام، أَمَّا بعْدُ فَإِنِّي أَتُوجَّهُ بِالشُّكْرِ لِللهِ
تعالى علی توفيقه، اللهم لك الحمد كما يليق بك.

إنّه لمن دواعي العرفان أن أتقّدّم بالشّكر والتقدير إلى
الدكتورة "شلوق فتيحة" لإشرافها المتواصل والتفّيق على هذه
الأطروحة عرفاًنا بجميلها، وما تعلّمته منها، كما يطيب لي أن أوجه
شكري وأمتناني لكل طاقم هيئة التّدريس، في جامعة محمد
خضر - بسكرة - وأخصّ لجنة المناقشة لمجهوداتهم التّقويمية .

مِفْتَحَةٌ

مقدمة

تُمثل العمارة الإسلامية وجهاً للتعبير الحضاري في المجتمع الإسلامي، فهي ليست مجرد بناء ونشاط هدفه التشييد والزخرفة، بل مثلت انعكاساً مباشراً لتجهات الدول سياسياً وعقائدياً، وتعبرها عن الذوق الفني والثقافي الذي ساد في كل مرحلة، وقد برع المغرب الإسلامي كحاضنة لمجال العمارة وفنونها نتيجة عدة اعتبارات منها موقعه الذي جعله مركزاً للتفاعل بين المشرق وببلاد الأندلس من جهة وببيئته المحلية الفريدة والمتنوعة من جهة أخرى.

وقد تجسد ذلك واضحاً وجلياً في عهد دولتين قويتين ظهرتا بالغرب الإسلامي هما الدولة المرابطية (447هـ-1056م) ثم الدولة التي تلتها وهي دولة الموحدين (524هـ-668هـ/1130م-1269م) فقد كان لكل من الدولتين رؤية سياسية ودينية اتضحت في الجانب العمراني الذي خلفتا، فالمرابطون الذين قدّموا من الجنوب سعوا إلى ترسيخ مذهبهم المالكي فأنشؤوا المساجد الجامعة والأسوار والمدن التي تعكس تأثيرهم بيئتهم من جهة وحرصهم على العمران الوظيفي من جهة أخرى، بينما الموحدون الذين ظهرت دولتهم من حركة دينية إصلاحية فقد أرادوا من خلال عماراتهم الخروج عن المألوف عن طريق التجديد ورفض تقليد سابقيهم.

وفي هذا السياق فالعمارة تعكس التطورات السياسية والدينية والثقافية حيث خلف كل من المرابطين والموحدين إرثاً وطرازاً معمارياً من خلال بناء المنشآت الدينية كالمساجد والمدارس والمرافق العامة التي لا تزال آثارها قائمة إلى يومنا هذا، وجاءت هذه الدراسة المعنوانة بـ "العمارة في المغرب الإسلامي في العهدين المرابطي والموحدي - دراسة مقارنة" - باعتبارها دراسة لتسليط الضوء على منجزات الدولتين الحضاريتين، مع التركيز على الجانب العمراني، وتوضيح الفرق بين العمارات المرابطية والموحدية كونها شاهداً وبرهاناً على مدى قوة المرابطين والموحدين وما وصلتا إليه من إنجازات عمرانية التي هي مرآة عاكسة للمستوى الحضاري للدولتين.

1. أهمية الموضوع:

تكتسي دراسة العمارة في عهد المرابطين والموحدين أهميتها كونها تقدم صور واضحة عن ملامح الثقافة العمرانية في بلاد المغرب الإسلامي وفهم مدى تأثر العمارة بالتحولات السياسية والدينية في فترة المرابطين والموحدين، إضافة إلى إبراز الفروقات بين عمارة الدولتين من حيث إن عمارة المرابطين كانت أكثر بساطة وتقشفاً في حين توجه الموحدون نحو عمارة متحضرة ذات ع神性.

كما أن المقارنة بين العمارتين المرابطية والموحدية تسهم في فهم أعمق لتطور العمارة في بلاد المغرب الإسلامي.

2. دواعي اختيار الموضوع:

لقد جاء اختيار موضوع العمارة في المغرب الإسلامي خلال العهدين المرابطي والمُوحدي - دراسة مقارنة - عنوانا للأطروحة نتيجة عدة أسباب نذكر منها:

- توجيه "اللجنة المكلفة بتقييم الدكتوراه" للموضوع كون العمران له أهمية في دراسة أسس البناء الحضاري لمجتمع الغرب الإسلامي وتاريخه في جميع المناحي السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.
- سد النقص الحاصل في الجانب العمراني كون معظم الدراسات تناولت الجانب السياسي والإجتماعي والثقافي للدولتين.
- من أسباب البحث صمود العمارة الدينية المرابطية وتحديدا المساجد إلى يومنا هذا في بلادنا الجزائر واندثارها في بقية المناطق.
- تسليط الضوء على التراث المعماري لدولتي المرابطين والموحدين وتحليل عناصر التشابه والاختلاف بين العمارتين المرابطية والموحدية وذلك يعكس مدى التقدّم الحضاري الذي وصلت إليه دولتي المرابطين والموحدين.
- دراسة تأثير العمارة في الثقافة والحضارة الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي.

3. إشكالية البحث: يُمثل موضوع العمارة في المغرب الإسلامي في العهد المرابطي والمُوحدي - دراسة مقارنة - مجالا خصبا للبحث لما يحمله من أبعاد حضارية، إذ أسهمت العمارة في حفظ

الهوية التاريخية وفهم التطور الحضاري لبلاد المغرب الإسلامي، غير أن تناول الموضوع يثير العديد من التساؤلات يرتكز هذا البحث على الإجابة عليها ويتمثل الإشكال الرئيسي في :

عقد مقارنة بين خصائص ومميزات العمارتين المرابطية والموحدية والوقوف على أوجه التشابه والاختلاف في نمط العمارة الدينية، والمدنية والحربية في الدولتين.

وإنطلاقاً من هذه الإشكالية يمكن طرح عدة تساؤلات منها:

كيف أثر المعتقد والمذهب في عملية بناء المنشآت المعمارية عند المرابطين والموحدين؟

هل يمكن اعتبار العمران كوسيلة لإظهار السلطة السياسية وتثبيتها؟

ما الخصائص المعمارية التي ميزت عمارة كل من المرابطين والموحدين؟

ما أوجه التشابه والاختلاف بين المنشآت الدينية المرابطية والموحدية في المغرب الإسلامي؟

ما هي أهم المنشآت المدنية التي أقامها المرابطون والموحدون، وهل يمكن القول إن هناك تصوراً خاصاً للعمارة المدنية المرابطية والموحدية أم أن عمارة الموحدين المدنية تكرار لما كان في العهد المرابطي؟

كيف تطورت المنشآت العسكرية المرابطية والموحدية في بلاد المغرب الإسلامي، وهل أدت هذه المنشآت دورها الدفاعي في الحفاظ على الدولتين، بمعنى آخر هل اعتمد المرابطون والموحدون على استراتيجية لتعزيز دفاعاتهم وتطوير مجالاتهم الدفاعية وهل كانت هذه الاستراتيجية متشابهة في الفترتين كليهما، أم أن هناك إضافات وابتكارات عمرانية جديدة؟.

4. خطّة البحث

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها إعتمدنا خطة بحث متكونة مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وعدد من الملحق الموضحة للمنـٰ مرفوقة بقائمة المصادر والمراجع ومجموعة من الفهارس كال التالي:

- ✓ **الفصل الأول** معنون بـ: "مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح إلى بداية المراطين" تضمن مصطلحات ومفاهيم العمارة، خصوصياتها ونشأتها كما أشرنا للإرث العثماني في بلاد المغرب إلى غاية القرن الخامس الهجري وأهم عناصر العمارة الإسلامية وطرزها.
- ✓ **واختص الفصل الثاني** بـ العمارة الدينية في المغرب الإسلامي عهدي المراطين والموحدين ارتأينا تقديم هذا الفصل على العمارة المدنية نظراً للأهمية التاريخية للعمارة الدينية وصمود بعض منها المراطية في بلاد المغرب الأوسط مثل المساجد الثلاثة مما يجعلها مرجعاً أساسياً لدراسة العمارة وهي تعكس التخطيط العثماني كون المدن كانت تؤسس حول المسجد فأشرنا إلى بناء المساجد وترميمها حيث تناولنا بالدراسة تاريخ بناها وتوسعتها بالإضافة إلى المؤسسات كالمدارس والربط والكتاتيب، وخلصنا إلى عقد مقارنة وقفتها على أوجه التشابه والاختلاف بين العمارة الدينية المراطية والموحدية.
- ✓ **الفصل الثالث** الموسوم بـ : العمارة المدنية في المغرب الإسلامي في عهد المراطين والموحدين فقد خصصناه لأهم العوامل المدنية في الفترة المدروسة، وقد اخترنا أهم المدن والقصور والدور العامة والرئيسية والأسواق والفنادق والقنطر والأبواب، وتم في الأخير عقد مقارنة بين المنشآت المراطية والموحدية، وقد واجهت صعوبة كبيرة في رصد المرافق العامة وبالأخص في العهد المراطي لإحجام المصادر عن ذكرها.
- ✓ **الفصل الرابع** بعنوان: العمارة الحربية في المغرب الإسلامي في عهدي المراطين والموحدين أوردنا فيه الحديث عن العوامل الحربية المتمثلة في القلاع والحسون والأسوار والأبراج في كل من المغرب الأقصى وال الأوسط مع ذكر بعض المبتكرات المراطية والموحدية والتأثيرات الأندلسية التي شملت تقريباً جميع الفصول والمقارنة بين العمارتين.
- وختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت مجموع النتائج المتوصل إليها من خلال محاولتنا الإجابة على الإشكالية الرئيسية التي طرحناها في المقدمة وعلى جميع التساؤلات الفرعية، وأرفقنا البحث بملحق توضيحي تمثلت خاصة في مخططات لبعض المنشآت المعمارية وصور فوتوغرافية لبعض المعالم التي ما زالت قائمة وقائمة المصادر والمراجع.

5. الدراسات السابقة:

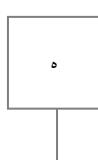
إنّه تحصيل حاصل أن يكون هناك تراكم علمي ومعرفي في ميدان العمارة والعمران في مضمار العلوم الإنسانية والاجتماعية وخاصة تخصص التاريخ والآثار، ولعرض تلك الدراسات من زاوية المقاريب والمناهج والإشكاليات التي اعتمدت لتناول الموضوع حيث نشير إلى أنّنا نتّبع طريقة ملائمة في ذلك والمتمثلة في عرض تلك الأبحاث حسب معيار الموضوع والمقاريب بدءاً بالدراسات العربية، ثمّ عرض الدراسات الأجنبية المتخصصة في الموضوع. وعلينا أن نشير إلى أنّ السبب وراء ذلك هو أنّ هذه الطريقة تتيح لنا فرصة لعقد مقارنات بين جميع تلك الدراسات مما يفتح أمامنا الباب على مصراعيه للاستفادة من التراكمات المعرفية في الموضوع وبالتالي تجنب تكرار نفس المواضيع.

بعد رصد الدراسات حول العمارة في الكتابات التاريخية الأجنبية، رأينا أن ننتقل إلى تلك الدراسات المغاربية لكي نستوفي الدراسة حقّها وقد اعتمدنا على مقاربة عرض الدراسات من العام إلى الخاص وهذا هو الخطّ الناظم لتحرير هذه الفقرة.

من بين أولئك الذين أدلوا بدلولهم في الموضوع ذكر : المؤرّخ محمد رابطة الدين، كتاب مراكش زمن حكم الموحدين جوانب من تاريخ المجال والإنسان، الجزء الأول والثاني، حيث يشير الباحث في تقديمه إلى طبيعة الموضوع "وهي منوغرافية حضارية في تاريخ الغرب الإسلامي" وهي مرتبطة بجوانب مجال الإنسان زمن الموحدين.

لماذا درس الموضوع، لأنّه عرفت الفترة المدروسة تحولات مجالية ذات علاقة بتأسيس مدينة مراكش وتطورها، واستفدت منه كثيراً في عمران مدينة مراكش موقعها الجغرافي، مميزاته وكيف أثر الموقع في تأسيس المدينة ولماذا حافظ الموحدون عليها كما أنه ذكر بعض المؤسسات التي كانت فيها كالمدارس والفنادق وغيرها.

► خالد عزب، كتاب **فقه العمارة الإسلامية**، من الدراسات المهمة التي اهتمت بفقه العمارة، أو ما يعرف بنوازل البناء، وحسب ما ورد في مقدمة الباحث فإنّ القصد من هذه الدراسة هو توضيح عما وراء العمارة بطرح أسئلة حول المنشآة والخروج عن منهج الدراسات الآثارية التقليدية التي تهتم بالتوصيف دون التحليل معتمداً على أبرز المصادر التي اهتمت بفقه العمارة كتاب "الإعلان بأحكام البناء لابن الرّامي" و "المعيار المغربي والجامع المغربي عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي". وحاول الوقوف على أهم الاختلافات بين هذه



المصادر طبقاً لظروف المكان والزمان لاختلاف رؤية الفقهاء لقضايا عصرهم، واختلاف دلالات المصطلح بين مكان وآخر، وكانت استفادتي منه في مجال فقه العمران وشروط المدائن والتنظير لمكونات المدينة وإبراز الخصوصية العمانيّة للمدينة الإسلاميّة.

▶ بن حمو محمد، كتاب "العمران والعمارة من خلال نوازل الونشريسي" وهي في الأصل رسالة لنيل درجة الماجستير تقدم بها لجامعة الجزائر بمعهد الآثار سنة 2005، أشار في تقديمها أنه تناول نظام عمران المدن وضبط تخطيطه وردع ما يحدث فيه من مضرّة للنظام، من خلال مقاربة جديدة واتجاه جديد يعرف بفقه العمران وهو دراسة العمران من خلال كتب النوازل.

التطرق إلى إشكالية تطبيق الفكر العماني الإسلامي على المدن، وهل كان الدين فعلاً هو الموجه في تنظيم المدن، معتمداً على المنهج التاريخي بترتيب النوازل حسب التاريخ والأهمية ومقارنة نوازل المذاهب (المذهب المالكي، الحنفي، الشافعي، الحنبلبي) وكتاب واحد في تخصص العمران في المذهب الإباضي واستفدت منه كثيراً في مجال مكونات الدور والمشاكل الأسرية الناتجة عنها وكيف تعامل الفقهاء معها.

كذلك اهتمت بعض الدراسات بعمارة المدن والحسون في العصور الإسلامية الوسيطية كما هو الحال مع دراسة:

▶ كتاب المؤرخ الإسباني باسليو بابون مالدونادو والمعنونة بـ "العمارة في الأندلس عمارة المدن والحسون" التي خصّها بالمدن الأندلسية، وقصباتها وأهم قلاعها وحسونها كما تطرق إلى الأسوار والأبراج والبوابات والقباب والأقبية ومواد البناء المستعملة وأهم التقنيات وأهم التشييد.

ويتبّع من مقدمة الدراسة أنه عمل لدراسة نقدية وإحصائية للعمارة الأندلسية ورغم أهمية هذه الدراسة في هذا المجال والتي يلمسها كل من يتصفّح الكتاب إلا أنها ركزت على الشقّ الأندلسي فقط.

▶ مبارك بوطارن كتاب "العماير الدينية في المغرب الأوسط" حيث تناول الكتاب أهم العماير الدينية في المغرب الأوسط في الفترة ما بين القرن السادس والتّاسع الهجري، وكان مرجعاً أساسياً عند ذكر المساجد المرابطية في المغرب الأوسط كما استفدت منه في فهم تطور العمارة

الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي حيث تناول الباحث العمارة الدينية خلال فترات متالية وكانت فترة المغاربة والموحدين ضمن الدراسة التي تناولها الكتاب.

» ومن الدراسات الجديدة ذات الصلة بالموضوع أطروحة دكتوراه حول التراث المعماري لتلميذان في الفترتين الموحدية والزيانية من خلال أعمال الأخوين مارسي للباحثة سيرين تومي تحت إشراف إبراهيم جدلة نوقشت سنة 2025، بجامعة منوبة بدولة تونس باللغة الأجنبية - الفرنسية - لم نتمكن من الحصول عليها.

6. منهج البحث المتبعة: حيث تم اتباع كل من:

(1) **المنهج التاريخي:** القائم على تحليل التطورات المعمارية وسرد الأحداث التي مررت بها العمارة الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي والتي هي جزء لا يتجزأ من تاريخه الإسلامي في الفترة المدرسة وهي فترة المغاربة والموحدين، البداية بترتيب العمارة الدينية ثم المدنية وبعدها العمارة الحربية المرابطية ثم الموحدية وهذه الأخيرة كان تشبيدها استجابة للتحولات السياسية والأحداث العسكرية حسب الفترة التاريخية.

(2) **المنهج الوصفي:** وصف كل من العمارة المرابطية والموحدية من خلال شرح العوامل الدينية والمدنية والعسكرية، المتمثلة بالخصوص في المساجد والمدن وتحصيناتها وأسوار وهل تميزت بعمارة فريدة عن سابقتها من خلال تحليل إضافات الموحدين وابتكاراتهم الزخرفية وذلك بتحليل الفرضيات بالتفق أو الإثبات باستخدام المنهج الاستقرائي التحليلي.

(3) **المنهج المقارن:** الذي يتّصف بالانطلاق من الجزء إلى الكل أو من الخاص إلى العام وقد فرضه موضوع الدراسة انطلاقاً من وصف مختلف العوامل في الفترتين ثم إبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

7. المصادر والمراجع المعتمدة:

❖ المصادر:

المصادر التاريخية متعددة ومتّوّعة وقد حرصنا على الرجوع إلى أهمّها ومنها:

❖ كتاب البكري (ت 487 هـ 1049 م) "المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب"، استخدمت الجزء الثاني المتعلق بالمغرب للحديث عن مدن المغرب الإسلامي كالقيروان وтаهرت وفاس

وغيرها، كما أشار إلى دولة المرابطين وبداية ظهور دولتهم خاصةً ماورد فيه من ذكر الرابط وأعمال عبد الله بن ياسين، الذي وجّه الحركة الدينية.

❖ كما استفدت من كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لمؤلفه ابن عذاري المراكشي الذي كان حيًا سنة (1312هـ/712م) وخاصةً ماتعلق بدولتي المرابطين والموحدين، حيث أورد معلومات مهمة عن المدينة العاصمة مراكش وعمرانها خلال الفترة المدروسة.

❖ من مصادر الرحلات والجغرافيا التي عدنا إليها كتاب "نזהه المشتاق في اختراق الآفاق" لصاحبه محمد الشريفي الإدريسي العلوي (ت 562هـ/1166م) وكان معاصرًا للدولة الموحدية فقد أورد في نزهته الكثير من الأخبار المتعلقة بالمدن وأحوالها العمرانية كالقنيطرة وفاس وتلمسان كما تضمنَت نزهته وصفاً دقيقاً للمعلمات الدينية وبالأخص المساجد، وممّا زاد من قيمته أنّه كان معاصرًا للفترة المدروسة.

❖ كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلفه المجهول الذي كتبه حوالي سنة (547هـ/1191م) وعمل في دواوين الموحدين أمّنَا بكثير من المعلومات المتعلقة بإصلاحات الموحدين في الجانب العمراني وخاصةً ما تعلق ببناء المساجد والمدن والمرافق العامة كالقنطرات والفنادق.

❖ كما أفادت من كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لصاحبته ابن أبي زرع (ت 726هـ/1328م) الذي يتناول تاريخ الدول الخمس التي تعاقبت على حكم بلاد المغرب في العصر الإسلامي الوسيط، حيث ورد فيه قيام الدولة المرابطية إلى جانب الأعمال العمرانية ليوسف بن تاشفين، والتاريخ للعمائر المرابطية كالتحصينات الدفاعية والأسوار.

❖ أمّا عبد الواحد المراكشي (ت 699هـ/1070م) في كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" فيعتبر ذا أهمية ولا يمكن الاستغناء عنه في سرد تفاصيل الدولتين خاصةً الدولة الموحدية التي خصّص معظم كتابه لها، ويلاحظ له دقّته في تسجيل التّواريخ، لكنه أحياناً يبالغ في مدح أعمال سلاطين الموحدين مما يجعلنا ننحوّى الحذر عند الاعتماد عليه، خاصةً وأنّه كان مقرّباً منهم، فقد كان يشهد بيعة السلطان ويشارك في مجالسه مبدئياً رأيه في سياسة الدولة لذلك كان حكمه قاسياً على دولة المرابطين.

❖ أمّا كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعم والإبرير ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لمؤلفه ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) فيعد موسوعة علمية استقدنا منها في أغلب فصول الأطروحة بداية بالفصل الأول في التعريف بالعمارة والفصل الثاني متعلق بالمساجد والفصل الثالث بالمدن والتور والفصل الرابع بالقلاع والحسون وكذلك الأسوار والأبراج ومع ذلك يلاحظ أنه لم يخصص للفترة المرابطية إلا حيترا قليلاً وإذا كان ابن خلدون قد توحّي الإيجاز في ذكره للمرابطين فإنّنا نجد عكس ذلك في كتاب "الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى" للسلاوي أبي العباس الناصري (ت 1315هـ/1897م) ورغم بعد الفترة الزمنية لكتابه عن الفترة المدرّوسة، فإنه يحتوي على معلومات قيمة عن الفترتين.

❖ أمّا كتاب "الحل الموسوية في ذكر الأخبار المراكشية" لمؤلف مجهول والذي صنفه سنة (783هـ/1381م)، فهو على صغر حجمه يحتوي على معلومات قيمة تخصّ قيام دولتي المرابطين والموحدين وجهادهم في المغرب والأندلس، مما يجعله مرجعاً مهمّاً للبحث، ولكن نجد بعض التّواريخ في الكتاب غير دقيقة كما أنه لم يقصد به الأخبار عن مدينة مراكش رغم أنّ هذا الكتاب يحمل عنواناً يجعله يبدو بين الكتب المؤلّفة في تاريخ المدن وقوعاتها، إلا أنه تناول تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس بشكل عامٍ ولم يركّز بشكل خاصٍ على تاريخ مدينة مراكش وعن صورها ومساجدها وحماماتها.

❖ كما اعتمدت في بحثي على كتاب "أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين" لصاحبته أبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق (ت 594هـ/1159م) والذي كان من أصحاب المهدى، ومرافقاً له، وما يميّز هذا الكتاب أنّ مؤلّفه كان شاهد عيان للأحداث التي شهدتها دولة الموحدين، كما أفاد الدراسة كثيراً لتناوله لأهمّ الحصون المرابطية بشكل دقيق ومفصل وبناءً على الحصون والأبراج لدى الموحدين.

❖ أمّا ابن الخطيب في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" فقد خصّ صفحات متّفرّجة من المراقبين وبنائهم للأسوار والحسون.

يلاحظ على هذه المصادر بشكل عام أنها متكاملة مع وجود اختلافات في ذكر العوامل حيث ركّز بعضها على المغرب الأقصى والأندلس ، كما اهتم بعضها بالجانب السياسي وذكر عرضاً الجانب العماني، وقد يعود ذلك إلى اختلاف التوجّهات والطّابع الإيديولوجي لكل مؤلّف.

المراجع:

- ❖ إبراهيم حركات في كتابه المعنون بـ "المغرب عبر التاريخ والنظام السياسي والحربي للمرابطين" الجزء الأول والثاني ويعد من أبرز المؤلفات التي اهتمت بتاريخ المغرب الإسلامي وقد زادت أهميته كونه تناول بالتحليل دور المرابطين والموحدين في الجانب العمراني.
- ❖ إسماعيل العربي "المدن المغربية" حيث قدم وصفاً دقيقاً لأهم المدن في المغرب الإسلامي كمدينة فاس ومراكش وتلمسان وتأهرت وغيرها من مدن المغرب الإسلامي معتمداً على أبرز المصادر التاريخية.
- ❖ أمّا بالنسبة للدراسات المعمارية للمعالم الأثرية فقد اعتمدت على دراسات كمال عناني إسماعيل، "الآثار الإسلامية في المغرب" أفت منه في ماتعلق بالمساجد عصرى المرابطين والموحدين.

كما استعنت بكتب أجنبية كانت لها أهمية خاصة في دراسة التاريخ والأثار المعمارية للدولة المرابطية مثل دراسات وأبحاث جورج مارسي في كتابه "المعالم الأثرية بمدينة تلمسان"

❖ ومن المراجع التي استقت منها ليوبولد تورييس بالباس(1888/1960م) في كتابه "الفن المرابطي والموحدي" حيث قدم تفصيلاً مهماً لأهم الملامح الفنية والمعمارية خلال الفترة المدروسة كما قارن الفنون المعمارية خلال العهدين المرابطي والموحدي ومما زاد من قيمة عمله كونه مهندساً معمرياً وعالم آثار إسباني معروف باهتمامه الكبير بالآثار الإسلامية كما له عديد الإسهامات الفعالة في ترميم وصيانة العديد من المعالم الإسلامية بما في ذلك قصر الحمراء ومسجد قرطبة.

❖ كتاب عثمان عثمان إسماعيل "تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى" وهي سلسلة من خمسة أجزاء بداية من عصر عرب المغرب القدماء ودولة الأشرف الأدارسة وعصر أمراء زناتة إلى عصر الأشرف السعديين والعلوبيين وما يهمنا أكثر هو الجزء الثاني الخاص بدولة المرابطين ،والجزء الثالث الخاص بدولة الموحدين، ويتبّع من مقدمة الجزء الأول،أن هذه السلسلة،تهدف إلى حصر وتقدير ماخلفته الحضارة الإسلامية في المغرب الإسلامي في جانب العمارة، وسبب اختياره للموضوع حسب رأيه الكشف عن عبقيات الإسلام وملكات ومواهب المسلمين، للرّد على خصوم الوحدة بين الدين والدنيا ومنكري المزاوجة بين العلم

والعمل في الإسلام، معتمداً في ذلك على منهج الفكر والمنطق والمناقشة والتحليل، والاعتماد على مظاهر العمران الثابتة التي تشرح مختلف الظواهر الاجتماعية والاقتصادية دون الخضوع لضغوط علماء الاستشراق التي بقيت دراسة الآثار المغرب الإسلامي قاصرة عليهم إلى سنوات متاخرة، وقد تناول الكتاب تطور العمارة الإسلامية والفنون العمرانية عبر العصور المختلفة مع التطرق إلى التأثيرات الطبيعية والتحولات السياسية والاجتماعية.

8. صعوبات الدراسة:

انتابت سبيل إعداد هذه الأطروحة صعوبات وعوائق عديدة إلا أنها سرعان ما زالت مع بداية التحرير والتعقّم في الموضوع ونلخص هذه الصعوبات في النقاط التالية:

- ✓ الموضوع يميل إلى الدراسات الأثرية أكثر من التاريخية لذلك وجدت صعوبة مع البداية في فهم الموضوع لكن مع تشجيع أستاذتي المشرفة، وبعد مطالعة معمقة للأدبيات والنصوص التاريخية ظهرت بعض الآفاق.
- ✓ شكل العمل في الإدارة كمستشار للتربية صعوبة كبيرة بين التوفيق بين العمل الإداري والبحث العلمي نظراً لما يتطلبه هذا المنصب من مسؤولية و وقت كبير في المؤسسة التربوية.
- ✓ عدم التمكن من الوصول إلى المخلفات المادية والشواهد التي خلفها المرابطون والموحدون خاصة تلك الموجودة خارج التراب الوطني الجزائري، أما ما تعلق بالآثار الموجودة في بلادنا فوجدنا صعوبة في تحديد مواقعها وبالاخص في مدينة هنين حيث إن مدينة تلمسان الواقعة غرب الجزائر العاصمة ترخر بإرث عمراني عريق لكن الكثير من السكان يجهلون قيمتها التاريخية وأسماء مواقعها ولا يدركون أهميتها الثقافية، وتعد الكتابات على الجدران والأسوار العريقة مظهراً من مظاهر الإهمال مما يفقد هذه الآثار جزءاً من هيبتها وجمالها، فالحافظ عليها واجب جماعي ومن الضروري إسناد مهمة الإشراف عليها إلى المختصين في هذا المجال فهي ليست مجرد مبان بل شواهد حضارية لبلادنا.
- ✓ على الرغم من الجهود المبذولة في دراسة هذه المواضيع المتعلقة بالعمارة، إلا أنها لا تزال تحمل المزيد من الأبحاث خاصة فيما تعلق بفترة المرابطين والموحدين نظراً للرقة الجغرافية الواسعة التي سيطرت عليها الدولتان وبقاء المعالم الأثرية التي يمكن من خلالها كشف المزيد.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المرابطين.

أولاً: تعريف العمارة

ثانياً: العمارة الإسلامية نشأتها وخصائصها.

ثالثاً: عناصر العمارة الإسلامية وطرزها

رابعاً: العمران في الفقه الإسلامي وشروط المدائن

خامساً: الإرث العمراني في المغرب الإسلامي قبل القرن الخامس الهجري

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

تمهيد

تَنْضَح مظاهر الحضارة في العمارة، فهو جزء منها ومرآة عاكسة لأحوال المجتمعات وحالاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "غاية العمارة هي الحضارة"^١، فالعمارة مرآة للحضارة، حيث تُمثل الجانب المادي والمعنوي الذي يُتيح للمجتمع أن يوفر لكلّ عضو فيه الضمانات الاجتماعية ليعيش حياة كريمة.

فالإنسان منذ أن خُلق وهو في سعي للتطور والتّأقلم مع وسطه^٢، كما أنها تكشف عن مدى التطور الذي وصل إليه الإنسان، وهذا لا يكون إلا بنهاية الاضطراب والقلق لأنّه إذا أمن الإنسان واستقرّ تحرّرت نفسه وتطلّع إلى عوامل الإبداع والإنساء^٣، فالإنسان جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يمارس فيه مجموعة معقّدة من العلاقات أساسها الممارسة اليومية في جميع الميادين ويكون العمran إحداها.

وهو من الحقائق الثابتة التي أشار إليها عبد الرحمن ابن خلدون قائلاً: "الجتماع للبشر ضروري"^٤، فالحضارة هي ما توصل إليه مجتمع ما من تقدّم في جميع المجالات بما فيها البناء والتعمير الذي هو انعكاس لمدى تحضّر المجتمع ورقّيه^٥، وبهذا يعدّ علم العمارة بمثابة النافذة المفتوحة على حضارة الشعوب وازدهار الدول أو ضعفها.

وقد شهد المغرب الإسلامي أعمالاً عمرانية وفنية منذ الأزل كان نصّيبها الوافر قبل وصول الإسلام وبعده إلى المنطقة خاصة في عهد الدول الكبرى والذي مثّله دولتي المغاربة والموحدين، وسنستعرض في هذا الفصل موجزاً للعمائر الإسلامية مع الإشارة إلى خصوصياتها

^١- عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر، ج ١، مراجعة، سهيل زكار، ط ١، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٤، ص ٤٦٨.

^٢- مالك بن بنى، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٢.

^٣- ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود وأخرون، بيروت، لبنان، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٣.

^٤- ابن خلدون، ج ١، المصدر السابق، ص ٣٧٧.

^٥- عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصلية، ط ٤، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص ٢٧.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

وموروثها العمري، الذي خلفته الدول التي تعاقبت على حكم بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي (511هـ).

أولاً: تعريف العمارة:

أ-لغة: مأخوذه من الفعل عمر يعمر، عمرا: فالعمارة حفظ البناء الذي يعمر به المكان¹، كما عرّفها صاحب لسان العرب: العمران أو العمارة "ما يعمر به المكان"²، فأصل الكلمة عمر وهي إذا تعني إما أن يسكن أو يقطن في مكان أو أن يصبح مسكونا.

عمر: يعمر، عمّوراً، وعمّراناً وأصلها عمر، ويقال: عمر الرجل أي عاش طويلاً ومنها يُستنتج أن العمارة تدوم طويلاً، المال أحسن القيام عليه، ويقال أيضاً: عمر ماله أي استدام وبقي وزاد فهو عامر ووفير، عمر: يعمر، عمراً، وعمارة الرجل صام وصلى -لربه وعبدة، عمر: يعمر، عمران: العمران اسم علم مذكر يراد به البناء، أيما يعمر به البلد ويحسن حاله بواسطة الفلاحة والصناعة والتجارة، وكثرة الأهالي وتُنْجِحُ الأعمال، والتمدن وفي هذا يقول البحتري:

يُئْرُ بِعِمَرَانَ الدِّيَارِ مُضْلَلٌ وَعِمَرَانَهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا³

أما العمارة بفتح العين فهي تطلق على الحي العظيم المميز بصناعته، مثل: أحياه الحرفيين كحي الصباغين والدّبّاغين والنجارين ومنها يقول جرير:

يَحُسْنُ عِمَارَةَ وَيَكْفُ أُخْرَى لَنَا حَتَّى بِجَوَازِهَا دَلِيلٌ.⁴

¹-أحمد رضا، معجم متن اللغة، ج4، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1379هـ-1960م، ج4، ص 215.

²-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج2، ط1، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993، ص 223.

³-بن هادية علي واخرون، القاموس الجديد للطلاب، ط7، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991، ص 698.

⁴-محروم إسماعيل، العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي من القرن 7 حتى القرن 16هـ/13-1310م حتى 16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، اشراف، أ.د. معروف بال حاج، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2017م ص 13.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

يتضح مما سبق أن العمارة لغة جاءت بمعاني مختلفة ومتعددة كإعمار المكان وحفظ البناء وطول البقاء إذ جاءت هذه الكلمة في المعاجم بضم العين أو فتحها أو كسرها وتصب هذه المعاني في مدلولات لغوية واحدة مفادها الإكثار والبناء وطول العهد والقوة والمتانة.

ب- اصطلاحاً:

التعريف الاصطلاحي للعمارة يقارب التعريف اللغوي فجميع التعريفات متقاربة في المضمون وإن ابتعدت في اللّفظ ومن هذه التعريفات ما يلي:

جزء من أجزاء البناء ومنه اشتقت عمارة، التي تعني إعمار المنزل بالنّاس أي جعله عامراً¹، فالعمارة دلالة على البناء واسم المنازل يختص بها العامر وهي عكس الحَرَاب الذي ليس به إقامة فقد شبه النبي عليه الصّلاة والسلام الذي لا يحمل شيئاً من القرآن بالبيت الخرب والمهجور فعن ابن عباس قال: قال رسول الله "إنّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب"² وبالتالي فالعمارة تعني الحياة فيقال: عمر الأرض بمعنى جعلها عامرة، يقال أيضاً: عمرته فعمر فهو معنور، وأ عمرته الأرض واستعمرته إذا فوّضت إليه العمارة³.

وقوله تعالى في سورة التوبة: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ"⁴ فهي تحتمل معنى حفظ البناء أو من العمارة والتي هي الزيارة وكثرة الاعتياد عليها وإقامة الشعائر فيها كالصلاوة والذكر⁵، والعمارة بكسر العين هي فن تصميم المبني وفن تشكيل البناء والمنشآت⁶، فتكون العمارة طريقة البناء لخدمة

¹- أحلام عابد وبوغواص زبيدة، فن العمارة بين التأصيل والتغريب، تنسيق بشير خلف، الإنسان والعمارة، الوادي، مطبعة سخري، 2013، ص 111.

²- محمد بن عيسى الترمذى، سنن الترمذى، ج 5، تج محمد شاكر، وأخرون، ط 2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلى، مصر، ص 177.

³- أبو المعالي الجويني، نهاية المطلب في دراية المذهب، ج 2، ط 1، تج، ركن الدين، دار المنهاج، 2008، ص 425.

⁴- سورة التوبة، الآية 18.

⁵- الزاغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تج صفوان عدنان الداودى، ط 1، دمشق، دار القلم، 1412هـ، ص 586.

⁶- عفيف البهنسى، معجم العمارة والفن، ط 1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1995، ص 40.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

الوظائف الاجتماعية كالسكن والتعليم وممارسة العبادات اليومية¹، فهي فن إقامة منشآت تخلق فراغات معمارية انتقائية بأشكال متباينة تكون على درجات عالية من الجمال، في حين يُعرف البعض العمارة بأنها: علم وفن وفلسفة اجتماع، فالمكان هو المركز الذي يزاول فيه الإنسان حياته اليومية، وعليه فإن الشعور الإنساني مرتبط بوقع تصاميم المكان، والعمارة بمفهومها الحضاري هي: أكثر النشاطات تجسيداً لواقع التّقافي، إذ هي عبارة عن استلهام ومشاعر فنية تعبر عن الخصوصيات المميزة للعناصر البشرية، فيكون الشكل مشتقاً من عادات وتقاليد ذلك الوضع الحضاري²، وحسب رأي ابن خلدون أن العمران هو ضرورة اجتماعية³، وذلك لأنّ الإنسان منذ القدم بحث عن مكان قار يحميه من الأخطار والأهوال الخارجية، فيكون سبباً وعاملًا لاستقراره، فالغاية من العمران هي تشييد وبناء الحضارة والتّرف وأنّه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الانحدار كالإعمار حاله حالة حياة الإنسان⁴.

في الوقت نفسه يرى ابن خلدون أنّ خاصية التّوحش في البدو تمثل في عدم امتلاكهم لوطن ثابت ينتسبون إليه مع اعتمادهم على حياة التّنقل والتّرحال، وفي هذا يعبر ابن خلدون عن هذا الواقع بقوله: "فهؤلاء المتّوحشون ليس لهم وطن يرثّاؤون منه ولا بلد يجنحون إليه"⁵.

وعليه اعتبر ابن خلدون العرب متّوحشين لكونهم بدوا رحّلا بالدرجة الأولى، لا رغبة لهم في التّشييد واحتياط العمران والمكوث في بلد واحد الذي به يستقيم العمران، ثم لكونهم بميزتهم بعدم الانقياد لحكامهم⁶.

¹ يوسف البرغوثي، العمارة الإسلامية فن وإبداع، ط1، عمان، دار أمجد للنشر والتوزيع، 2016، ص13.

² بلبكاي جمال وبوطى محمد نور الدين، تأثير العمارة على السلوك الاجتماعي، تسيق، بشير خلف، الإنسان والعمارة، ط20 د13، الوادي مطبعة سخري، ص66.

³- ابن خلدون، ج1، المصدر السابق، ص 53.

⁴- ابن خلدون، ج1، المصدر نفسه ، ص 465.

⁵- ابن خلدون، ج1، المصدر نفسه، ص 181.

⁶- المختار هراس، القبيلة والدورة العصبية_قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغاربي، الفكر الاجتماعي الخلدوني المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية، ط2 2008، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص158.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

كما أنّ العمران من العمارة ويقصد به الاجتماع البشري الذي يتمّ به التّساقن والتّعاون على شؤون الحياة، ويقصد بالعمaran البشري الحياة الاجتماعية وما ينتج عنها من مظاهر اجتماعية سياسية واقتصادية وعلمية، وعلم العمران يدرس كلّ ما يحدث في هذه الحياة من ظواهر وبراهين وقرائن لا مدخل للشكّ فيها¹.

وعلى الرّغم من أنّ هذا المصطلح يعبر عن الحضارة والاجتماع البشري بشكل عام، إلا أنّه يُثير الشّكّ بسبب قرب دلائله اللغوية واللفظية من مصطلح العمارة، فالعمaran هو المفتاح الرئيسي لفهم فكر ابن خلدون الاجتماعي التّاريخي، وهو ما أكده من خلال منهجه أنّ الإنسان محبّ للجتماع والتّعاون فإذا كان الاجتماع وبالتالي العمaran ضرورة بشرية فإنّ العمارة والمقصود بها البناء والتّشييد تكون أكثر ضرورة لأنّها أساس هذا العمaran، فأيّ اجتماع أو وعاء ينظم هذا التّرابط والتّواصل البشري لابدّ له من حيز جغرافي تتجسد فيه أنماط العمارة².

أما عن تسمية العمارة الإسلامية فهناك تساؤل مهمّ في هذا الأمر، وهو: ما الذي حملته العمارة الإسلامية من خصائص ولامح محددة حتّى نطلق عليها العمارة الإسلامية؟ وعلى العموم فهي تطلق على المبني والمنشآت المتواجدة في مدن الإسلام أو تلك المناطق التي كانت تابعة إلى حاضرة الإسلام ثمّ فقدت كعدوة الأندلس وصقلية³.

وهناك من سماها بالعمارة العربية وأنّ لها طابعاً خاصّاً⁴، ومردّ هذا التأويل العامل الجغرافي في حين يحدّدها بعض الباحثين بالعامل التّاريخي، أي أنّه منذ ظهور الإسلام إلى غاية سيطرة النّموذج الغربي على جميع مجالات الحياة (من القرن 13م-19م)، في حين يمكننا التّعبير عن

¹ محمد العبدة، البداوة والحضارة، نصوص من مقدمة ابن خلدون، ط١، المنتدى الإسلامي، لندن، 1413هـ - 1993م، ص38.

² إزاد أحمد علي، حول العمارة والتّشييد عند ابن خلدون، الفكر الاجتماعي الخلدوني المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية ط2008، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص184.

³ طرشاوي بلحاج، العمارة الإسلامية أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية، دار التّشرّيف الجامعي الجديد، تلمسان، 2017، ص15.

⁴ غوستاف لوبيون، حضارة العرب، ترجمة، عادل زعبيتر، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، القاهرة، 2012م، ص200.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

مفهوم العمارة الإسلامية من خلال الشكل والخصوصية التي ميزتها عن غيرها من العوامل الأخرى، إذ نستطيع ملاحظة الاختلاف البارز للعمارة الإسلامية فالمدن بالنسبة للإسلام هي الأماكن الوحيدة التي يستطيع فيها المسلم تحقيق كل الفرائض الإسلامية، ولذا جب الإسلام الحياة المدنية وتطورها، فالمراكز الأساسية للحياة العامة في المدن الإسلامية هي الجامع وما تميز به من مآذن ومحاريب ودار الإمارة والتي عرفت شكلًا مميزاً، والسوق ويظهر هذا واضحًا في كافة المدن الجديدة التي بناها المسلمون¹.

ومنهم من يربط العمran بفن البناء بمختلف أنماطه وأشكاله وهندسته، وكلما تم بناؤه يُعد عمراً، ويعتمد البعض على التفسير القرآني أو الإسلامي الداعي إلى القيام بأعباء الاستخلاف الإنساني وفق المنهج الرباني، ويشمل ذلك نشاط الإنسان في جميع المجالات الماديه والفكريه والثقافيه².

أما فن العمارة فهو إبداع في التكوين والرخوفة يعطي للمبنى هوية وأصالحة، ويتحقق هذا الفن في وجهين أحدهما خارجي يتمثل في التركيبة العامة لعمارة المدينة وتركيبتها المتناغمة وهو من يحدد هوية عمران المدينة، فالطراز المعماري يحدد سمة العمran فقد يكون أصيلاً مبتكرًا أو قدِّيماً مقلداً، أما الجانب الداخلي لفن العمارة فيرتبط بالجانب الشخصي والأسري، حيث يسعى لتحقيق السكينة الأسرية، والعمارة الإسلامية حبّيت الجانب الداخلي للعمارة على الجانب الخارجي، فنجد المبني زاخراً داخلياً بالخارف مع وجود الحدائق والأحواض حتى قيل في الأثر جنة الرجل داره³، كما ورد في ذلك عديد الأحاديث والأمثال التي تحبب في بناء الدور وفضلها في راحة الإنسان⁴.

¹ عبد العزيز الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة أوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2019، ص243.

² خالد محمد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة، رقم 58، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، 1997، ص17.

³ يوسف البرغوثي، المرجع السابق، ص13.

⁴ من ذلك ماورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من سعادة المرأة المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنئ كما أخبر النبي أن الشؤم في المرأة والفرس والذار ومن الأمثال شرف الرجل في بناؤه وهمة في داره وجاره ومنها أيضًا إن آثارنا تدل علينا... فانظروا بعدها إلى الآثار، كما يقال دارك قميصك إن شئت ضيق وإن شئت وسِع وكان

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

ويعتبر التفسير التاريخي والجغرافي للعمارة الأكثر قبولاً، وذلك لأنّه مبني على اعتبارات دينية وثقافية وعرقية، ولعلّ هذا الأمر هو الذي دفع الباحثين وخاصة المستشرقين منهم إلى نسب العمارة الإسلامية إلى ميثولوجيا محددة كقولهم على سبيل المثال عن العمارة في مصر بالعمارة القبطية، وفي العراق العمارة الفارسية وقد فرض منهج البحث الأوروبي هذه التسميات، إلا أنّ هذا لا يُعبر عن الحقيقة التاريخية حيث إنّ البصمة الإسلامية ظاهرة في مختلف تفاصيل أصناف العوامل والمباني المعمارية¹.

وقد أثرت الحضارة الإسلامية في مظاهر الحياة العمرانية بتأسيس المسجد الجامع كنواة ومركز لجميع المدن الإسلامية، حيث يعتبر المسجد محور التخطيط والإشعاع وموضع التطور والتوسيع يتماشى مع اتساع المدن وكثرة عمرانها²، وقد تمكّن المسلمون في تكيف العمارة مما سمح بالتطور المستمر للأنماط المعمارية حيث تناوبت عمارة المسلمين مع الزمان والمكان، فقد اختلفت عمارة المسجد النبوي في عهد عثمان عن عصر عمر بن الخطاب، وهذا ينمّ على الاستجابة المعمارية للتغيرات الحضارية، إذ استفاد المسلمون على مر العصور من التخطيط العمراني الموجود في الأقاليم المفتوحة التي طالتها أيدي الفاتحين³، وعلى العموم فالعمارة هي كل ما بُني وشُيد بشكل عام سواء أكانت عمارة مدنية أم دينية أم حربية كبناء المدن أو عمارة المساجد والأسوار والقلاء والحصون.

السابقون إذا سئلوا عن الغنى أجابوا بأنه سعة البيوت ودؤام القوت ومن أسباب المسرور دار قوله، كما قيل أنّ لذة البناء تدور العمر كلّه وقيل للحجاج إنّ في قتل الآخيار تعطيل لبناء الديار، ويقال لتكن الدار أول ما يشتري وأخر ما يباع ، ينظر: محمد الأماسي ، روض الأخيار المنتخب في ربوع الأبرار ، ط 1 ، دار القلم العربي ، حلب ، 1423 ص 161.

¹ طرشاوي بلحاج، المرجع السابق، ص 15.

² عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 1، ط 1، سلسلة حضارة المغرب الإسلامي، 1992، ص 118-119.

³ أحمد عبد الواحد ذنوب، تطوير عمارة المساجد دراسة لدور التكيف في تطوير مساجد القرن الأول الهجري، ط 2014، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2013، ص 123، 122.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

ثانياً: العمارة الإسلامية نشأتها وخصائصها:

نشأت العمارة الإسلامية في بداية الأمر كحرف بسيطة، ثم تطورت حتى أصبحت مجموعة من الفنون المعمارية المختلفة، وقد شيد المسلمون أنواعاً مختلفة من العوائل منها: العمارة الدينية التي تضمنت المساجد والزوايا والمدارس كمظهر للوجه العثماني الراقى عند المسلمين، كما تميزت العمارة المدنية ببناء المدن والمنازل والحمامات والأسبلة والقنطرة والعمارة الحربية كالقصور والحسون والأسوار والأبواب والربط¹، حيث كان لكل نوع من هذه العمارة وظيفة خاصة بها.

لقد كان لدى العرب الكثير من المعلومات عن المراكز الحضارية، بعضها موروث من تراثهم وخبرتهم في الجزيرة العربية، وبعضها مستقى من الحواضر المجاورة نتيجة التأثيرات الحضارية بين الأمم²، ففي المغرب الإسلامي نجد العديد من المدن والحسون والقلع التي ارتبطت نشأتها بالحضارات التي سبقت الإسلام، فقد استفاد المسلمون من الفن المعماري

¹- عمرو إسماعيل محمد، *تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون*، مصر، دار الكتب المصرية، 2009م، ص 13.

² عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 243.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

الساساني^١ والبيزنطي^٢ والهنستي الإغريقي^٣ والقوطي^٤، وبعد أن استعان العرب ببنائين من الروم والفرس في تشييد بناياتهم، استطاعوا بالتدريج أن يتحرّروا من التبعية الأجنبية في فنون العمارة^٥.

مما سمح للعمارة الإسلامية بأن تكتسب شخصية حضارية مميزة وأصيلة تتناسب مع ثقافة المسلمين، وقد تجلّت حكمتهم في تعاملهم مع الفنّيين واعترافهم بمهارتهم، مما دفع العديد من الفنّيين إلى التعاون مع العرب، فلقد كان للحضارات والأمم السالفة قبل الإسلام العديد من الأساليب الفنية المتطرّفة كالأسلوب المعماري للفرس والمسيحيين في الشرق الأدنى والذي استفاد منه المسلمون^٦.

^١- الفن الساساني: من الفنون التي عرفت ازدهاراً كبيراً في بلاد الفرس، تميّز هذا الفن بتمجيده للملوك، وإظهار قوة الفرس، ولاتزال بعض الآثار تدل على ذلك مثل القصور الملكية وبالخصوص قصر أردشير الأول في فیروز أباد بالجنوب الشرقي لشیراز والذي يرجح أنه بني مابين سنتي (340ق.م/460ق.م) ولاتزال قبته مائلة إلى اليوم صامدة أمام الظروف الطبيعية. ينظر: ويليام جيمس ديو رانت، قصّة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران، دار الجيل، لبنان، 2002، ج 12، ص 297.

^٢- الفن البيزنطي: ظهر هذا الفن نتيجة تطور العمارة الهلينية (الإغريقية) من مميزاته اعتماده على المبادئ الدينية وكان من أهم إنجازاته الكنائس، كما كانت العمارة البيزنطية في الشرق خالية من التمثال واللوحات الزيتية، عكس العمارة البيزنطية في الغرب بسبب الخلاف المذهبي. ينظر: قبيلة المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2012، ص 107.

^٣- الفن الهلنستي الإغريقي: يشير هذا المصطلح إلى التفود اليوناني وهو هي عبارة عن أسلوب فني منتشر في الشرق الأدنى يبدأ بوفاة الإسكندر الأكبر سنة 322 قبل الميلاد وينتهي مع غزو الرومان لليونان وبذلك فقد ظهر قبل ظهور الإسلام بقرون طويلة إذ ازدهرت فيه أعمال النحت وأصبح الفن أكثر تعبيراً وانتشاراً بين العامة بعدما كان مختصاً للملوك والأغنياء، ينظر: كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، مصر، المؤسسة المصرية العامة، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت، ص 4.

^٤- الفن القوطي: انتشر في أوروبا طوال ثلاثة قرون من القرن الثاني عشر وحتى القرن الخامس عشر وأصله من نورماندي حل محل الفن الرومانسي يتميز بالأنسيابية والتصوّف الروحي، كون الرهبان والقديسين هم مصممو هذا الفن أما المعمار القوطي فتميز بالأبراج المرتفعة، والصروح الكبيرة ينظر: ول ديورانت، ج 16، المرجع السابق، ص 267.

^٥- غوستاف لوبيون، المرجع السابق، ص 185.

^٦- عبد السلام أحمد نظيف، دراسات في العمارة الإسلامية، مطبع الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1989، ص 10.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

إن الحديث عن نشأة العمارة الإسلامية لا بد أن يبدأ من المدينة المنورة أول مدن الدولة الإسلامية ومنطلقها، فحين هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب سميت بالمدينة إشارة إلى أنها صارت محل حكم القضاء ومكاناً للعدل، ومنذ هجرة الرسول بدأ يتضح فقه البنيان في الحضارة الإسلامية كما ظهر جلياً التغيير الواضح في المدينة، وكيف حدّ رسول الله على إعمارها من خلال ما قام به من بناء المسجد النبوي الشريف الذي كان بمثابة قطب تولى ضبط امتدادات وشوارع المدينة ومؤاخيته بين الأنصار والمهاجرين، كما أنّ الأوضاع القبلية كان لها أثراً في تنظيم السكن ساعدتها في هذا الدين الإسلامي وأعطى لهذا التنظيم السكاني صبغة حضارية وشجع على الاستقرار والتعمر.¹

فالمدينة المنورة كان تأثيرها عميقاً كونها أدت إلى تحول في الفكر العمراني الإسلامي الذي بدأ يستجيب للتشكيل الحضاري الجديد الذي يدعو إليه الإسلام، وتجسد هذا في تعمير مواضع معينة بمناطق المدينة إذ لم تكن مأهولة من قبل ومن ثم أصبحت يثرب مركزاً سياسياً وإدارياً، فاكتسبت بذلك صفة المدينة وكان لذلك الأثر المباشر في تكوينها² الذي بدأ يتغير، وبذلك اقترن إنشاء المدن الأولى بانتشار الإسلام كما سيأتي ذكره في بعض نماذج العمارة الإسلامية الأولى في بلاد المغرب الإسلامي.

والحاصل أنّ موضع المدينة المنورة لم يكن كافياً لوحده لإحداث التميّز الذي قدر لها لولا هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إليها، إذ كان هذا الحدث العظيم سبباً في إعادة التخطيط العمراني للمدينة وهو لا شكّ ناتج عن روح الشريعة الإسلامية وتعاليم الدين الجديد، الذي حرص على التنظيم المعماري ولم يمنع من التقاط الكتل المعمارية المختلفة حول بناء الجامع، بل كان لهذا التأثير دور مهم في تنشيط الحركة التجارية والاقتصادية ملهمًا بذلك مختلف الحواضر الإسلامية.³

¹- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 244-245.

²- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 47.

³- طرشاوي بلاحج، المرجع السابق ص 105.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

لقد كان العامل الديني أحد العوامل التي منحت العمارة الإسلامية طابعها الخاص، حيث كانت المساجد من أهم مباني العمارة الإسلامية إذ تؤدي وظائف عديدة دينية وسياسية وثقافية، ومن هذا المنطلق حرص المسلمون أن يكون أول ما يبنونه في المدينة هو المساجد الجامعة.

يُعد المسجد الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة في السنة الأولى للهجرة (1هـ/سنة 622م) أحد السمات المعمارية الرئيسية للدولة الإسلامية، وقد كان المسجد الأول جزءاً من بيت النبي في المدينة ثم أصبح قبراً وتمت توسيعته عدة مرات لاستيعاب العدد المتزايد من المصليين والحجاج¹، وجعل جدرانه من اللبن وسقفه من الجريد وسواريه من جذوع النخل، ففيعتبر التموج الأول لسائر المساجد الأخرى من حيث عناصر التخطيط، فقد كان الصحن واسعاً ذو الأعمدة المتينة التي تحافي الصحن مدعمة بذلك السقف الذي وضع لحماية المصليين من لهيب الشمس، كما احتوى المسجد على منبر استحدث منذ عهد النبي الكريم²، وقد شجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي اقتراح معماري جديد يمكن أن يُضاف إلى المسجد ويسهل من أداء وظيفته، فعن أبي سعيد الخري قال: "أول من أسرج في المساجد تميم الداري"³ فقد أقر فعل تميم الداري حينما أسرج المسجد النبوي بالقناديل مبيناً في ذلك انفتاح النبي الكريم على الأفكار الجديدة التي تركها اختيارية للمسلمين ضمن حدود ما سمح به الشارع الحكيم، ثم باشر الرسول صلى الله عليه وسلم في تحديد وظائف المدينة من الداخل فبني مساكنه إلى جوار المسجد.

ومما يجدر الإشارة إليه أن العمارة في عهد النبي الكريم اتسمت بالبساطة في التخطيط وعدم التكلف في البناء⁴، إذ اعتبر المسجد أحد أهم المحددات الرئيسية التي تميزت بها المدن الإسلامية عن غيرها.

¹-David Nicolle , The Great islamiqueconquêts ad 632-750.osprey .Publching.England.2009. P80

² محروق إسماعيل، المرجع السابق ص 19.

³-أبو عبد الله ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، ج 1، دار إحياء الكتب العربية، دة، ص 250.

⁴- خالد مصطفى عزب، المرجع السابق، ص 47.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم انتقلت العمارة إلى مرحلة جديدة، إذ واصل الخلفاء الراشدون نشر الإسلام في الأمسار والأقطار ليصل شرقاً وغرباً في ظاهرة تاريخية المتمثلة في الفتح الإسلامي، حيث شعر المسلمون بالحاجة إلى إنشاء ديار للهجرة على تخوم البلاد المفتوحة، تكون بمثابة المعسكر ومراكز للاستقرار في الوقت نفسه¹، فاحتاج الناس إلى البناء والتشييد، ومن هنا بدأت تتجلى الفلسفـة العـمرانـية التي ارتكـزت على تكـثير العمـارة واحتـاطـة المـدنـ الجـديـدةـ، وما يـلـفـتـ النـظـرـ فيـ هـذـهـ الفـتـرـةـ أـنـ القـادـةـ العـسـكـرـيـينـ تمـكـنـواـ منـ تـأـسـيـسـ عـدـيدـ المـدـنـ أوـ القـوـاعـدـ العـسـكـرـيـةـ الـتـيـ تحـولـتـ فـيـمـاـ بـعـدـ إـلـىـ حـواـضـرـ إـسـلـامـيـةـ وـكـانـ لـتـأـسـيـسـ هـذـهـ المـرـاكـزـ أـثـرـ فيـ تـطـورـ العـمـارـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ.

وأول هذه المدن هي البصرة التي أسسها عقبة بن غزوان سنة (12هـ/633م)، والكوفة التي أسسها سعد بن أبي وقاص سنة (18هـ/638م)، والفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص سنة (21هـ/642م)، وكان ذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والقironان التي أسسها عقبة بن نافع (50هـ/670م)²، وما يلاحظ في عهد الخلفاء أنه تم إقامة المنشآت الحيوية حرصاً على مصالح الناس كالمساجد والطرق وغيرها، ولعل أبلغ مثال قول عمر بن الخطاب "لو عثرت بعلة بالعراق لرأيتني مسؤولاً عنها أمام الله تعالى لم لم أسو لها الطريق"³

وفي العصر الأموي (41-132هـ/661-750م) تواصلت استراتيجية بناء المدن الإسلامية الجديدة في البلاد المفتوحة، حيث عرفت طفرة معمارية مقارنة بالعمارة في العهد النبوي والخلافة الراشدة⁴، إذ تعتبر نقطة تحول كبرى وبداية تشكيل الطراز الإسلامي وانتشاره فيسائر البلاد المفتوحة من قبل القادة الفاتحين، وذلك من خلال احتكاك الثقافة الإسلامية مع ثقافات أقطار الشعوب المفتوحة وأمترحت فيما بينها على مراحل العصور بالحضارات السامية كالكنعانية، والفينيقية

¹-هـشـامـ جـعـيـطـ، الكـوـفـةـ نـشـأـةـ المـدـنـ الـعـرـبـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ، طـ1ـ، بـيـرـوـتـ، دـارـ الطـلـيـعـةـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ 1947ـ، صـ6ـ.

²-خـالـدـ مـصـطـفـيـ عـزـبـ، المـرـجـعـ السـابـقـ صـ59ـ.

³-عـبدـ الرـحـمـانـ الـحـجـيـ، الـسـيـرـةـ النـبـوـيـةـ مـنـهـجـيـةـ درـاستـهـاـ وـاسـتـعـارـضـ أـحـدـاثـهـاـ، طـ1ـ، دـمـشـقـ، دـارـ اـبـنـ كـثـيرـ، 1999ـ، صـ104ـ.

⁴-مـحمدـ عـبـدـ الـسـتـارـ عـثـمـانـ، المـرـجـعـ السـابـقـ، صـ67ـ.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

والحضارة الهنستية ثم الحضارة الرومانية والبيزنطية، فقد تأثرت الحضارة الإسلامية بالكثير من الأفكار والنظريات في ميادين مختلفة، فخلف هذا الامتزاج تأثيراً واضحاً في العمارة الأموية تجلّى في الطراز الفنّي المعماري الذي اعتمد الأمويون¹.

وقد نتج عن هذا التأثر روائع معمارية منقطعة النظير من خلال ظهور المساجد الجامعية الضخمة، ولعل أهمّها مسجد قبة الصخرة في بيت المقدس²، والمسجد الأموي في دمشق³، وجامع حلب وبعض القصور الأموية، أمّا في ناحية الغرب الإسلامي فقد بُرِزَ كلّ من جامع عقبة بن نافع في القيروان وجامع الزيتونة بتونس كصرح معماري بارز يعكس الثقافة العمرانية العربية الإسلامية⁴.

والواقع أنّ النّظام الذي اتبّعه الحُكَّام الأمويون والمتمثّل في تطوير اليد العاملة المحليّة مع جلب الصناع والفنانين إلى مركز الخلافة من أجل إنجاز الأعمال المعماريّة مَكِّن من ظهور مراافق فنيّة زخرفيّة جديدة، وما يلاحظ عليها سرعة انتشارها ومن هذه الملاحق العمريّة المئذنة التي استعملت لأول مرّة في مسجد الكوفة والفسطاط ودمشق، وإن يرجع إليهم الفضل في إدخال

¹ توفيق حمد عبد الجود، العمارة الإسلامية، فكر وحضارة، مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، 1987، ص 125.

² تعتبر قبة الصخرة من أقدم الآثار في العمارة الإسلامية، وهي من إبداعات الأمويين، شيدتها عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ، حيث قام ببناء مسجد وقبة فوق الصخرة والتي يُرجح أنه قد عرج بالرسول صلى الله عليه وسلم منها إلى السماء وقد بُنيت على شكل نصف دائري تقريباً تبلغ أبعادها 52 قدمًا طولاً و 42 قدمًا عرضاً ، تعلوها رقبة أسطوانية بها 16 نافذة وقد أوكل عبد الملك بن مروان عملية البناء إلى خيرة المهندسين والبنائين وأشرف عليهم رجاء بن حمزة الذي عرف عنه صلاحه وعلمه فقد كان ملازمًا لعمر بن عبد العزيز ينظر: أبو بكر الواسطي، فضائل بيت المقدس، ط 1، قبرص، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، 2010، ص 75.- كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 18.- يوسف البرغوثي، المرجع السابق، ص 16-20.

³ يُعدّ المسجد الأموي بدمشق من أهمّ المعايير التي بناها الأمويون، شُيد في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بين عام (705-714هـ / 86-96م) وقد بذل فيه جهداً كبيراً وسخراً له أموالاً كبيرة وهو مستطيل الشكل في أركانه أربعة أبراج، وبه صحن واسع وقد بُني على موقع روماني وله ثلاثة مآذن الأولى في الجهة الشمالية وكانت تسمى بمئذنة العروس والثانية في الجهة الجنوبية الشرقية والثالثة تسمى المئذنة الغربية ولم يكن علوها مرتفعاً منها واحدة مازالت موجودة إلى اليوم ينظر: صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 12-13.- كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 21.

⁴ طرشاوي بلحاج، المرجع السابق، ص 147.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

المقصورة التي كانت تؤمن الخليفة وكذلك أدخلوا المحراب والقباب وغيرها من العناصر المعمارية¹.

إن المتمعن في الحضارة الإسلامية في شرقها المعماري يدرك أن هذه الحضارة عالمية، لاستيعابها شعوب وثقافات مختلفة أدت إلى التأثير والتآثر مع تبادل الخبرات والطريق، فالإسلام لم يقم هذه الشعوب بل كان بمثابة الحاضنة الجامحة للأمم تحت مظلة الثقافة الإسلامية.

وبعد عصر الدولة الأموية تلاه العهد العباسي (132-749هـ/656م)، حيث كانت هذه المرحلة امتداداً للمرحلة الأموية، وفي نفس الوقت ثمة خصائص ذاتية وتحولات وتغيرات مهمة في الجانب المعماري بخصوص الأساليب المعمارية والزخرفية، فكان التأثير الفارسي واضحًا، حيث اتجه البناء إلى استعمال مادة الأجر بدلاً من الحجارة، والدعامات بدلاً من الأعمدة، والعقود المدببة وظهور المداخل الملتوية، إذ طوروا المآذن لظهور على هيئة أبراج حلزونية مثل: مئذنة سامراء (234هـ/848م-235هـ/849م)، ولعل من أفضل الطرز المعمارية جامع أبي دلف وجامع ابن طولون بالقاهرة (263هـ/876م-266هـ/879م)²، والجدير بالذكر أن إنشاء العباسيين لمدينة بغداد³ وسامراء دليل على نضج وتطور العمارة، حيث إن المدينة أصبحت

¹ يوسف البرغوثي، المرجع السابق، ص 40.

² محروق إسماعيل، المرجع السابق ص 22.

³ بغداد: بدأ في بناء المدينة سنة (145هـ/762م)، في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وكان إتمام البناء في سنة (148هـ/764م) وكانت في الأصل عبارة عن قرية بها سوق تجاري منذ عهد الساسانيين في حين رجح بعض الباحثين أن الموضع أقدم من الفترة السasanانية وأن أصل التسمية يعود إلى اللغة البابلية وبهذا فموقع مدينة بغداد موجل في القدم وقد عرفت المدينة بعدة أسماء كمدينة السلام فالسلام هو الله ف تكون مدينة السلام ومدينة أبي جعفر نسبة لمنشئها، والمدينة المدورة لأنها صممت على شكل دائرة وهي أول مدينة عربية تُصمم بهذا الشكل وقد كان اختيار موقعها موقفاً أشاد به المؤرخون كالقدسبي، الذي أعجبه جوّها صيفاً وشتاءً، في حين ذهب المستشرق "نول ديكة" أنها أصبحت مدينة عالمية لم تزاحماها في الأهمية سوى مدينة القسطنطينية، نظراً لمزايا الموضع الذي تأسست فيه المدينة والذي يجمع بين الخصائص الاقتصادية والمميزات العسكرية والاستراتيجية ينظر: عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ط 2، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2009، ص 323-315.-كمال الدين سامح، المرجع السابق 46-51.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

تكتسي ثوب العظمة والهيبة للحكام والأمراء، فقد كان هدف المنصور من بناء مدينة بغداد إبراز مكانة الدولة العباسية، وترسيخ دعائم حكمها، وكان الهدف من إنشاء مدينة سامراء مرتبطة بالتطورات التي حدثت في البلاط والإدارة، وفي الوقت نفسه ليُعظم الحكم والحاكم، فكان من خصائص التخطيط العماني العباسي أنَّ كثيراً من المدن والواحات خططها الخلفاء بأنفسهم¹.

وما يستنتج بين كلِّ من العمارة في العصر الأموي ونظيرتها في العصر العباسى أنَّ هناك فوارق معمارية أهمُّها: أنَّ العباسيين استخدمو اللَّين والأجر في عمارتهم تأثراً بالحضارة الفارسية في حين استخدم الأمويون الحجارة، كما استعمل العباسيون الدعامات المبنية بالطوب والأجر على عكس العمارة الأموية التي اعتمدت على الأعمدة الحجرية.

إنَّ اتساع عمران بعض المدن الإسلامية بفضل توافر المقومات الحضارية المصاحبة لزيادة الكثافة السكانية في المدن الإسلامية والتي نتج عنها بالطبع توسيعاً عمرانياً في المدن الإسلامية، ولعلَّ أبلغ مثال على ذلك مدينة البصرة² التي بلغ عدد سُكَّانها في العصر الأموي أزيد من ثلاثة آلاف نسمة، ويعتقد أنَّه بلغ الضعف في ولاية الحجاج بن يوسف، أمّا عن حاضرة قرطبة فقد بلغ سُكَّانها على عهد المنصور نصف مليون نسمة³.

إنَّ هذه الزيادة المعتبرة للسكان في فترة وجيزة قد صاحبها جهداً معمارياً كبيراً لمواكبة هذا التمَّوِّل الديمغرافي، نتيجة وورود القبائل والعشائر للمدن المستحدثة كما حدث في مدينة البصرة وكان

¹ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 68.

² البصرة : أسسها عتبة بن غزوان وهي أول مدينة أسسها العرب خارج شبه الجزيرة العربية بعد تحريرهم العراق من الحكم الساساني الفارسي في القرن السابع الميلادي وقد أدت دوراً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ تأسيسها واستمرت لعدة قرون، وقد أسمهم أهلها في مجال الفتوحات الإسلامية وكذلك في مجال الأدب والنحو ويعُد المسجد الجامع أول وحدة عمرانية بُنيت في البصرة في ولاية عتبة بن غزوان سنة (14هـ/635م) وقد كان بناءه بالقصب ثم أعيد بناءه بالطين واللبن في عهد ولاية أبي موسى الأشعري (17هـ/638م) وكان بقرب المسجد دار الإمارة والوحدات الإدارية كالديوان والسجن وغيرها من المرافق العامة، ينظر: عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 153-162.

³ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 69.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

لسياسة الحكام الرامية إلى البناء والتشييد أثره الواضح في تطور العمارة ولا أدل من ذلك من بروز الأسواق والمدارس كمؤسسات تعليمية والخانقates والرّبط والزوايا كمرافق دينية¹.

وقد انعكست سياسة الحكام على تخطيط المسجد، فكان يميل بعضهم إلى الإبداع العمراني من خلال تشيد الصحنون التي ضمت أروقة مسقفة يحتوي بعضها على عدد من القباب والعقود المدببة محمولة على أكتاف الأعمدة مستطيلة الشكل ومزخرفة بآيات قرانية، وما يلفت النظر في هذا العصر النّظرة الشّاملة لتنظيم المدينة بدلاً من النّظرة الجزئية، فعاصمة الدولة خطّطت تخطيطاً دائرياً حتى سميت المدينة المدورة بها أربعة مداخل منها باب خرسان وباب البصرة وباب الكوفة².

وقد بلغت العمارة الإسلامية أوج تطورها مع الطّراز المغربي الأندلسي، إذ ساعد استقرار الأوضاع السياسية بدأ مرحلة جديدة تجسّدت بقيام دولة بنو أمية في الأندلس حيث استقرّت دعائم الإسلام ورسخت قواعد حضارته، ويقاد يجمع مؤرخو الفن الأندلسي على أنّ جميع الصور المتطرّفة لعناصر البناء في مختلف أبنية الأندلس إنّما انبثقت من المسجد الجامع بقرطبة الذي شرع في بنائه سنة (786هـ-170م)، ففيه تكمن المناوبات الأولى للفن الأندلسي والتي أخذت في الظهور في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، ثم نَمَتْ في عهد ملوك الطوائف وتفتحت برامجهما في عصر دولتي المغاربة والموحدين³.

ب- خصائص العمارة الإسلامية:

من أهمّ خصائص العمارة الإسلامية عند نشأة الدولة الإسلامية تركيزها على الوظيفة الجوهرية الروحية أكثر من التركيز على شكلها ومظهرها الخارجي، ولعلّ هذا الأمر مستمدّ من الطرح القرآني والهدي النبوي فالله لا ينظر إلى الصور والأشكال ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال،

¹- عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص ص 163-165.

²- عمرو إسماعيل محمد، المرجع السابق، ص 17.

³- السيد عبد العزيز سالم، "العمارة الإسلامية في الاندلس وتطورها"، ج 8، دراسات في التراث عالم الفكر، العدد 01، جوان 1988، وزارة الاعلام، الكويت، (صفحات المقال 166-89)، ص ص 96-99.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

فانصرفت اهتمامات المسلمين إلى الغايات والمقاصد ولم تكن الشكليات والمظاهر تحظى باهتمام كبير خاصة في بداية الدولة الإسلامية¹.

إنّ الбаृث الديني والنظام التشريعي المصاحب لتأثير الحضارات والأمم السابقة والعوامل الدينية والسياسية والاقتصادية والبيئية كالمناخ مع اختلاف مواد البناء في مختلف المناطق الإسلامية المفتوحة أسهمت في بناء معالم الحضارة الإسلامية، والتي استطاعت أن تخلق لنفسها طابعاً عمرياً مغايراً عَبَرَ عن خصوصياتها المميزة لشخصيتها المعمارية، فكانت الخاصية الدينية أهم ميزة للعمارة الإسلامية، إذ كان المسجد أول بيت أسس على التقوى يجمع المسلمين تحت قبة واحدة، أمّا بناؤه فكان يخضع لمجموعة شروط أورد بعضها الزركشي نذكر منها: كراهة اتخاذ الشرفات لأنّها تشغل المصلى وكذلك لا يجوز تزويق المسجد وتنقيشه بما لا إحكام فيه وخلو المسجد من الأعمدة التي تكون حائلاً بين الصّفوف، وشرط وجود جدار بين الصحن والحرم، كما يكره غرس الأشجار وحفر الآبار إذا كانت تضيق على المصليين² وألا يكون الدخول إلى صحن المسجد مباشرة، كما شكّل الصحن أهم عنصر في المساجد والمباني الإسلامية، حيث يكون منفتحاً على السماء مباشرة تطلّ عليه الأبواب والنوافذ في طابقين من أجل ضمان حرکية التّيارات الهوائية الوافية ومتصلة بالباب الخارجي الذي يحتوي على دهليز يمنع عنه الريح والدخان والغبار، فالهواء العلوي لا يؤثر عليه سواء أكان حاراً أم بارداً نظيفاً أم ملوثاً، وهو ما ثبتت نجاعته التجارب العلمية، كما تميزت العمارة الإسلامية بخاصية يطلق عليها "الجوانية"، فأي مبني إسلامي يحمل طابعاً جوانياً بمعنى أنّ عمارته الخارجية أقلّ شأناً من الداخلية، ويمكن ملاحظة ذلك في مساجد الرعيل الأولى كالجامع الأموي بدمشق، وجامع القبرون بالمغرب الأدنى، ومسجد قرطبة كما نراه في السكن والقصور³.

¹-بسوني محمد الخولي، العمران والمدينة زهرة الحضارة الإسلامية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2023، ص 60-61.

²-محمد بن عبد الله الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تج، أبو الوفا مصطفى المراغي، ط5، القاهرة، 1999م، ص 302-400.

³-يوسف البرغوثي، المرجع السابق، ص 16-22.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

والواقع أنّ الأوضاع المادية المختلفة أثّرت في الجانب العمراني، فعلى سبيل المثال كان لوفرة الحجر الجيري الفريد من نوعه المقاوم للعوامل الجوية في منطقة الشام دور مهم في بقاء وصمود الهياكل العمرانية أمام الظروف الطبيعية المهدّدة للعمaran، كما أنّ عنصر الوحدة والتّنوع كان من أبرز خصائص العمارة الإسلامية، إذ تجلّت الوحدة في العمارة الدينية خاصة والعمارة المدنيّة عامة على اختلاف وتتنوع البيئات الإسلامية، في حين أنّ تنوع العناصر البشرية وأساليبها المعمارية في العالم الإسلامي لم يُرّجع مظاهر الوحدة، فحيثما وصل الإسلام كانت اللمسة الإسلامية في فن العمارة حاضرةً، كما أنّ تنوع الأساليب المعمارية دليل على قدرة المعماري المسلم على الإبداع ، وقد انعكست الخصائص البيئية على العمارة الإسلامية حيث كان امتدادها أفقياً تعبيراً على المكان الواسع والفسيح وهو ما مثله الطّابع الصحراوي¹.

والحاصل أنّ العمارة الإسلامية استمدّت الكثير من القيم التي رسّخها الإسلام منها: قيمة المساواة بين أفراد الجماعة الإسلامية الذين يقفون في الصّلاة صفوفاً متّماةً أفقياً لا تميّز بين غنيّهم وفقيرهم كبيرهم أو صغيرهم، وكانت هذه الأفقية في بيت الصّلاة تعبيراً عن البساطة والمساواة².

والجدير بالذكر الإشارة للمجهودات التي بذلها المستشرقون من خلال اهتمامهم بدراسة العمارة والآثار الإسلامية وإبراز خصائصها، رغم أنّ الكثير من الدراسات قد عملت على التقليل والانتقاد من أصالة العمارة الإسلامية بأسلوب حاقد وغير منصف، فهذا المستشرق كريسوبل عبر عن مبني قبة الصّخرة وما يشتمل عليه من زخارف حيث نسب 22% للتأثيرات الرومانية، و 22% للتأثيرات البيزنطية، و 55% للتأثيرات السّورية المسيحيّة والباقي وهو 1% غير محدّد الهوية³.

¹- يوسف البرغوثي، المرجع السابق، ص 30.

²- بسيوني محمد الخولي، المرجع السابق، ص ص 63، 62.

³- خالد محمد مصطفى عزب، المرجع السابق ص 43.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

مما ذكره كريسويل في كتابه "العمارة الإسلامية المبكرة" تستشف أنّ البناء لا يمت للمسلمين بصلة وفي هذا استخفاف بقدرة المسلمين على الإبداع والابتكار في مجال البناء والتشييد.

كما اعتبر "سوجاجيه sauvaget" في دراساته للمدن العتيقة كحلب ودمشق أنّ الحضارة الإسلامية لم تضف شيئاً لها، بل بقيت على حالها وإنّ ما أضافوه من خطط في هذه المدن قد أدى إلى اضطراب وحدتها وتشويه تركيباتها الداخلية، ليخلص في الأخير أنّ المدينة الإسلامية ما هي إلا تقليد للمدينة الأوروبية القديمة.

وعلى نفس النهج سار عدد من المستشرقين فهذا "بلا نهول blanhol" يرى أنّ الصفة الرئيسية للمدينة الإسلامية هي الفوضى في التخطيط، وأنّها ضعيفة التماسك عكس المدن الرومانية والأوروبية في العصور الوسطى، ويرى أنّ الإسلام عجز عن الابتكار وأنّ بساطته حملت المسلمين على تقليد المدن الموجودة قبله، وكذلك هو الحال مع "سيترن sternes" الذي أشار أنّ المدينة الإسلامية اقتبست الكثير من المدينة اليونانية القديمة كالشوارع والأسواق المركزية، وأنّ المدينة الإسلامية تخلو من المؤسسات بدعوى أنّ المجتمع الإسلامي لم يرث شيئاً عن المؤسسات المدنية من الحضارات القديمة اليونانية أو الرومانية¹.

أما كلود كاهن cahen فقد كان أكثر تطرفاً حيث جرد المدينة الإسلامية من أيّ صفة مدنية، إذ يرى أنّ الكثير من الصفات التي تنسب للمدينة الإسلامية يعود أصلها للمدينة البيزنطية الوسيطة وصفات المدن الإيطالية قبل القرن الخامس الهجري الحادي عشر (11/5هـ)، بل ذهب إلى أكثر من ذلك وقال أنه من الخطأ تسميتها بالمدينة الإسلامية بل وجب أن تسمى دارا للإسلام².

وبالمقابل فقد أجاد باحثون آخرون في ذكر دور الإسلام والحضارة الإسلامية في حركة التمدن وتخطيط المدن ذكر على سبيل المثال موقف الفرنسي موريس لمبارد lombard في

¹ محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 32-33.

² خليف مصطفى غرابية، "منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجاً)"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية العدد 1، المجلد 8، (صفحات المقال 199-183)، 2015، ص 184.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

كتبه العديدة عن دور الإسلام في حركة العمران حيث خلص إلى أنّ الحضارة الإسلامية عبارة عن بونقة تاريخية وجغرافية وقد وافقه في هذا الطرح المستشرق بينيت¹.

ومن خصائص النسيج العمراني في المدينة الإسلامية توفرها على عدد من المنشآت، أهمّها المنشآت الدينية كالزوايا، والمساجد التي تعدّ من أطول المباني عمراً من التّاحية العمرانية والمنشآت العسكرية كالقلاع والحسون، والأسوار والأبواب والأبراج، كما جرت العادة أن تكون دار الإمارة المجاورة للمسجد الجامع غير بعيدة عنه وذلك أثمر عن تحقيق انسجام متكامل جمع بين العمران المدني والديني².

وما يستنتج مما سبق أنّ وحدة العقيدة الدينية المنتشرة في أصقاع العالم الإسلامي شرقاً وغرباً بما حوتة من روح العدالة والإنصاف، ونبذ فوارق الجنس واللون، أسّهمت في دفع عجلة التّطوير الحضاري من خلال التعبير عن الفن الإسلامي بتشييد المعالم العمرانية الرّاقية المعبرة عن مشاعر وأحاسيس أبناء الأمة الإسلامية على الرغم من اختلاف أعراقهم، وقد نتج عن هذه التّراكيمية الفنية نتاجاً عمرانياً طُبع بالطبعة الإسلامية، رغم وجود خصائص محلية لكلّ منطقة جغرافية.

ثالثاً: عناصر العمارة الإسلامية وطرزها

تمثّلت في عناصر أساسية مجتمعة تميّزت بطابع جمالي ووظيفي كما لم تخل من الزّخرفة، حيث اقتبس المسلمون عناصر معمارية كثيرة عن غيرهم إلا أنّهم تحرّروا من التّبعية وتجلّى ذلك في العناصر المعمارية الفريدة التي انعكست فيها القيم الدينية والاجتماعية والثقافية وتمثّلت في العناصر الإنسانية والجمالية وقد أدّت هذه العناصر دوراً محورياً في خدمة المجتمع الإسلامي وبروز طرز إسلامية والتي نذكر منها:

(أ) عناصر العمارة الإسلامية:

¹ خليف مصطفى غرابية، المرجع السابق، ص184.

² محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص105.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

العناصر الإنسانية

المئذنة: هناك تسميات مختلفة شائعة الاستعمال استعملت في اللغة العربية للدلالة على المئذنة وهي: المئذنة -المنارة -الصومعة، والمصطلح الأكثر استعمالا عند المغاربة هو الصومعة¹، المئذنة كلمة مشتقة من الفعل أذن والأذان النساء للصلاة والإعلام بدخول وقتها والمئذنة الموضع الذي ينادي فيه للصلوة كما يقال لها المؤذنة² وجمعها مآذن³.

وهي بناء رأسي مرتفع يعلو في قمته صوت المؤذن للدعاء، فيجتمع المسلمين لتأدية هذه الفريضة والأذان أصل للمئذنة وهي مكانه ومرتبط بحاسة السمع⁴، ولقد تعددت آراء حول ظهور فكرة الأذان فقد أراد رسول الله استعمال بوق اليهود ثم كرهه ثم ظهرت فكرة الناقوس ثم هم عمر على اقتراح فكرة الأذان إلا أنه سمع بلا الحبشي ينادي للصلوة من أعلى سطح مجاور للمسجد وهو بيت أم المؤمنين حفصة فنال بلال شرف أول مؤذن في الإسلام⁵، فالمئذنة لم تعرف في عهد النبي عليه السلام وكان مسجده النبوي خاليًا منها وكذلك المساجد الأولى لصدر الإسلام كمسجد البصرة (16هـ-637م) ومسجد الكوفة (18هـ-641م) بالعراق ومسجد عمرو بن العاص (21هـ-641م) وظللت المساجد تبني دون مآذن حتى زمن معاوية بن أبي سفيان الذي أمر واليه على مصر مسلمة بن مخلد أن يبني لجامع عمرو بن العاص أربعة صوامع للأذان⁶.

وجسدت المئذنة فكرة الأذان حيث أصبحت منذ ظهورها في العهد الأموي من العناصر المعمارية المهمة التي كان لابد من توفرها واقتربت بعمارة المساجد واختلفت من عصر إلى عصر

¹-أحمد تيمور باشا، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، ج 5، ط 2، مصر، دار الكتب والوثائق القومية، 2002، ص 304.

²-ابن منظور، ج 13، المصدر السابق، ص 12.

³-صالح بن قربة، المئذنة، المرجع السابق، ص 8، ينظر أيضاً: بن حمو محمد، العمارة والعمارة من خلال نوازل الونشريسي، دار الكنوز، الجزائر، 2011م، ص 25.

⁴-عبد الكريم عزوق، تطور المآذن في الجزائر، ط 2، الجزائر، شركة ابن باديس للكتاب ، 2011، ص 16.

⁵-صالح بن قربة، المئذنة، المرجع السابق، ص 8.

⁶-محمد عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط 1، مصر، مكتبة مدبولي، 2000، ص .69

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

ومن منطقة لأخرى، وهناك المئذنة المربيعة، والمئذنة المثمنة، والمئذنة المخروطية الشكل واللولبية، ومنها من تكون بطبق واحد، و منها من تتتألف من طابقين أو ثلاثة، وهي بذلك تختلف عن أبراج الكنائس التي عادة ما تكون بشكل مربع، كما لم تكن لها قاعدة ثابتة حيث اختلف موقعها من مسجد إلى آخر ، فقد تكون في مقدمة المسجد أو مؤخرته، وقد تكون على جانب منه، أو ركن من أركانه، وقد تستقل عن صحن المسجد، كما قد تكون ملتصقة بالجدار الخارجي للمسجد، واقتصرت المساجد الأولى على مئذنة واحدة، ثم ظهرت أكثر من مئذنة في المسجد الواحد، كما في جامع عمرو بن العاص الذي كان به أربع مآذن بنيت سنة (53/672هـ) في فترة ولاية مسلمة بن خالد¹.

وتعد أول مئذنة بنيت في بلاد المغرب إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في فترة حكم الوالي بشر بن صفوان (729-109هـ/724-105هـ) في المسجد الكبير بالقيروان، وتتكون هذه المنارة من ثلاثة أدوار الأول بارتفاع 18.87م، والثاني 5م والثالث 7.50م ، في حين تعود الصومعة الثانية إلى القرن (2هـ - 7هـ) وهي منارة جامع الزيتونة بتونس والتي كان بها طابق علوي مُثمن الشكل².

► العقود: جمع عقد وعقد اليمين وثيقه وعقد البناء جعل له عقداً مُحكماً، أما في المصطلح المعماري فإن العقد وحدة معمارية ذات شكل مقوس ولها أشكال عديدة نتجت عن نوعين أساسين من العقود وهما العقد المدبب والعقد النصف دائري ويكون العقد في الغالب من أحجار تسمى صنجة وطريقة بناء العقود تكون برفع الفقرات على صقالة خشبية تتزع بعد وضع المفتاح والذي هو عبارة عن صنجة رئيسية علوية، كما يتم بناؤه بطريقة المداميك الجدارية بعد البدء من القاعدة وترك فتحة في المداميك الأولى للجدار ثم تبدأ في التقلص في المداميك الثانية وهكذا تبرز الأحجار كلما زاد ارتفاع الحائط ويكون العقد منحنيا حتى التقاء أحجار مداماك آخر مع رأس العقد وترجع أصول العقود إلى بلاد فارس وببلاد ما بين النهرين والمادة الأكثر استعمالا هي الطين

¹ فكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها المدخل، دار المعارف بمصر، 1961، ص 315.

² حكم الدين سامح، المرجع السابق، ص 168.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

والأجر أَمَا العقود الطولية والعرضية وحدوة الفرس فهي مبتكرات إسلامية ظهرت في العصر الأموي وبلاد المغرب والأندلس.¹

► **القباب:** عنصر معماري مميز محدود الشكل اقتبسه المسلمون عن الساسانيين والبيزنطيين والأقباط واستخدموه للتغطية وتحديداً في المسجد والأضرة وأصبح من إحدى تفاصيله الإنسانية، كما تستخدم لغطية الفضاء الداخلي ولها عدّة تسميات فهي تعرف في بلاد المغرب الإسلامي بـ "مربوط"² واتخذت القباب في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي طابعاً خاصاً بها كما تطورت من حيث الشكل والتكون المعماري، فمنها الكبير والصغير وما تم بناؤه بالحجر والطوب³، ومن أهم القباب الموجودة في بلاد المغرب الإسلامي قبة العباد السفلية بالقرب من مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط يعود تاريخ بناها إلى سنة (591هـ-1195م) مبنية بالطوب وعقودها تشبه نعل الفرس بعض قبابها مثمنة، كما توجد في بعض الأضرحة قرب تلمسان كضريح السلطان في مقبرة سيدى يعقوب ويرجع تاريخه إلى بداية القرن 7هـ-13م⁴.

► **الصحن:** من العناصر المعمارية للمسجد وهو عبارة عن فراغ مكشوف يتوسطه كما أنه من مميزاته ومساحته تختلف حسب المساحة الإجمالية للمسجد، وانفرد به الطراز الإسلامي كونه لم يكن موجوداً من قبل، فهو بذلك ابتكار إسلامي له أصله منذ تأسيس النبي الكريم المسجد النبوي بالمدينة، وقد عرف بعض التعديلات مثل غراسة الأشجار وتزيينه بها لتطيف الجو⁵.

► **الأعمدة:** انتفع المسلمون من الأعمدة والتيجان في المباني الإغريقية والرومانية والبيزنطية وتشهد على ذلك المباني التي قاموا ببنائها، ثم اضطرّ المسلمون إلى إنشاء ما يحتاجونه بأنفسهم وطبعوا عليه طابعاً خاصاً بهم⁶، ولها أنواع عديدة منها الأعمدة ذات البدن المربع، وأعمدة ذات

¹- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص ص 190-191.

²- كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 166، ينظر أيضاً: محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 222.

³- محمد حمزة إسماعيل حداد، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، ط 1، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1993، ص ص 6-7.

⁴- كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 17.

⁵- بسيوني محمد الخولي، المرجع السابق، ص 111. - ينظر أيضاً: محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 262.

⁶- غوستاف لوبيون، المرجع السابق، ص 545.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

بدن دائري مبسط وأعمدة بدن مثمن ومنها الأعمدة المثلثة بدنها وتابعها ناقوسية ومنها عمود بدنه مثمن وتابع مقرنصات حطة واحدة وقاعدته مثل العمود¹

► **المحراب:** جمع محاريب وهو المكان الذي ينفرد به السلطان بعيداً عن العامة، ومنه محراب المسجد المكان الذي يسبق به الإمام جموع المصليين وقيل أنه من المحاربة لأن المتقدّر للحراب يحارب كلاً من الشيطان ونفسه بالخشوع وإحضار الجوارح وهذه الكلمة خصوصية سامية عند المسلمين، أما من الناحية العمرانية فهو تجويف نصف دائري في الجدار المتّجه نحو القبلة، كما يُستدلّ به على اتجاهها، لم يُعرف الحراب كعنصر أساسي ضمن طراز المسجد، ولكنّه سرعان ما أصبح عنصراً مهماً ضمن الطراز العماني لرمزيته ودلالته الواضحة كونه يمثل مكاناً مهماً للهيبة والقدسية²، وقد عرفت العمارة الإسلامية نوعين من المحاريب النوع الأول استعمل في الأضرحة وبعض الأبنية المساجدية، أما النوع الثاني المحاريب المجوفة وتميزت بها المساجد وما يجدر التّوبيه له أنها تعددت في المسجد الواحد كما حدث في الجامع الأموي بدمشق إذ كان فيه محاربين جانبين حراب للمذهب الحنفي وحراب للمذهب الحنفي³.

► **المنبر:** جمع منابر وهو عبارة عن منصة مرتفعة من الخشب أو الحجر تتسع لوقوف الخطيب وموقعه قرب المحراب ولم يُعرف لمسجد رسول الله منبراً فكان إذا وقف للخطبة استند إلى جذع النخل واستمر الحال كذلك إلى غاية السنة السابعة عندما اقترح الصحابة أن يصنعوا له منبراً يقف عليه ويمكّنه من الاستراحة بين الخطبتين فتم ذلك وكان مصنوعاً من الخشب، وعليه أصبحت المنابر جزءاً من العناصر المعمارية الرئيسية للمسجد⁴.

► **الميضاة:** المكان المخصص لل موضوع وهي من العناصر المعمارية المهمة للمسجد وتميزه عن غيره من دور العبادات في الديانات الأخرى، فال موضوع والتّطهير من شروط الصلاة ولا يعقل أن يؤسس مسجد دون هذا العنصر غالباً ما كانت تبني خارج مبني المسجد تسهيلاً بوضوء عامة

¹- عبد السلام أحمد نظيف، المرجع السابق، ص 60.

²- بسيوني محمد الخولي، المرجع السابق، ص 111.

³- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 262-263.

⁴- خذير إبراهيم، المنبر وتطوره في الإسلام، مجلة المداد، العدد 4، المجلد 2، (225-214)، 2014، ص 214-215.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

ال المسلمين وعابري السبيل وحفظا على المسجد من كل درن قد يلحق به جراء الاغتسال، وكانت في بداية الأمر حوضا يغرس منه الماء وسرعان ماتطورت وزرعت بالنوافير والمقاعد الحجرية ومن أهم الميضاءات القديمة ميضاة الجامع الأموي بدمشق وميضاة جامع أحمد بن طولون بمصر¹.

العناصر الجمالية: وهي كثيرة وتميزت بتركيبتها الفنية المتنوعة ومن أبرزها:

► **المقرنصات:** حليات معمارية زخرفية توضع مُدلاة في طبقات منتظمة بشكل مصفوف بعضها فوق بعض وتستعمل كعناصر انتقالية للدرج بين مختلف الأشكال مثل التمهيد بين المربع إلى محيط القبة ومن المربع إلى الدائرة²، وهي من أكثر الخصائص المعمارية الإسلامية، و من غرائب الأشكال ذات الأبعاد الثلاثة التي ظهرت في الفن الإسلامي سميت بالمقرنصات في الشرق، ظهرت في الغرب لأول مرة بقصري زيسا وكوبا بقصيلية لاتزال تستعمل في مراكش إلى اليوم تصنع من الجص، أغلب الطن أنائلها يعود إلى فارس ،استخدمت في المغرب الإسلامي بجامع تلمسان وفي قبة الباروديين بمراكش وبقبب جامع فاس³.

► **الفسيفساء :** من العناصر المعمارية الزخرفية وتعتمد على منج مواد مختلفة كالزجاج والحجر الملون أو الصدف لتكوين زخارف هندسية وكانت الفسيفساء توضع على الأرضيات ثم تعددت إلى الجدران والأسقف، وتعود أصولها التاريخية إلى الحضارات القديمة مثل الحضارة السومورية والهنستية وهناك بقايا لفسيفساء وجدت في صقلية وترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد (3 ق.م) كما وجدت نماذج أخرى في مدينة الإسكندرية ثم شاع استخدامها في الحضارة اليونانية والرومانية ونقلت هذه التقنية إلى العوائد الإسلامية في ظل الاحتلال البيزنطي لبلاد الشام

¹ فردوس محمد التويجري، فضيلة مصباح إسماعيل، العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية - العمارة الدينية - مجلة المنتدى الجامعي للدراسات الإنسانية والتطبيقية، طرابلس، 2022(صفحات المقال 374-389)ص .380

²- عبد السلام نظيف، المرجع السابق، ص 70.

³ ليوبيلدو توريس بالباس، الفن المغاربي والموحدي، مصر، دار المعرفة، 1981، ص 51. -وليم جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر: مراد بلعيد، علي محمد بوريبة، فلة عبد مزيام ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011ص ص 84-85.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

غير أن الفسيفساء الإسلامي تميز بالطابع الديني والجمالي حيث نجد أن الفسيفساء في مسجد قبة الصخرة اقتصر على الكتابات القرآنية والتاريخية وتم تزيينها بالزخرفة النباتية¹.

► **الأرابيسك:** الأرب بفتح الألف واللام وجمعها مأرب وهي الهدف المنشود، والإرب بكسر الهمزة وسكون الراء تعني الدهاء والمكر والحق، أما من الناحية الأثرية فالمعنى يطلق على طراز الزخرفة العربية كما يُعرف بالرقوش، والتلويم، والتوسيع، والعربسة، فيكون طرازاً عريضاً له خصائص ومميزات خاصة كما أن زخرفته عبارة عن فروع نباتية تترافق بالأزهار والغضون لا يعرف الناظر إليها مبتداها من منتهاها وقد ذاع صيت هذا الفن الإسلامي ثم انتقل إلى الفنون الغربية والجدير بالذكر أن هذا الفن لا يزال يستخدم في إسبانيا ويُسمى بكلمة عربية خالصة هي التلويم (tawrik) وهي مصطلح عربي دقيق يعني أن الأوراق النباتية لها دور بالغ في تشكيله هذا الفن، ويرى بعض الباحثين أن مصطلح آرابسك لفظ شامل ولا يقتصر على الزخارف النباتية فقط بل يشمل أنواع الزخارف الإسلامية النباتية والكتابية والهندسية وغير الهندسية بالحرق والأصباغ في مختلف الأماكن الزجاج والحجر والخشب وبأ ظهوره بوضوح خلال العصر العباسي في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي (39هـ) وازدهر في القرن الرابع الهجري (104هـ) في عهد الفاطميين والمغاربة وظل يتتطور إلى غاية القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر ميلاديين (14-15هـ) حيث بلغ درجة عالية في التعبير عن الفن والجمال².

كما وجب التتويه أن ماتم ذكره لا يمثل كل العناصر إنما هي الأكثر شيوعا فقد اقتصرنا على ذكر ماتم تناوله في الدراسة وهناك أيضا الشرفات - المكالس - المشكبيات - المشربيات - النوافذ - القواطيع - وغيرها وهي في مجملها تشكل الطراز الإسلامي.

ب: الطرز المعمارية الإسلامية:

¹- طرشاوي بلحاج، المرجع السابق، ص ص 145-153.

²- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 12. - ينظر أيضا: وليم وجوج مارسي، المرجع السابق، ص 105.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

يمكن القول إنَّ الطَّرز المعمارية عند المسلمين كان نتيجة تراكم عدَّة عوامل سياسية دينية وثقافية فقد شجَّع الدين الإسلامي على عمارة الأرض وكان لسرعة انتشاره الأثر البالغ في ظهور طرز معمارية مختلفة لكلٍ منها مميزات خاصة بها ذكر منها:

► **الطراز الأموي:** مثل هذا الطَّرز دور النُّشأة والأساس عند المسلمين كونه أول طراز معماري وقد ظهر في عهد الدولة الأموية (41هـ-132هـ/661م-750م)، ومن خصائصه المعمارية قدرته على المزج بين التَّقاليد العربية القديمة وتنظيم الإسلام واتجاهاته في العمارة واحتوائه لعناصر العمارة البيزنطية والساسانية والهلنستية وقد عُرف بأربعة عناصر مهمة هي المئذنة والمنبر والمقصورة والمحراب المجوف وقد خَلَفَ هذا الطَّرز أثaraً عديدة أبرزها المساجد كالمسجد الأموي في دمشق وقبة الصخرة ومسجد القيروان والمقصور الأموي¹.

► **الطراز العباسي:** خلف العباسيون بني أمية وقد كثُر اعتمادهم على العنصر الفارسي وكان لنقلهم للعاصمة من مدينة دمشق إلى بغداد أثر كبير في زيادة التأثيرات الفارسية والساسانية وتميز بالطابع الفخم واستخدام الاجر في البناء لوفرته وبالاخص في العاصمة بغداد كما عُرف بالزخرفة الجصية وإنشاء العقود والقبوat والقباب والإيوانات الضخمة ومن أهم المعالم العباسية مدينة سامراء ومسجدها ومسجد المنصور ببغداد ومسجد الرقة ومسجد أبي دلف بالجعفرية ومسجد ابن طولون بمصر ومسجد الجامع بسوسة والزيتونة بالمغرب الأدنى².

► **الطراز الفاطمي:** ازدهر هذا الطَّرز خلال فترة حكم الدولة الفاطمية (297هـ-567هـ/909-1171م) في المغرب الإسلامي واستمرَّ بعد انتقال حكم الدولة إلى مصر وقد تميز هذا الطَّرز بتطوراته الفنية والتي مزجت بين التأثير المغاربي والشرقي وأهم ما بقي من العمارة الإسلامية في العصر الفاطمي الجامع الأزهر وجامع الأقمر وعديد العماير والأبنية ذات الطابع الإسلامي في ربوع بلاد المغرب الإسلامي وجزيرة صقلية ومن الخصائص المعمارية لهذا الطَّرز كثرة تشييد المدن كمدينة المهدية والقاهرة وكذلك العماير الدينية كالمساجد الجامعية ومساجد الفروض ويُعتبر الجامع الأزهر الذي بني سنة (321هـ-972م) من أبرز إنجازاتهم

¹- عثمان عثمان إسماعيل، ج 1، المرجع السابق، ص ص 156-179.

²- المرجع نفسه ص ص 180-183.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المرابطين

والمساجد الفاطمية قريبة الشّبه لبعض مساجد المغرب الإسلامي فجامع القاهرة وجامع ابن طولون يشابهان مسجد عقبة في بعض التّفاصيل المعمارية كالجزء الأوسط الذي يؤدي للحراب جهة رواق القبلة.¹

► **الطراز الأندلسي المغربي:** ويقصد به كلّ ما أنتجه الإنسان المغربي والأندلسي من فنون العمارة داخل النّطاق الجغرافي للغرب الإسلامي، حيث تطور خلال فترات الحكم المتعاقبة والتي بدأت من عصر القادة الفاتحين منذ أيام عقبة بن نافع ثم عصر الولاة في عهد الدولة الأموية حتّى تاريخ سقوطها (132هـ/749م) وامتدّ إلى غاية ما بعد سقوط غرناطة(897هـ/1492م)²، ومن خصائص هذا الطراز اتساع بيوت الصّلاة و استخدام الزّخرفة بشكل واسع والخطّ الكوفي كما امتاز هذا الطراز بالعقود ذات شكل حدوة الفرس والتي ترتكز على أعمدة لها تاج مورق وقاعدة بسيطة، أمّا المآذن فتتميّز بطبع خاصٍ بنيت أغلبها على شكل مربع تعلوه شرفات مسننة ثم يعلوها بدن مربع ومن أمثلة ذلك منارة جامع القبور و الكتبة في مراكش ومن أشهر الأثار المعمارية لهذا الطراز جامع قرطبة وقصر الزهراء في الأندلس وجامع القرقيبين ومسجد الكتبة بالمغرب الإسلامي³، والعمارة في الحضارة الإسلامية لم يكن هدفها التّعبير عن الدّوق والفن فقط بل كانت أيضا انعكاس لمقاصد الشّريعة الإسلامية.

رابعاً: العمران في الفقه الإسلامي وشروط المدائن

تُعتبر المصادر الفقهية رافداً مهمّاً لفهم تطور العمارة الإسلامية، وخاصة تلك المصادر التي تعالج ما يرتبط بمسألة التّمدّن وما يتعلّق به من نظريات وحلّ لمشاكل العمران⁴، حيث قدّم علماء الفقه إلى الأمّة الإسلامية من خلال ما يعرف بنوازل فقهاء المغرب في مجال البناء دليلاً

¹- عبد السلام أحمد نظيف، المرجع السابق، ص 16.

²- عثمان عثمان إسماعيل، ج 1، المرجع السابق، ص ص 246-247.

³- حسين مؤنس، المساجد، الكويت، عالم المعرفة، 1981، ص 86.- ينظر أيضاً: ينظر أيضاً: عبد السلام أحمد نظيف، المرجع السابق، ص 26.

⁴- لحسن تاوشيخت، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، ج 1، ط 1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2008، ص 152.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

واضحا على شمولية الدين الإسلامي واهتمامه بجميع الجوانب بما في ذلك الجانب العماني¹، حيث إن فقهاء المسلمين اعتمدوا في تناولهم لأحكام البناء على القرآن الكريم والسنة النبوية، أما القرآن الكريم فكان قوله تعالى {لَعِذُّ الْعَفْوَ وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}² ويفسرون العرف بالنسبة لأحكام البناء بما تعارف عليه الناس وارتضوه ولم يعترضوا عليه شرط ألا يتعارض العرف مع القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، أما الحديث الذي اعتمد عليه الفقهاء في أحكام البناء فهو "لا ضرر ولا ضرار"³، وهو أحد الأحاديث الخمسة التي يقوم عليها الفقه الإسلامي⁴.

ويُعتبر مصنف ابن عبد الحكم (ت 214هـ - 829م) الموسوم بـ "كتاب البناء" أحد أهم وأقدم هذه المصنفات، كذلك هو الحال مع كتاب ابن الرامي البناء "الإعلان بأحكام البناء" من أهم ما كتب في هذا المجال نظراً لتضليله في الفقه وخبرته الميدانية في مجال البناء، كما تدخل مصنفات وتواлиf كتب الفتاوي والنوازل العامة⁵ ضمن هذا الإطار، إذ هي الأخرى أشارت إلى بعض المسائل الفقهية المتعلقة بأحكام البناء والتشييد⁶، ومن الكتب المهمة في فقه العمارة الإسلامية كتاب القسمة وأصول الأرضين لصاحب الفرسطائي (ت 504هـ / 1110م) حيث يحتوي هذا

¹ خالد عزب، فقه العمارة الإسلامية، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 1997، ص 9.

² القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية، 199.

³ ابن دقق العيد، شرح الأربعين التقوية، ط6، مؤسسة الريان، لبنان، 2003م، ص 106.- ينظر أيضاً: أبو إسحاق الشاطبي، المواقف، ج 6، ط1، تحرير أبي عبيدة مشهور، دار ابن عفان، 1997، ص 227

⁴ خالد عزب، المرجع السابق، ص ص 17-18.

⁵ ومن أمثلة كتب النوازل الفقهية العامة كتاب المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب لصاحب الونشريسي وكتاب الدر المكنونة في نوازل مازونة لمؤلفه أبي زكريا يحيى بن موسى المغيلي المازوني وغيرها، ينظر: المغيلي المازوني، الدر المكنونة في نوازل مازونة، تحرير مختار حساني، مراجعة كرشوش الزواوي، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2009، ص ص 100-1.- ينظر أيضاً: بن حمو محمد، العمran، المرجع السابق، ص ص 128-1.

⁶ لحسن تاوشيخت، المرجع السابق، ص 148.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

المصدر على معلومات عن العمارة الصحراوية ومعرفة أصول المنازعات المتعلقة بالبناء وحقوق الأجور في بيئة ذات مذهب إباضي¹.

ويوضح ابن أبي الربيع (ت 272هـ - 990م) في كتابه "سلوك المالك في تدبير المالك" الأسس الواجب اعتمادها عند إنشاء المدن وهي: الأول أن يجلب إليها الماء العذب للشرب، والثاني أن يقدر طرقها وشوارعها، والثالث أن يكون بها جاماً للصلوة، وأن يكون قريباً للجميع، الرابع أن يفرق بين القبائل الساكنة وألا يجمع أضداداً مختلفة أمّا الخامس أن يحيط بالمدينة سور من أجل حمايتها، وأخيراً أن ينقل إليها أهل الصنائع².

من جهته يرى الماوردي (ت 450هـ - 1058م) أن إنشاء المدن لابد أن تتوفر فيه ستة شروط وهي: أحدهما كثرة المياه العذبة، وإمكان الميرة المستمدّة، حيث يكون المكان موافقاً لصحة الهواء والتربّاب، وأن تكون المراعي قريبة إضافة إلى تحصين مئذنه من الأعداء واللصوص، وأن يحيط به سواد يعين أهله بمواهده³، وهو ما أكدّه أحمد بن القاضي في كتابه الموسوم جذوة الاقتباس بقوله: "لا تستوطن إلا بلداً فيه سلطان حاضر وطبيب ماهر ونهر جار وقاض عدل وعالم عامل وأسواق قائمة"⁴.

ويقسم الماوردي البلدان إلى نوعين: البلد الزراعي والبلد التجاري، يكون البلد الزراعي أكثر استقراراً واستيضااناً لتوفّر المياه والمواد فيه، ومن شروطه: أن يكون في وسط الأمصار مع تساوي أو تقارب المسافات التي بينه وبين هذه الأمصار، كما يميّزه كثرة العمارة.

¹- الفسطائي أبو العباس، القسمة وأصول الأرضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحرير كبير بن محمد بلحاج و محمد صالح بن ناصر، ط2، القراءة، الجزائر، جمعية التراث، ص 1-27.

²- ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير المالك، تحقيق ناجي التكريتي، دار الأندرس، بيروت، 1981، ص 192.

³- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 162-163.

⁴- ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الزّباط، 1973، ص 42.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

وأما البلد التجاري فهو يصنف ضمن أفضل الأقاليم، وذلك أنه يتتوفر على مختلف الضروريات والمواد الأولية الأساسية والثانوية الكمالية أما شروطه فهي ثلاثة:

- أولها: أن يتموضع في وسط أمصار الريف وألا يبعد عن التاجر فلما يجدون مشقة في الوصول إليه.

- ثانيها: سهولة الطرقات والمسالك البرية والبحرية مما يشجع وينشط الحركة التجارية كنقل البضائع منه وإليه.

- ثالثها: توفر الأمن فيه وفي مسالكه وطرقاته مما يعطي راحة وحرية للحركة التجارية، والجدير بالذكر أن هذا الشرط هو الأكثر أهمية من باقي الأسباب والشروط¹، وعليه فإذا توفّرت هذه الأسباب والشروط أسهمت وسهّلت عملية بناء المدن وقيامها.

لقد مثل بناء المدن وتنظيمها محوراً أساسياً عند المسلمين، لذلك رُاعت عدّة شروط في تشييدها منها ما ذكره ابن خلدون (ت 808هـ - 1406م) من دفع الضرر وجلب المصلحة المتمثلة في الحماية وفي هذا السياق يقول: "وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعاً سياج الأسوار وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكان إما على هضبة متعرّجة من الجبل وإما باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصتها".²

وفي المسألة ذاتها أشار ابن خلدون إلى أسباب أخرى منها ما وصفها بالسماوية وفي هذا يقول "ومما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السمائية طيب الهواء للسلامة من الأمراض. فإن

¹ الماوردي، المصدر السابق، ص ص 164-165.

² عبد الرحمن بن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص ص 432-433.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

الهواء إذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا للمياه الفاسدة أو منافع، متعرّفة أو مروج خبيثة أسرع إليها العفن من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه¹.

أما عن جلب المنافع والمرافق فيراعى فيه أمور أحدها وفرة المياه وأن يكون البلد على نهر أو به عيون عذبة وذلك لضرورته لساكنته، كذلك أكد ابن خلدون على أهمية طيب المراعي لسلامة، إذ لا بد لصاحب القرار من دواجن الحيوان لما تنتجه من ضرع وركوب ولا بد لها من المراعي لأن الزروع هي الأقوات²، فقد اعتبر ابن خلدون المسكن نواة للمدينة، ويعزى ذلك إلى دوره في دفع المضار الناجمة عن الظروف الطبيعية التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان، كما ركز على ضرورة تضمين الحصانة والحماية في تخطيط المدينة كشرط أساسي، نظرا لأن المدن قد تكون معرضاً للغزو الأجنبي وبالتالي فإن توفير الحماية يتطلب بناء الأسوار و اختيار موقع طبيعية مثل الجبال.

و هذه الشروط نقلها عنه ابن الأزرق (ت 897هـ - 1492م) فيرى أن المضار نوعان:

أحدهما أرضية ودفعها بإدارة سياج الأسوار على المدينة ووضعها في مكان ممتنع على هضبة متوعرة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو و يتضاعف تحصينها، الثاني سماوية ودفعها باختيار المواقع الطبيعية الهواء لأن ما خبث منه بركود أو تعفن ل المجاورة لها فاسدة أو مئافع متعرّفة أو مروج خبيثة يسرع المرض فيه للحيوان الكائن فيه لا محالة كما هو مشاهد بكلة³.

مما سبق يتضح أن مفكري العمران الإسلامي يتفقون على مجموعة من الشروط لإنشاء المدن وليكتمل حقوق ساكنيه، وأن العمارة الإسلامية ارتبطت تاريخيا بالتراثية للشعوب والأقوام التي تولت على الحكم الإسلامي فأصبحت عمارة أموية وعباسية وفاطمية ومغاربية وموحدية وغيرها، كما ارتبطت بالمكان فأطلق عليها عمارة شبه الجزيرة والعمارة المغربية والأندلسية وغيرها

¹- عبد الرحمن بن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 433.

²- المصدر نفسه، ص 433-434.

³- ابن الأزرق أبو عبد الله محمد الأندلسي، *بدائع السلك في طبائع الملك*، ج 1، تج، علي سامي التشار، ط 1، وزارة الإعلام، العراق، ص 277.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

من الأماكن التي وصل إليها الحكم الإسلامي وسواء ارتبطت بالشعوب أم المكان فجميعها مرتبطة بالدين الإسلامي.

خامساً: الإرث العماني في المغرب الإسلامي قبل القرن الخامس الهجري:

أ-الإرث العماني في بلاد المغرب قبل عملية الفتح الإسلامي-الخصائص والتطورات-

يبعدوا أنه لا يمكن إحصاء الإرث العماني الذي خلفه الدول والحضارات التي قامت وتعاقبت ببلاد المغرب، فقد ورثت إرثاً عمانياً كبيراً كمّا ونوعاً، وعموماً فإننا نجد العديد من المدن التي تأسست على نواة محلية قديمة، أوفينيقية¹ أو رومانية² ثم الوندالية والبيزنطية.

¹-الفينيقيون إخوة العرب، اهتموا بالتجارة، وأسسوا عديد المراكز بشمال إفريقيا للتجارة، ومن هذه المراكز هبون (عنابة) (جيجل) حضر موت (سوسنة) صلادي (بجاية)، وتنسب ثلاثة مركز في شمال إفريقيا إليهم، تحول بعضها إلى مدن، وقد كان للفينيقيين درالية كبيرة بأساليب العمران اقتبس اليونانيون بعضها منهم، ينظر: مبارك بن محمد الميللي، *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1986، ج 1، ص 132-133.

² ينسب الرومان إلى عاصمتهم روما التي تنسب عدّة أساطير حول تأسيسها منها أسطورة رومولوس على أساس أنه استوطن إحدى التلال السبع التي أقيمت عليها روما قرب نهر التiber الذي يقع وسط إيطاليا قلب العالم القديم سنة 753 ق.م، ثم استقرت حوله عدّة قبائل منهم الإيطاليون الذين تنسب إليهم شبه الجزيرة واللاتينيون الذين نسبت إليهم اللغة اللاتينية، أخذ نفوذ الرومان يتسع شيئاً فشيئاً في المناطق المجاورة لروما ثم إيطاليا الوسطى ليتدنى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية وواصلو توسيعاتهم الخارجية لتصل إلى أوج عظمتها في عهد الإمبراطور تراجان مع نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي حيث امتدت حدودها الجنوبية إلى جبال الأطلس وتلال نهر النيل والصحراء الإفريقية ومن الجهة الشرقية إلى صحراء الشام وفلسطين ولاد القوقار أما الجهة الشمالية فبلغت نهري الراين والدانوب، أما المحيط الأطلسي فكان يحدها من الجهة الغربية، وبرز الرومان في مجال العمارة حتى أضحت فن العمارة الروماني تعبيراً فنياً عن الروح الرومانية لما يمثله من فخامة ورفعة وصرخة لازالت إلى يومنا هذا شاهدة عن إبداعهم ومن إنجازاتهم المعمارية في بلاد المغرب الأوسط المعابد والمدن والجسور كجسر القنطرة الذي يقع شمال مدينة بسكرة بالجزائر ينظر: ول ديوانت، ج 10، المرجع السابق، ص 288-292-. ينظر أيضاً: مبارك الميللي، ج 1، المرجع السابق، ص 243-285-. فتيحة شلوق، مساهمة المواقع الأثرية والمعالم التاريخية في تطوير السياحة بمنطقة الزيتان دراسة أثرية تنموية، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر 02، 2014/2015م، ص 71.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

إذ أنشأت هذه الحضارات العديد من المدن والحسون وركّزت على التوابل، وعلى هذه المنشآت قامت بعض المدن المغاربية في المغرب الإسلامي والتي ورثت مميزات عن المدن القديمة وهناك أخرى تأسست في مناطق فارغة لذلك عُرفت بالمدن الناشئة أو المستحدثة ومنها ما تأسس برغبة سلطانية لتكون رمزاً للسلطة.

وقد وردت معلومات مهمة من قبل الرحالة والجغرافيين والنصوص الإخبارية عن العمارة القديمة في بلاد المغرب إذ إشارات متعددة إلى عدد كبير من مدن الشمال الإفريقي منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى بداية تأسيس الدول الإسلامية الأولى كالدولة الرستمية ببلاد المغرب الأوسط والدولة الأغلبية بالمغرب الأدنى والدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى، بالرغم من ذلك هناك غموض وصعوبة في تحديد البدايات الأولى لنشأة المدن بشمال أفريقيا وكيفية تحول النمط الروماني والبيزنطي إلى نمط إسلامي هذه الصعوبة لم تقتصر على المدن العتيقة فقط، ولكن تلك الصعوبة تشمل أيضاً بعض المدن والحاواضر الإسلامية التي اختلف في تاريخ بنائها مثل مدينة تاهرت ومراكش ووليلي وتلمسان وغيرها.¹

وقد وردت أوصاف متعددة للمدن في كتب الجغرافيا منها الأزلية²، والأولية، والمدن اللطيفة وهذه لوحة لأوصاف بعض مدن المغرب الإسلامي من خلال كتاب الرحلة والجغرافيا "صورة الأرض" لابن حوقل:

الجدول رقم 01: وصف بعض المدن المغاربية حسب ابن حوقل

¹ محمد العميم، إشكالية أصل المدينة بشمال أفريقيا، المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الأدب والعلوم الاجتماعية، الدار البيضاء، 1988، ص 62-64.

²-الأول: دوام الوجود في الماضي والأبد دوامه في المستقبل ومن هنا فهذه المدن قديمة وبقيت ولم تندثر بعد بنائها، ينظر: محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 2، تحرير علي درجوج، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996 ص 1112.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

المدينة	أزلية	أولية	قديمة
تونس	×		×
باجة	×		×
اشرشال	×		×
مليلة	وكانت أزلية ×		
طنجة	×		
وازيلي	×	×	×
سله	×		
سببيه	×		
طبنة			×
تاهرت			×
تيفاش	×	×	
تقمسان	×		
بنو واريفن	قرية ازلية قرب الشلف ×		
مليانة	×		×
نقاؤس	×		

عن: صورة الأرض، ج 1، بيروت، دار صادر، 1938، ص 73-93 (بتصريح)

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

من خلال هذا الجدول يتضح أن المدن التي وردت عند ابن حوقل في بلاد المغرب تشمل خمسة عشر مدينة، وقد وصفها جميعاً بأنها أزلية تعبيراً عن وجود أثار كبيرة بها. وجاء وصف لمدينة طبنة ببلاد المغرب الأوسط بالقديمة وبهذا يتضح أن هذه المدن في بلاد المغرب الإسلامي كانت موجودة قبل وصول المسلمين في حين وصفت مدينتا وازيلي وتيفاش فقط بالأولية، بينما جاء ذكر المدن القديمة ثمانين مرات، والمعلومات المتاحة عنها قليلة ولا تتضمن تفاصيل دقيقة عن الموروث السابق لمدن المغرب الإسلامي، ومع ذلك تعتبر هذه المعلومات مهمة في التصوّص الجغرافية كون أنّنا لا نجد لها في التصوّص الأخرى، وتزداد أهميتها لأنّ ابن حوقل زار المنطقة بنفسه مما أعطى وصفه مصداقية أكبر.

في حين نجد أبا عبيد الله البكري (ت 487هـ / 1094م) في كتابه *المسالك والممالك* يغلب على وصفه للمدن بالأولية¹، فهي مدن للأول لكنّها شهدت مراحل للتجدد والتعويذ، وبعضها انتقل من قرية إلى حاضرة كبرى كمدينة تونس²، ومدينة تيفاش وهي مدينة أولية شامخة البناء، ومدينة بونة مدينة أولية³.

يبدو جلياً أنّ البكري كان أكثر دقة من سابقه ابن حوقل وإن لم يزد بلاد المغرب، وذلك راجع ربما لتنوع مصادره التي اعتمدتها عكس ابن حوقل الذي اعتمد في مصنّفه على المعاينة والمشاهدة وهي نظرة أحادية بالرغم من مصادقيتها وقربها للحقيقة.

¹-أثناء حديث البكري عن الطريق من مدينة القيروان إلى مدن المغرب الأوسط والأقصى ذكر عديد المدن والقرى والحسون ووصف حصانتها ومتانة عمرانها وقدمها وجود آثار ترجع إلى الأول أي الحضارات والأمم السابقة للMuslimين مثل مدينة رقادة والمهدية وسوسة وتونس وتيجس التي بها سور صخر رومي، قسطنطينية وهي مدينة أولية، مجانية وهي كبيرة ولها سور وبها الحمامات والجوامع والمعادن الكثيرة وكذلك مدينة ميلة، باغي، تفاش، جزائر بني مزغناني، المسيلة، تيهرت، أرزاؤ، طبنة، سطيف، باب أبي قرة، وارجلن. انظر: أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ، ص ص 728-750.

²-محمد حسن، *المدينة والبادية إفريقيا في العهد الحفصي*، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1999 ، ص 56.

³-أبو عبيد الله البكري، ج 2، المصدر السابق، ص ص 715-717.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

في حين ذكر صاحب الاستبصار وهو من أهل القرن السادس الهجري المدن المشهورة من بلاد مصر إلى آخر بلاد المغرب بادئًا بالمدن الساحلية ثم الصحراوية، وأول مدينة إفريقية على الساحل حسبه هي أطرابلس وهي أزلية كبيرة يضرب البحر سورها، كما ذكر مدينة قابس "هي مدينة كبيرة قديمة أزلية"، ومدينة سوسة وهي "مدينة أزلية قديمة فيها آثار للأول" ومدينة تونس "قديمة البناء، وتلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية¹.

رغم نضج الفكر الجغرافي في القرن السادس فإنّ وصف الجغرافيين لم يختلف عن السّابقين، فقد استعملت المصطلحات نفسها للتعبير عن المدن مثل القديمة أو فيها آثار للأول أو وصفها بالأزل.

إنّ كتب الرّحلة والجغرافيا قد أرجعت أغلب مدن المغرب إلى الرومان والبيزنطيين وحتى الفينيقيين وأهملت إسهام البربر في تعمير بلاد المغرب، ولقد قدّم ابن خلدون (ت 805/1405) إجابة عميقة بخصوص عدم اتخاذ البربر للمدن والعمائر إلى عدّة عوامل ذكر منها:

تَغْلِبُ الطَّابُعُ الْقَبْلِيُّ حِيثُ إِنَّ هَذِهِ الْأَقْطَارَ كَانَتْ لِلْبَرْبَرِ مِنْذَآلَافِ السَّنِينِ، وَكَانَ يَغْلِبُ عَلَى عَمَرَانِهَا الطَّابُعُ الْبَدُوِيُّ مَعَ تَمْنَعِ الْبَرْبَرِ عَنِ جَمِيعِ الْمُؤْتَرَاتِ الْحَضَارِيَّةِ لِلْأَمْمِ الْوَافِدَةِ². لَقَدْ جَعَلَ ابْنَ خَلْدُونَ الْبَدَاوِةَ سَبِيلًا لِقَلْلَةِ الْعِمَرَانِ، فَتَأْسِيسُ الْمَدَنِ فِي نَظَرِهِ يَكُونُ فِي الْمَنَاطِقِ الْحَضَرِيَّةِ.

كما رأى أنّ خراب المدن سببه عدم تمكّن البدو من الصنائع إذ يقول: "فالصنائع بعيدة عن البربر لأنّهم أعرق في البدو" ، فتوفر المباني يستوجب توفر الصنائع والتي هي من توابع

1- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ج 1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص ص 110-176.

2- قارن ابن خلدون بلاد البربر وعدم تأثيرهم بالحضارات والممالك التي قامت في بلادهم باليهود في الشام، وأيضا القبط في مصر وكذلك الحضارة بالعراق إذ يقول "اليهود لما طال ملكهم بالشام نحو من ألف وأربعين سنة رسخت حضارتهم وحذقوا في أحوال المعاش وعوائده والتقطن في صناعاته من المطاعم والملابس وسائر أحوال المنزل حتى إنها لتوخذ عنهم في الغالب إلى اليوم،...وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بها من لدن الكلدائتين والكيانية، والكسروية والعرب بعدهم آلافا من السنين". ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص ص 461-462.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

الحضارة، والتي كان البربر بعيدين عنها كونهم أهل بداوة فلم يكن لهم تشوّق إلى المباني وبناء المدن¹.

كما كان للعصبية القبلية² دور في بداوة البربر إذ يقول عنهم: "أهل عصبيات وأنساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم والأنساب والعصبية أجنح إلى البدو وإنما يدعو إلى المدن الـدّعـة والـسـكـون"³ وعليه فإنّ أهل الـبـدو عموماً يبتعدون عن سكن المدن أو الإقامة بها فكان عمران إفريقيـة والمـغـرـب أكـثـرـه بـدوـيـا وذـلـك لـأـنـهـمـ أـهـلـ خـيـامـ وـظـواـعـنـ وـقـيـاطـيـنـ يـحـبـونـ سـكـنـ الـجـبـالـ، عـكـسـ عمران بلـادـ العـجمـ الـذـيـ كـلـهـ قـرـىـ وـأـمـصـارـ.

يتضح مما أورده ابن خلدون أنَّ الوضع الاجتماعي للبربر لم يسمح بظهور حواضر كبيرة، وذلك ربما لكثرَة التَّرْحال حيث إنَّه لم يكن للبربر دور كبير في عمارة بلاد المغرب القديم، وهذا راجع ربما لعدم ذوبان وانصهار البربر مع الثقافات والعناصر الإثنية الأخرى الذي يؤهّلهم للانتقال من مرحلة الـبـداـوةـ إلىـ مرحلةـ الـحـضـرـ عبرـ تـشـيـيدـ المـدـنـ وهذاـ حـسـبـ نـظـرـيـةـ ابنـ خـلـدونـ.

ومع بداية الفتوحات الإسلامية، شهد المغرب الإسلامي حركة عمرانية نشطة، خاصة مع بداية منتصف القرن الثاني الهجري وقيام الدول المستقلة عن الخلافة الإسلامية في المشرق، حيث سعى المسلمون في تلك الفترة إلى إنشاء قواعد ومراقد حضارية وبذلك نشأة المدن الإسلامية الأولى في المغرب الإسلامي، ومن أبرز هذه المدن مدينة القيروان في المغرب الأدنى وتأهرت في المغرب الأوسط وفاس في المغرب الأقصى، وكانت موقع هذه المدن تتوفّر على الشروط

¹- ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 446.

²- ارتبطت معظم الحركات الدينية والإصلاحية التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي على العصبيات، فالدولة المغاربية لم تؤسس الدولة إلا بعد توحيد عصبية الملتمين من قبائل صنهاجة، وكذلك الحال بالنسبة للدعوة المهدوية التّوّمرية فلم تخلص من دولة المغارطيين إلا بعد اعتمادها على عصبية مصمودة وهو ما عبر عنه ابن خلدون بأنَّ الدّعوة الدينية لا تتم من غير عصبية، ينظر: محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معاً نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص 206.

³- ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 446.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

اللائمة لازدهار والتتطور مثل الماء والحطب وعدد السكان وكبار المساحة وغيرها من الشروط التي سمح لها بالنمو والتتطور.

بـ- الإرث العمراني للمغرب الأدنى بعد الفتح الإسلامي:

أ: القiroان في المغرب الأدنى

مثّلت القiroان منذ تاريخ بنائها (50هـ/670م) مركزاً عمرانياً وحضارياً مهماً عندما قام ببنائها عقبة بن نافع في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وكان هدفه من هذا البناء أن يستقر بها المسلمون، إذ كان يخشى إن رجع المسلمين عن أهل إفريقية أن يعودوا إلى دينهم وقد تم اختيار موقعها بعد دراسة استراتيجية تمثلت في حسن اختيار الموضع، حيث كان بعيداً عن البحر في منطقة داخلية وذلك لتجنب خطر الأساطيل البيزنطية¹، رغم ذلك فقد توسيّعت المدينة بسبب التشجيع على البناء والتعمير من طرف عقبة في السنوات الخمسة من ولايته الأولى وكان بعدها عن البحر بمسيرة يومين، حتى لا تكون في مرمى الأساطيل المعادية خصوصاً هجمات البيزنطيين، خاصةً أن المسلمين في هذه الفترة لم تكن لهم دراية واسعة بالبحر مما يصعب عليهم الدفاع عن المدن الساحلية.².

كما يجدر التنويه أن البعض من أصحابه قد أشاروا عليه أن تكون المدينة التي يعسكرون بها قريبة للبحر للمرابطة فيها فكان ردّ عقبة بن نافع خوفه من صاحب القسطنطينية أن يطرقها في هلكها³، فالفاتحون الأوائل ركزوا على الوصول إلى المناطق الداخلية وتجنبوا المرور بالساحل الشرقي، وبذلك تجنبوا البحر والجبال في الغرب التي يخشى من الكمان التي تنصب بها.⁴.

¹- ابن سعيد، بسط الأرض في الطول والعرض، ترجمة خوان قرنبيت خنيس، معهد مولاي، طوان، 1958، ص 78.-
أحمد فكري، المسجد الجامع القiroان مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، 1355-1936، ص 11.

²- ابن أبي دينار المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط 3، بيروت، دار المسيرة، 1993، ص 40-42.-
ينظر أيضاً: محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 126.

³أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، المصدر السابق، ص 11.

⁴مارتاين تيودور هوستاما، توماس وولكر أرنولد، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج 27، إشراف، حسن حبشي، ط 1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998 ، ص 8839.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

وبهذا وقع تحول في التنظيم المجالي من الشمال إلى الجنوب، ومن الساحل البحري إلى المناطق الداخلية مما أدى إلى ضعف دور تأثير البحر وبروز الدور التاريخي للقوافل التجارية حيث بُرِزَت ظاهرة إنشاء المدن والمرَاكز في المناطق الداخلية والصحراوية.¹

مثّلت القِيرُونَ أَمَّا للأمسِارِ وأَعْظَمَ مِدِينَةً بِالْمَغْرِبِ وَأَكْثَرُهَا تِجَارَةً وَأَمْوَالًا وَأَحْسَنَهَا بَنِيَانًا وَأَكْثَرُهَا عَمَرَانًا فِي بَلَادِ الْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ²، مِمَّا أَهْلَهَا لِلْعَبِ دورًا رئيسيًا فِي الْقَرْوَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُولَى فَكَانَتِ الْعَاصِمَةُ السِّيَاسِيَّةُ لِلْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ، وَمَرْكَزٌ ثَقَلَ فِيهِ مِنْذِ بَدَائِيَّةِ الْفَتْحِ، كَمَا أَنَّ الْخَلَافَةَ الْعَابِسِيَّةَ بِبَغْدَادَ عِنْدِ تَأْسِيسِهَا رَأَتِ فِيهَا سَنَدًا دَاعِمًا لِهَا بِبَلَادِ الْمَغْرِبِ³، وَقَدْ تَمَثَّلَ الدُورُ الْمَرْكُزِيُّ لِهَا بَعْدِ تَأْسِيسِهَا فِي دُورَيْنِ رَئِيْسِيْنِ تَجَسَّدَا فِي الدُّعَوَةِ وَالْجَهَادِ إِذْ كَانَتْ مَنْطَلِقًا لِلْجَيُوشِ الْفَاتِحةِ كَمَا كَانَتْ مَنْبِعًا لِلْفَقَهَاءِ الْحَامِلِينَ لِرِسَالَةِ إِلَيْهِمُ الْإِسْلَامِ عَبْرِ نَشَرِ هَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ وَلِسَانِهِ الْعَرَبِيِّ الْمَبِينِ.

بالمقابل كان اختيار الموقع الذي قام به القِيرُونَ مثَارًا للجدل حيث يرى البعض أنه لم يكن هو الموقع الملائم ومن ثم فقد أُسِئَ اختياره، ويأتي على رأس هؤلاء ابن خلدون إذ يقول "وانظر لما احتلوا الكوفة والبصرة والقِيرُونَ كيف لم يراعوا في اختطاطها إلا مراعي إبلهم وما يقرب من القرف ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها كما بعدهم كما قدّمنا أنه يحتاج إليه في العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية"⁴

¹- هاشم العلوى القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف القرن العاشر الميلادي، ج 2، المحمدية، مطبعة فضالة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، 1995، ص 23.

²- ابن حوقل، ج 1، المصدر السابق ص 96. - ينظر أيضاً: الإدريسي، المصدر السابق، ص 284.-أبو عبد الله الزهرى، كتاب الجغرافيا، تتح محمد حاج صادق، مكتبة القافة الدينية، مصر، دت، ص 109.

³- احمد أرشيد الخالدي، المدن والآثار الإسلامية، ط 2، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، 1436-2010م، ص 59.

⁴- ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 448.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

صحيح أنّ المدينة واجهت بعض المشاكل منها مشكلة إمدادها بالمياه، وقد تمكّن الرومان¹ من إيجاد حلّ لها ومن بعدهم العرب²، فإنّ المنطقة التي بنيت بها القironan اتّخذت شكل رباط فكانت بمثابة قاعدة عسكرية اقتضتها ظروف الفتح التي قام بها المسلمون في القرن الأول الهجري فكانت القironan منطلقاً لجيوش الفتح نحو المغرب الإسلامي، وقد روعي في إنشائها الجانب الاقتصادي فهي ملتقى الطرق التجارية إذ تعتبر حلقة وصل بين الشمال الأوروبي والجنوب الإفريقي والشرق العربي نحو الغرب الإسلامي، ساعدتها هذا الموقع الاستراتيجي بأن تكون من أهم المراكز الحضارية في منطقة المغرب الإسلامي مع نهاية القرن الأول الهجري³.

وإذا كان عقبة ابن نافع قد قام بإنشاء مدينة القironan فإنه يصعب تتبع المنجزات المعمارية لفترة حكم الولاة، وعموماً فقد اهتم الفاتحون الأوائل بالعمارة الدينية، فبنيت المساجد وجهّزت بالمنابر، كما استكملت دولة الاغالية (184-296هـ/800-909م) أعمال البناء والتشييد في هذه المدينة منها توسيع جامع القironan، فلما ولّي إبراهيم بن الأغلب زاد في طول بلاطات الجامع، وبنى القبة المعروفة بباب البهو⁴، وباستيلاء العبيديين عليها توسعوا في منطقة بلاد المغرب الإسلامي لبسط سيطرتهم، ومع انتقالهم إلى مصر جعلوا القironan عاصمة إقليمية لذائفهم في إفريقيا⁵.

أما عن توزيعها الديمغرافي فقد استوّعت المدينة مزيجاً من العناصر البشرية بعضهم قدم مع جيوش الفتح والبعض الآخر من أهل هذه الديار -البربر- ليتم توزيعهم وفق نظام قبلي إذ ضمّت نواحي المدينة منطقة لقطانين وأخرى لبني ربيع، وثالثة لبني مضر، ورابعة للبربر، أما عن

1- بنيت القironan على مدينة رومانية قديمة تعرف بـ قمونية وكانت بها كنيسة، ينظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، *رياض النّفوس في طبقات علماء القironan وإفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم*، ج 1، تحرير بشير البكوش، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994، ص 32.

2- مارتاين تيودور هوستما و توماسوولكر أرنولد، المرجع السابق، ص 8843.

3- لحسن تاويخت، المرجع السابق، ص 161.

4- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ط 2، بيروت، مؤسسة القلم، 1977م، ص 210.- ينظر أيضاً: لحسن تاويخت، المرجع السابق، ص 59-162.

5- أحمد أرشيد الخالدي، المرجع السابق ص 61.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

النظم والدواعين الخاصة بالمدينة فيرجع الفضل إلى خليفة هشام بن عبد الملك في تنظيمها إدارياً عبر نشر الدواوين والنظم بها¹.

- أسوار وأبواب المدينة:

توقفت الحجارة بمدينة القironan مما سهل عملية التشييد والبناء، ويبعد أن سعتها قد قدرت في بداية نشأتها بسبعة ونصف كيلو متر (7.5 كم)، أمّا عن ساحتها فقد بلغ عدد سكانها ما يزيد عن خمسين ألف نسمة، اعتمدت مدينة القironan في تحصيناتها الدفاعية على قوة رجالها إذ لم تكن في بداية أمرها مسورة إلى غاية عهد أبي جعفر المنصور العباسى عام (144هـ/762م) إذ أمر ببناء السور حيث وجد من الضرورة أن يكون بها لحمايتها من أعداء النفوذ العباسى ليكون سورها بمقدار عشرة أذرع².

أمّا عن أبوابها فقد كانت أربعة عشر باباً موزعة في مختلف نواحي المدينة، وكان بابها المسمى بباب الربيع الواقع في الجهة الجنوبية يفضي ويربط بين جامعها وسوقها، وكان على طول الطريق الممتد ميل وثلاثان العديد من المتاجر والصناعات والتي كانت منذ زمن حكم هشام بن عبد الملك وكان ذلك في سنة خمس ومائة للهجرة³.

- جامع القironan:

يعتبر مسجد القironan من أهم وأشهر مساجد المدن الإسلامية في المغرب الإسلامي، حيث ارتبط إنشاءه بتأسيس مدينة القironan في سنة (50هـ/670م) وقد استمرت عملية بنائه حسب روایات عديد المؤرخين إلى سنة (55هـ-674م)⁴، وعن مكانه فقد احظر في وسط المدينة وقد تناقلت الذاكرة التاريخية الشعبية رواية مفادها أن آتياً أتى عقبة في منامه وأن صوتاً من عند الله أسمعه أين يضع محرابه من المسجد وعليه فإن الفضل في تشييد مسجد القironan يعود إلى

¹ أحمد فكري، المرجع السابق، ص 12.

² أحمد أرشيد الخالدي، المرجع السابق ص 62-64.

³ أحمد فكري، المرجع السابق، ص 12.

⁴ حكم الدين سامح، المرجع السابق، ص 168.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

عقبة بن نافع، كان في بداية الأمر صغير المساحة بسيط الشكل لكن مع مرور الزّمن عرف الجامع العديد من الترميمات والتوسّيات التي أضيفت إليه دون المساس بتصميمه الأصلي، وكانت أولى هذه التجديفات على يد الوالي حسان بن النعمان الغساني، الذي أقام مكانه مسجداً جديداً أكبر من الأول وكان ذلك بين سنة ثمان وسبعين للهجرة وسنة ثلاثة وثمانين (78هـ - 693هـ) ولم يلبث أن ضاق بالمصلّين فاستشار بشر بن صفوان عامل هشام بن عبد الملك على القيروان¹ بتوسعه فأذن له فزيّنت في مساحته في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، وأضيفت إليه حديقة وصهريج للمياه، كانت الحديقة ملكاً لبني فهر فاشتراها بشر وأضافها للمسجد، أمّا الصهريج يعرف اليوم باسم الماجل القديم.²

يذكر البكري أنّ عامل الخليفة هشام قد بني للمسجد صومعة في بئر الجنان ونصب أساسها على الماء وقُدر طولها بـ ستين ذراعاً وعرضها بـ خمس وعشرون ذراعاً ولها بابان باب من الجهة الشرقية وباب من الجهة الغربية³ وموقعها شمال المسجد وتتكون من برج له ثلاثة طوابق مربعة الشكل ارتفاع الطابق السفلي يقدر بـ ثمانية عشر فاصل سبعة وثمانون متراً (18.87م)، أمّا الطابق الثاني فارتفاعه خمسة أمتار (5م)، بينما ارتفاع الطابق الثالث حوالي سبعة أمتار ونصف (7.5م).⁴

وفي عام (155هـ / 724م) أعيد بناء الجامع على يد يزيد بن حاتم والي إفريقية وينظر البكري أنّه "هدم الجامع كله حاشا المحراب وبناه"⁵ وبقي على حاله إلى أن تولّ زيادة الله بن إبراهيم بن الاغلب الحكم سنة (201هـ / 817م) فزاد فيه⁶، ويرى الباحث أحمد فكري أنّ الذي ذكره البكري به

¹ـ أحمد فكري، المرجع السابق، ص ص 11-13.

²ـ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 673.ـ ينظر أيضاً: كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 112.

³ـ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 674.

⁴ـ صالح بن قربة، المئذنة، المرجع السابق، ص 28.

⁵ـ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 674.

⁶ـ احمد ارشيد الخالدي، المرجع السابق، ص 64.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

الكثير من المغاربة لأن مئذنة المسجد بقيت قائمة حيث شهد البكري نفسه بذلك ولعل البكري بقوله هدم الجامع كان يقصد التوسيعة التي قام بها.¹

وبعد تولى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هدم الجامع كله لأن هذا الأمير الأغلبي كان يريد أن لا يكون في المسجد أثر لغيره، ليقوم بعد ذلك بمجموعة إصلاحات جذرية قدرة ميزانيتها ستة وثمانين ألف متقالا، شملت الزيادة في سعة رواق المحراب وتتجديده للمحراب وبالرخام وبنائه للقبة العجيبة الباهرة.²

أما عن الزَّمن الفاطمي فلم تحدث أي تعديلات وتغييرات على جامع القironان وليس ذلك غريبا لاعتائهما بمقامهم الجديد في المهديّة وكانوا عن غيرها معرضين، في حين أضاف الصنهاجيّين مُجنّبات الصحن فقد عُثر في الجنّبات الغربية نقوشاً ترجع إلى عهدهم كما أنّ في المسجد نقوشاً تدلّ على أنّ المعز بن باديس أمر بعمل المقصورة البدعية الملاصقة للمحراب وكان ذلك في سنة (441هـ-1049م).³

وينسب المحراب الحالي لزيادة الله (201هـ-817م) به بلاط من الرخام أبيض اللون عليه زخارف ونقوش، كما به كتابات تاريخية وزخارف من الأرابيسك وقد أضاف أبو إبراهيم أحمد (248هـ-862م) بلاطات من القشاني ذي البريق المعدني للمحراب وقام بزخرفته ببلاطات من الرخام، كما بنيت في عهده القبة التي تعلو المحراب، أما عن الوالي إبراهيم الثاني (221هـ-289هـ-875م) فقد زاد في طول البلاطات المكونة لرواق القبلة وأقام مقصورة للنساء وجعل بينها وبين المسجد حاجزاً خشبياً مزخرفاً يعتبر تحفة فنية.⁴

والمندنة (الملحق رقم 01) تعتبر نموذجاً احتذته معظم المآذن الإسلامية ببلاد المغرب والأندلس فهي أقدم المآذن المغاربية وقد بنيت عديد المآذن على شاكلتها على غرار مئذنة جامع

¹ـ أحمد فكري، المرجع السابق ص 13

²ـ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 675.

³ـ أحمد فكري، المرجع السابق، ص 15

⁴ـ حكم الدين سامح، المرجع السابق، ص 128.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

صفاقس والتي شيدت سنة (370هـ-981م) وأن لهذه المئذنة طابقاً علوي ينتهي بقبة صغيرة وهي قريبة الشبه للطابق العلوي لمئذنة القیروان¹.

أما عن أصولها المعمارية فقد كان موطنها بلاد الشام فال الخليفة الأموي هشام ابن عبد الملك هو من أمر ببنائها لذلك إنعكس على تصميمها التأثير الأموي مع طابع محلي مغربي يتمثل في البساطة والزخرفة، كما أن بوابتها تشابه المدخل الصغير لبرج علي كاسان القريب من مدينة حماة كما أن شكلها يماثل مئذنة الجامع الكبير الموجود بحماة بالإضافة إلى أن خصائصها عربية إسلامية ناضجة من حيث التكوين المعماري وأسلوب البناء المتبع وتقاصيلها ليست لها علاقة بصوامع المعبد الروماني الموجود في مدينة دمشق²، أما تاريخ بنائها فقد أشار البكري أنه تم في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك علي يد واليه في بلاد المغرب بشر بن صفون سنة (105هـ-724م)³، واكتملت بها الأشغال سنة (109هـ-727م)⁴، واستعملت في رفع الأذان كما أدت وظيفة رمزية دفاعية بفضل علوها.

وعموماً فمسجد القیروان شكل مدرسة مبكرة في الفن والعمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، استلهمت منه عديد الدول في تخطيطه ونمطه وعناصره المعمارية، كما شكلت مئذنة الجامع مصدر إلهام لآذن المغرب والأندلس.

- الإرث العماني للمغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي:

شهد المغرب الأوسط حركة عمرانية نشطة بعد الفتح الإسلامي يمكن تقسيمها إلى عدّة مراحل مختلفة أبرزها تأسيس قواعد عسكرية والتي تحولت فيما بعد إلى مدن كتلمسان وطنجة وميلة وتأهرت.

¹ أحمد فكري، المرجع السابق، ص 108-110.

² صالح بن قرية، المئذنة، المرجع السابق، ص 31.

³ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 673.

⁴ حكم الدين سامح، المرجع السابق، ص 112.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

تاهرت في المغرب الأوسط:

بعد أن بُويع عبد الرحمن بن رستم بالإمامنة سنة (160هـ 777م) اجتمع مع جماعة المسلمين وقرروا بناء مدينة تكون حصنًا لهم¹، فأرسلوا عرفاء البناء فاستحسنوا موضع تيهرت² وهي غيضة بين ثلاثة أنهار فبنوا مسجداً من أربع بلاطات، واختلط الناس مساكنهم وديارهم، وذلك في سنة³ (144هـ 739م) فتمددت واتسعت خطّتها إلى أن مات عبد الرحمن الرستمي⁴، وقد كان اختيار عبد الرحمن بن رستم لموقع بناء مدینته جدّاً موفق وقد أخذ في حسابه عدّة اعتبارات منها:

إنّ منطقة تاهرت كانت آهلة بالسكنى حيث يروي البكري أنّ موضع تيهرت كانت ملكاً لبعض القبائل البربرية كمراسه وصنهاجة، فعرض عليهم عبد الرحمن شراءها فأبوا ليتحقق معهم على أن يختاروا بها المباني والمساكن على شرط تأدية الخراج من الأسواق، فاختطفوا وبنوا وسمّي الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم⁵.

وهذا يدلّ على أنّ المنطقة قد سبقه إليها قوم أسهموا في تعميرها، وتتجدر الإشارة أنّ عبد الرحمن ابن رستم لم تستهوي المدينة القديمة والتي كانت في الأصل محصنة وبها قلعة مسورة بل فضل الاستقرار في مكان يكاد على مسافة ثمانية كيلومترات غربي المدينة القديمة، ولعل ذلك رغبةً منه في تخليد ذكره في تأسيس مدينة جديدة، كما صنع عقبة عند بنائه للقيروان، إضافة إلى عدم إهماله أحد أهم شروط بناء المدن وهو الماء فالمدينة القديمة لا تتلقى الماء إلا من واد صغير إلا

¹-أبو العباس الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، تحرير إبراهيم طلای، الجزائر، 1974، ص 41.

²-أحمد ابن سعيد الشماخي، كتاب السير، ج1، تحرير أحمد ابن سعود السعدي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1992، ص 125.

³-ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص 197.

⁴-عبد الرحمن بن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص 159.

⁵-أبو عبيد الله البكري، ج2، المصدر السابق، ص 736.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

أن عبد الرحمن باختيارة الموضع الجديد قد ضمن للمدينة مورداً مائياً مهماً¹ وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في "قبلتها"، ونهر آخر وبها عيون تجتمع تسمى تاتش².

كما أن المنطقة محاطة بقبائل عرف عنهم انتقامهم القوي للمذهب الإباضي، فالمكان اختياره بعناية في منطقة بها جماعات من الإباضية³ ومنهم لواتة وهوارة في قبالتها وفي غربها زواغة وبجنوبها مطماطة وزناته ومكناة⁴.

ذلك فهي منطقة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه⁵ وتم اختطافها على وادي مينا النابعة منه عيون بالقبلة، وتمر بها وبالبطحاء إلى أن تصب في وادي الشلف⁶، فهي تحقق شرطاً مهماً لبناء المدن أشار إليه ابن خلدون بقوله: "ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعي لسائمه إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من المراعي ... المزارع فإن الزروع هي الأقوات. فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه وأقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب والبناء"⁷.

لقد كان اختيار موقع تاهرت وليد الظروف التي قامت في أثنائها الدولة الرستمية ومنها الجانب الأمني حيث أحاط بها الأعداء من كل جانب مما جعل عبد الرحمن يتوجه إلى منطقة داخلية بعيدة عن خطر العباسين⁸، فقد كان للجانب الأمني والاقتصادي أثر كبير في تشكيل المرافق

¹-رشيد بوروبيه وآخرون، *التاريخ السياسي في عهد الرستميين، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي*، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج 3، ص 78-79.

²-البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 733-734.

³-محمد عيسى الحريري، *الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس*، ط 3، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1987، ص 96.

⁴-البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 734، ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ط 2، بيروت، دار صادر، 1995، ج 2، ص 8، ينظر، محمد عيسى الحريري، المرجع نفسه، ص 96.

⁵-أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، *المسالك والممالك*، بيروت، دار صادر، 2004م، ص 39.

⁶-ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 159.

⁷-ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 434.

⁸-محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 95.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

العمارية بمدينة تاهرت الرستمية، فقد اعتبر عبد الرحمن بن رستم أن المكان يحتوي على الحصانة الطبيعية والحسانة البشرية.

اتفقت المصادر التاريخية بأن تاهرت شهدت نشاطاً معمارياً حيوياً وعن اهتمام حكام الدولة بالطابع المعماري حيث يخبرنا ابن الصغير أنَّ أهل تاهرت في فترة عبد الرحمن بن رستم شرعوا في العمارة والبناء وتعمير المدينة، وأنَّ من كان ينزل بينهم من الغرباء إلَّا استوطن معهم وابتني بين أظهرهم، فالمدينة كانت محل جذب للساكنة ويؤكِّد هذا المؤرخ نفسه بقوله: "حتى لا ترى دارا إلَّا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين"¹، وما يدعم هذا القول رأي المقدسي: "هي اسم القصبة أيضاً هي بلخ المغرب... انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب"².

- الأسوار والأبواب بمدينة تيهرت:

وأشار البكري إلى أنها مسورة ولها أربعة أبواب: باب الصفاء وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن ويبدو أنَّ هذه الأبواب الرئيسية حيث أكد وجود غيرها لكنه لم يذكر أسماءها، وهي في سفح جبل يقال له جزول، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة³، ويؤكِّد ابن الصغير اهتمام الرستميين بالعمارة بقوله في حق الإمام أفلح (207هـ-823م) ببناء القصور واتخاذ الأبواب الحديدية وبناء الجفان حتى عمرت في وقته الدنيا وكثرت الأموال مما دفع بالعامة إلى التنافس في البناء حتى خرج عن نطاق المدينة فعمرت العماائر وانتشرت القبائل.⁴

أما المرحلة التي تلت العهد الرستمي فتمثلت في مرحلتين تاريخيتين مهمتين، وهما العهد الزيري والعهد الحمادي، حيث كان لهما دور سياسي وعماري بارز، ففي العهد الزيري تم تأسيس

¹ ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق، إبراهيم بحازر ومحمد ناصر، جمعية التراث، دت، الجزائر، ص ص 31-32.

² أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 3، دار صادر، بيروت، 1991، ص 228.

³ أبو عبيد الله البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 733.

⁴ ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص ص 50-53.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

المسجد الجامع سيدى أبي مروان ببونة وإنشاء مدن الجزائر ومليانة والمديّة وكان بناء مدينة أشير¹ ما بين عام (324-935هـ) على يد زيري بن مناد الصنهاجي، حيث أشاد بها الرحال والجغرافيون إذ قال عنها البكري: " وهي جليلة حصينة يذكر أنه ليس في تلك الأقطار أحسن منها ولا أبعد متawa ومراما... وهي مع ذلك بين جبال شامخة محطة بها دائرة عليها"²

حيث عمل على بناء حصن حصين على الجبل، لا يمكن الوصول إليه إلا من جهة واحدة، ونتيجة تحسينه وحمايته قصدها أهل تلك النواحي مما جعلها مدينة مشهورة،³ وهذا ما أكدّه صاحب الاستبصار بقوله: "مدينة أشير بناها زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بأشير زيري وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة وإنما بنى زيري سورها وحصنها وعمرها فليس في تلك الأقطار أحسن منها وهي بين جبال شامخة محطة بها"⁴.

موقع أشير تتناسب مع شروط بناء المدن خاصةً مع وجود لمسة للفاطميين في تشبيدها، وتقوّق الفاطميين في العمارة معروف فهذا مناد بن زيري حين قرر بناء أشير في أيام القائم بأمر الله سنة (324هـ-936م)، بعث إليه يطلبُه في الصناع، مما يدلّ على تمكّن الفاطميين في أساليب صناعة البناء، فأرسل إليه مهندساً معمارياً يقال أنه لم يكن في إفريقية أعلم منه، كما أمدّه ببعض مواد البناء النادرة غير متوفرة عنده مثل مادة الحديد⁵، والمدينة عبارة عن ثلاث مدن منفصلة الغربية تعرف اليوم بعين يوسف تسمى بـ "منزه بنت السلطان" وأما المدينتان الشرقيتان فهما

¹- التزال بعض آثار مدينة أشير باقية إلى اليوم عند الكاف الأخضر على مسافة حوالي 150 كلم جنوب غرب الجزائر والموقع حالياً يطلق عليه يشير وكان بناء المدينة نظير مشاركة زيري بن مناد في الحرب مع الفاطميين ضد أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي فسمح الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله لمناد بتأسيس أشير مدينة نتيجة الصلة الوثيقة بين أسرة بنى مناد والفاطميين، ينظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 156.

²- البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 725.

³- ياقوت الحموي، ج 1، المصدر السابق، ص 203.

⁴- مجهول، الإستبصار، ج 1، المصدر السابق، ص 170.

⁵- إسماعيل العربي، دولة بنى حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 48.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

"أشير" و "بنية" وقد اكتشفت بقايا مدينة أشير سنة (1268هـ - 1852م) من طرف الكاتب الفرنسي berbrugger، يقوم جورج مارسي بزيارة الموقع وكتابة دراسات حوله نشرت في المجلة الإفريقية¹.

- القلعة عاصمة بنى حمّاد الأولى:

بلغت قلعة بنى حمّاد أوج تطويرها وتألقها الحضاري لاسيما بعد انتقال أصحاب الثراء من المغرب الأدنى من التجار والعلماء والحرفيين ليضيفوا لها قوة انعكست على جميع المجالات وكان الجانب العماني إحداها، ويصعب تتبع النسيج العماني للقلعة لأنّه لم يبق إلا القليل من آثارها، ولم يبق لدارس قلعة بنى حمّاد إلا تلك النصوص التاريخية التي أشادت بعمراها فعبد الرحمن ابن خلدون يصفها في قوله: "واختطّ مدينة القلعة بجبل كثامة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وهو جبل عجيبة وبه لهذا العهد قبائل عيّاض من عرب هلال، ونقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخربيهما، ونقل جراوة من المغرب وأنزلهم بها، وتمّ بناؤها وتمصرها على رأس المائة الرابعة، وشيد من بنيانها واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة واتسعت في التمدن"²

أما الجغرافي أبو عبيد الله البكري فيقول عنها: "وهي قلعة كبيرة ذات مئنة وحصانة فلما كان خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل إفريقيا وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرجال من العراق والجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب"³ أما الحموي في معجمه فيقول عنها "مدينة متوسطة بين أكم وأقران لها قلعة عظيمة على قلة جبل يسمى تاقربوست تشبه في التحصين ما يحكى عن قلعة أنطاكية وهي قاعدة ملك بنى حمّاد".⁴

وتعدّ مئذنة قلعة بنى حمّاد (الملحق رقم 2) من أبرز معالم الإبداع المعماري الحمّادي وهي لازالت صامدة إلى اليوم ومن أشهر ما بقي من آثارهم حيث بُنيت من الحجارة وقاعدتها مربعة

¹-إسماعيل العربي، المدن، المرجع السابق، ص 156.

²-ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 227.

³-البكري، ج 2 المصدر السابق، ص 710.

⁴-ياقوت الحموي، ج 4، المصدر السابق، ص 390.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

الشكل طول ضلعها (50.50م) وارتفاعها يقارب (25 مترا) سقطت قمتها، وقد رجح الباحث صالح بن قربة وجود قبة بها، ولها باب عرضه (40.24م) يؤدي إلى المدخل الذي يدور حول نوافذ مركبة مربعة طول ضلعها (1.50م) والجزء العلوي من المئذنة محلّي بالأجر والخزف وهو من الزخرفة التي تميز الواجهة الجنوبية لها، وتتخلّل المئذنة نوافذ ضيقة.¹

ولم يكن تأسيس القلعة من باب الصدفة، إنما جاء وفق خطة محكمة و اختيار دقيق مع مراعاة ما يؤثر بالسلب في المدينة ولحماية الدولة الناشئة من الدولة الزيرية التي لم ترض بهذا الاستقلال، كما اعتبرت نموذجاً للمدينة العاصمة لما توفرت عليه من شروط بناء مدن العواصم.

ج/ فاس في المغرب الأقصى:

مدينة فاس² أحد أعظم مدن المغرب الإسلامي وأجلّها³ إذ تعتبر قاعدة بلاد المغرب، فقد خطّت بين مدينتين مفترقتين يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الثاني الهجري الموافق لـ الثامن الميلادي، وذلك بعد أن رأى إدريس المؤسس أنّ مدينة وليلي لم تعد تتسع لملكه بعد أن عظم ملكه وكثير جيشه، فأراد أن يبني مدينة جديدة يتّخذها مركزاً لحكمه ولباقي رعاياه وجنده ليختار أحسن البقاع، وكان ذلك في شهر ربیع الأول سنة اثنين وتسعين ومائة الموافق ثمانمائة و تسعة (192هـ/809م).

وقد كانت على الضفة اليمنى لنهر فاس لتكون بديلاً للعاصمة القديمة وليلي والتي كانت مزدحمة بالسكان، والجدير بالذكر أنه سرعان ما تم تعمير مدينة فاس إذ وفت إليها هجرات مختلفة وأقيمت فيها عدّة أحيا من منها عدوة الأندلسين والتي أسست سنة (192هـ/808م) في

¹- صالح بن قربة، المئذنة، المرجع السابق، ص ص 40-41.

²- مدينة فاس: كان تأسيسها على يد إدريس الثاني شرف إكمال عملية البناء فيها، حيث قام بالإشراف على بناء جامع الأشياخ بعدوة الأندلس وكان يتّألف من ستة بلاطات، ثم على بناء مسجد الشرفاء بعدوة القرويين وكان يتّألف من ثلاثة بلاطات، ينظر: عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ج 1، ط 2، الرباط، دار نشر المعرفة، 2000، ص 46.45.

- أيضاً: مبارك بوطارن، العوائل الدينية في المغرب الأوسط، تلمسان، دار كنوز، 2011، ص 20.

³- ابن حوقل، ج 1، المصدر السابق، ص 90.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

الجهة الشرقية وسكنها أهل الأندلس ثم بعد سنة أي في سنة (193هـ/809م) تم تأسيس عدوة القرويين والتي خصصت للإمام إدريس ابن إدريس ابن عبد الله مع الدين جاءوا من القิروان، كما كانت هناك أحيا خاصّة بأهل الدّمة مثل حي الملاح¹.

وسميت بفاس حسب حسن الوزان لأنّه عثر عند بداية حفر المدينة كمية من الذهب تحمل بالعربية اسم فاس²، وقد ذكر ابن سعيد فاس فقال: "هي متوسطة بين مدن الغرب يعني الداخلة من مراكش وسبتة وسلامة وتلمسان عشرة أيام ولتوسطها صلحت أن تكون قاعدة الملك ليقرب الملك من جميع نواحيها".³

بعد وفاة إدريس أسس ابنه إدريس بن إدريس المدينة الثانية على الضفة اليسرى من النهر، وقد ظلت المدينة على حالها إلى أن دخلها المغاربون فأمر يوسف بن تاشفين بتوحيد المدينتين وجعلها مدينة واحدة⁴، وتعتبر من أهم المدن الإسلامية في الفترة الوسيطية نظراً للدور الذي لعبته في جميع المجالات سياسياً واقتصادياً وثقافياً كما تميزت بمنشآتها العمرانية.

بقيت فاس القديمة مركزاً للنشاط الاقتصادي ومحطة للقوافل التجارية تتوسط طريق الشرق والجنوب، عكس فاس الجديدة التي أصبحت مركزاً للحكم وعاصمة سياسية للدولة الإدريسية، وموقع فاس ذو أهمية خاصة وهي تتميز بغزاره المياه، إذ تمتد قنوات المياه إلى كل الشريين

¹- الحميري عبد المنعم، الرّوض المغطّار في خبر الأقطار، ط2، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980، ص 434. - ينظر أيضاً: عبد الهادي التازي، ج1، المرجع السابق، ص 46.

²- وقد ذكر حسن الوزان رأياً آخر وهو أنها سميت نسبة إلى النهر الذي كان يمر على المدينة فالنهر بالبربرية يُدعى "ساف"، كما وردت عدة آراء حول التسمية منها أنَّ إدريس لما بدأ في حفر سور المدينة كان يحمل فأساً، في حين يذكر البعض أنه تم العثور على فأس سميت المدينة نسبة إليه في حين ذكر بعض المؤرخين أنَّ المكان الذي أقيمت عليه كانت تتوارد به مدينة قديمة واندرست فقال إدريس أسميتها باسم المدينة التي كانت في موضعها في حين يذكر البعض أنه لما تم الانتهاء من حفر أساس المدينة أقيمت فأساً سميت المدينة فاس، ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر. محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص ص 218-219. - ينظر أيضاً: السلاوي، ج1، ص ص 220-224. - عبد الأَحد السَّبْتِي و حلِيمَة فَرَحَات، المرجع السابق، ص ص 29-31.

³- عبد الأَحد السَّبْتِي و حلِيمَة فَرَحَات، المرجع السابق ص 30.

⁴- أحمد أرشيد الخالدي، المرجع السابق، ص 279.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

لتصل إلى كل مسجد ومدرسة وبيت، وتحولت من حاضرة عادية إلى حاضرة فكرية، وأضحت مركزا اقتصاديا مهما، وفي هذا يقول الشريف الإدريسي: "وعليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة وأهلها مياسير ولها من كل شيء حسن أكبر نصيب"¹.

وقد بلغت شأننا عظيما في عهد الدولة الموحدية إذ يقول عنها عبد الواحد المراكشي: "فهي اليوم على غاية الحضارة، وما زلت أسمع المشايخ يدعونها ببغداد المغرب، وبحق ما قالوا ذلك؛ فإنه ليس بالمغرب شيء من أنواع الظرف واللباقة في كل معنى إلا وهو منسوب إليها موجود فيها وأخذ منها؛ لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب"².

- الأسوار في مدينة فاس:

شكلت الأسوار في مدينة فاس حلقة عمرانية مهمة، وكانت من العناصر الأولى التي تم تشييدها، حيث سعى إدريس بن إدريس عند تأسيسه المدينة إلى وضع حدود لها على شكل أسوار دفاعية لحماية المدينة، وخلال الفترة الزناتية شهدت تطورات عمرانية كان من بينها إعادة بناء أسوارها حيث استغل دوناس بن حمامدة فترة الرخاء الاقتصادي وأدار على أرباضها الأسوار، وذهب الباحث طارق يشي أنه قام بتوحيد المدينتين وجعلهما مدينة واحدة من خلال وضع أسوار وأبواب موحدة للمدينة، وبعد القضاء على الحركة الزناتية سنة (462هـ-1070م) ووصول المغاربة شهدت المدينة تغييرات عمرانية في النسيج العمراني، واصطبغت بالصبغة العسكرية ولاشك أن ذلك انعكس على وضعية الأسوار في المدينة إيجاباً.

- المساجد في مدينة فاس:

¹ الشريف الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 246.

² عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 257.

³ طارق يشي، أسوار وأبواب مدينة فاس خلال العصر الوسيط - مقاربة طبوغرافية تاريخية - ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2019، ص 15-30.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

بنيت في مدينة فاس العديد من المساجد إلا أن أشهرها هو جامع القرويين الذي أسس في العدوة الغربية سنة (245هـ/859م)، حيث كانت مساحته صغيرة ثم هدم وقام بتشييده علي ابن يوسف المغربي وزاد في مساحته وقام بزخرفته صناع أندلسيون أما في العدوة الشرقية فتم بناء جامع الأشياخ أو الأندلس نسبة للمكان الذي شُيد فيه¹.

- الأسواق في مدينة فاس:

في مدينة فاس سوق كبير مخصص للبيع والشراء وهو غير بعيد عن جامع القرويين وبه عديد الأزقة التي تنتشر فيه الحرف كالصباغين والدباغين والشماعين وبائعو مصنوعات القنب كالحال والحلود والسيوف وفيه تباع الأقمشة الحريرية ومختلف المأكولات والفواكه².

من خلال دراستنا للموروث العماني في المغرب الإسلامي قبل دولة المغاربة، بما في ذلك نماذج للعمارة المدنية في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، توصلنا إلى نقطة مهمة فيما يخص العمارة، إذ وجدت الدولة المغاربية الأساسية والخلفية التي ستطلق منها في مرحلة البناء والترميم، إضافة إلى ما ستبصره من إبداعات فنية واستراتيجيات عمرانية اتبعتها خلال مراحل تطورها، والتي بدورها ستستفيد منها الدولة الموحدية عبر تطوير هذه البنى والمرافق العمرانية.

د- مواد البناء والزخرفة في العمارة الإسلامية المغربية بين الوظيفة الجمالية والدلالة الرمزية:

- مواد البناء:

¹ أحمد أرشيد الخالدي، المرجع السابق ص 282. ص 169.

² علي محمود عبد اللطيف الجندي، مدينة فاس في عصر المغاربة والموحدين، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد عبد الوهاب فضل، جامعة الأزهر، قسم التاريخ والحضارات، 2004، ص 230-231.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

اختلفت مواد البناء في عمارة المغرب الإسلامي، وتتنوع استخداماتها بما يتناسب مع البيئة الطبيعية والموارد المحلية المتوفرة فنجد المواد الطينية المتحوله كالطابية والجص والطين الخزفي والفخاري ومواد صلبة كالحجارة والمعادن من حديد كما استخدمت مادة الخشب.

الطابية: التراب المصلب والمدكوك في لوح و قالب يكون غالباً من لوحين من الخشب تربطهما عوارض^١، وقد وردت لفظة الطابية عند عديد المؤرخين^٢ منهم عبد الرحمن بن خلون في حديثه عن صناعة البناء بقوله: "ينتظم الحائط كلّه ملتحماً كأنّه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب"^٣، وهي مادة مكونة من طين كليسي صلصالي تشابه الطين الفخارية الخزفية يضاف إليها الحصى والرمل ومواد مثبتة كالتبّن لتكون أكثر صلابة، وقد انتشرت في بلاد المغرب الإسلامي واتساع استخدامها^٤، نظراً لميزاتها وخصائصها الطبيعية من جهة وفعاليتها وقلة تكاليفها من جهة أخرى، كما تعتبر مادة عازلة وحافظة للبرودة ، وهي ليست مادة بناء فقط بل لها طريقة وأسلوب^٥، فضل فيها ابن خلون بقوله "البناء بالتراب خاصة تقام منه حيطان يتّخذ لها لوحان من الخشب مقدار طولاً وعرضًا باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربعة أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقد يوعد ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر... ويركّز بالمراكز المعدّة حتى ينعم رکزه وتخالط أجزاؤه"^٦.

ولم تذكر المصادر التاريخية تاريخ بداية استعمال هذه المادة والتقنية غير أنه من المعلوم قد ازدادت أهميتها أكثر وكثير استعمالها في الفترة المدروسة -العهد المرابطي والعهد الموحدي-

^١-رينهارت دورزي، تكميلة المعاجم العربية، ج ٩، ط ١، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٠، ص ٢٨٤.

^٢-أورد ابن حوقل لفظة الطابية في عديد المواقع مما يدل على قدم استخدام هذه التقنية في بلاد المغرب منها ما ذكره عن مدينة سرت "سور صالح كالمنبع من طين وطابية"، ينظر، ابن حوقل، ج ١، المصدر السابق، ص ٦٨.

^٣-عبد الرحمن بن خلون، ج ١، المصدر نفسه، ص ٥١٢.

^٤-يتم استخدام الطابية عن طريق القالب والذي هو عبارة عن صندوق خشبي يتتألف من ألواح أفقية وعمودية تتناسب مع سمك الحائط المرغوب بنائه ويمتاز بالدقة في المقاس ينظر: عمر بلوط، فنادق مدينة تلمسان الزينية، ط ١، الجزائر، مؤسسة ضحى للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ١٣٤.

^٥-عمر بلوط، المرجع نفسه، صص ١٢٦-١٢٧.

^٦-ابن خلون، ج ١، المصدر السابق، ص ٥١١.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

وكانت من المواد الأساسية في عملية البناء منذ نهاية القرن (12-16هـ) وخاصة في مجال العمارة العسكرية والأسوار لتأخذ الحجارة مكانها وأصبحت في عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف مادة ثانوية وقل استعمالها¹.

وقد تم تطوير مادة الطابية في بلاد المغرب وتكييفها مع وسائل الدفاع حتى أصبحت بمثابة الحجر بفضل ما أدخل عليها من تحسينات وتعديلات وفي ذلك يقول العمري عن حصن مدينة فاس الجديدة "بسورين من الطين المفرغ بال قالب من التراب والرمل والكلس المضروب، وهو أشد من الحجر، لا تعمل فيه المجانق"²، وقد كانت الطابية شائعة الاستخدام في فترة المغاربة كما بلغت تطوراً كبيراً في العهد الموحدي خاصة في أسوار مدينة الرباط³.

-الآجر: من أقدم مواد البناء وأكثرها انتشاراً في بلاد المغرب الإسلامي وهذا لوفرته وخفته في الوقت نفسه كما يجد البناة سهولة في استخدامه وتنظيم مظهره كما يعتبر مادة عازلة لحرارة غير معايدة على الاحتراق، وكان يصنع من مادة طينية حمراء غير مسامية تضفي طابعاً جمالياً على البناء التي يبني بها فكان مادة أساسية خاصة في الأجزاء السفلية من الأسوار كما بنيت به العقود والبوائق والدعامات وغيرها من البناء⁴، حيث ذكر العمري استخدام الآجر في عمائر مدينة فاس وذكر بعض أنواعه بقوله "الزيلخ وهو نوع من الآجر كالقاشاني بأنواع الألوان البيضاء والسود والأزرق والأصفر والأخضر وما يتراكب من هذه الألوان وغالبه بالأزرق الكحلي ومنهم من يتخذ منه وزرات لحيطان الدور، وأمّا دور هؤلاء فتقعرش بأجر يسمى المزهري"⁵.

¹-عمر بلوط، المرجع السابق، ص 127.

²- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج 4، ط 1، أبوظبي، المجمع الثقافي، 1423هـ، ص 179.

³-عمر بلوط، المرجع السابق، ص 127.

⁴- المرجع نفسه، ص 128.

⁵-العمري، ج 4، المصدر السابق، ص 180.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

-**الحجر:** من أقدم مواد البناء على مر التاريخ وأكثرها استعمالاً¹ ومن المواد الصلبة والمقاومة لعوامل الطبيعة، ومن أهم المناطق التي كان تجلب منها الحجارة في بلاد المغرب جبل إيجيليز وهو جبل صغير بالقرب من مراكش، كانت تقطع منه الأحجار التي بني بها الأمير علي بن يوسف بن تاشفين قصره، كما استخدمه الموحدون في تسوية الأرضية مثل البساتين والطرق.²

- **الجص:** مادة زخرفية للطلي فيقال جصص الحائط أي طلاه بالجص³، كما تستعمل هذه المادة لغرضين أساسيين لغطية مواد البناء الخشنة، ولتكسيّة الجدران لتهيئتها للزخرفة، ويتحصل عليه من عدة مواد طبيعية كالحجر والصخور واللويان ويتم حرقه في أفران ومن مميزاته أنه عازل للحرارة والصوت ومن سلبياته هشاشته لاسيما في الأماكن الرطبة، ويستخدم بسمك متوجّع على شكل طبقة وحيدة أو أشرطة وأفاريز وأحزمة وما إلى ذلك⁴، وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله "تجلل الحيطان بالكلس بعد أن يحل بالماء ويختمر أسبوعاً أو أسبوعين على قدر ما يعتدلي مزاجه عن إفراط النار المفسدة للإلحام فإذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق الحائط وذلك إلى أن يلتزم".⁵

وقد استخدم الجص في عمارة الأمويين واحتل مكانة مميزة في البناءات والقصور وفنون الزخرفة المرسومة، كما استعمله العباسيون أيضاً، أمّا في المغرب الإسلامي فيعتبر الجص مادة أساسية في البناء خلال عصر المغاربة وأهم دلائل ذلك مسجد تلمسان وجامع القرويين في فاس كما

¹ يتم البناء بالحجارة عبر وضع الحجر بعضه فوق بعض في طريقة منتظمة ومشدّدة تشذيباً دقيقاً كما تكون الحجارة ذات حجم واحد مع وجود حجارة رقيقة لسد الدخلات والفتحات التي تنتج عن اختلاف حجم الحجارة، ينظر: عمر بلوط، المرجع السابق، ص 138.

² هناء محمد عبد الحميد الفقي، التطور التاريخي والسياسي للصناعات في المغرب والأندلس خلال عهد المغاربة والموحدين (448-1056هـ / 1296-1301م)، مصر ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2024 ، ص 167.

³ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ترجم عبد الحميد هنداوي، ج 7، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000، ص 176.

⁴ عمر بلوط، المرجع السابق، ص 130.

⁵ ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 512.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

استمر استخدامه في عهد الموحدين بنفس الأهمية¹، وشتهرت مدينة المرية بأن جصّها يشبهه الدرر في رونقه وله ألوان متعددة فاتخذ للزينة ونظراً لشهرته كان يحمل إلى جميع الأقطار كما استخدم في تزيين حوائط الدور والمساجد واستعمله الأمراء في قصورهم كما اشتهرت أيضاً مدينة متوسطة قرب بجاية، وفي العصر الموحدي اشتهر جصّ مدينة جيجل ومدينة فاس². وتمكن المسلمون من تطويره وابتكر نوع جديد للزخرفة سمّي بالتوريق أو الأرابسك استعمل في جامع القironan بالمغرب الأدنى لينتشر بعد ذلك في أنحاء بلاد المغرب الإسلامي³.

- **الخشب:** أهمية كبيرة في البناء وأساليب العمارة، وكان له دور في مختلف المباني في المغرب الإسلامي وهو مأكّده عبد الرحمن بن خلون في حديثه عن صناعة التجارة بقوله " هذه الصناعة من ضروريات العمار و ما دتها الخشب ... فاما أهل البدو فيتذدون منها العمد والأوتاد لخيامهم والحدوح لضغائنهم والرماح والقسي والستهانم لسلامهم وأما أهل الحصر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم "⁴.

- **الملاط:** الملاط⁵، ويكون من مواد طبيعية تحضر بطرق عديدة وما دته الأساسية الطين توضع في الماء وتستخدم في رفع الحوائط المبنية بالدبش والكلس يستخرج من الكتل الحجرية، كما يعتبر الجير مصدراً له وهو المادة الثالثة في ترتيب المواد اللاحمة وطريقة صناعته مشابهة لصناعة الجبس⁶.

¹- عمر بلوط، المرجع السابق، ص 130-131.

²- هناء محمد عبد الحميد الفقي، المرجع السابق، ص 167-167.

³- ينظر وليم جورج مارسي، المرجع السابق، ص 105.

⁴- ابن خلون، ج 1، المصدر السابق، ص 514.

⁵- الملاط: الجانب والملاطان جانباً السنام والجمع ملط وهو العضد والكتف والملاط من الفعل ملط ويعني الطين فيقال ملطت ملطاً أو ملط الحائط أي طلاه، وهو الطين الذي يجعل بين حجرين لزيادة تماسك البناء ينظر: ابن منظور، ج 7، ص 406.- ينظر أيضاً: أبو علي القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح، ج 1، تحرير محمد بن محمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 396.

⁶- عمر بلوط، المرجع السابق، ص 134.

الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المغاربة

خلاصة:

في ختام هذا الفصل يمكن القول إن العمارة تعتبر وجهاً للتعبير الحضاري كما تعكس تطور الدول وقد كانت العمارة الإسلامية في بداياتها الأولى بسيطة وتطورت تدريجياً ليصبح للمسلمين طرز وعناصر معمارية خاصة بهم أسهمت فيها الظروف السياسية والجغرافية والتاريخية كما تجسدت فيها قيمهم الدينية والاجتماعية.

إن دراسة الإرث العثماني المتمثل في بناء المدن والدور والقصور والأسوار ليس فقط من أجل استعادة الماضي وأمجاده بقدر ما هو ذاكرة تعكس الهوية الحضارية والثقافية للشعوب والأمم كما يمكن استحضار هذا الإرث في مشاريع الحاضر والمستقبل.

الفصل الثاني: العمارة الدينية في المغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين

أولاً: الأوضاع العامة في عهدي المرابطين والموحدين

ثانياً: بناء المساجد وترميمها في عهد المرابطين

ثالثاً: بناء المساجد وترميمها عند الموحدين

رابعاً: المدارس في المغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين:

خامساً: الرابط والزوايا في عهدي المرابطين والموحدين

سادساً: الكتاتيب

سابعاً: دراسة مقارنة

تمهيد

عرفت البلاد الإسلامية بالعمارة الدينية المحسنة في المباني والمؤسسات التي تمتلك طابعاً دينياً والتي تستعمل لأداء الشعائر الدينية، ومن أهم هذه المباني المساجد التي تعدّ من أبرز عناصر العمارة الإسلامية، إذ قام الفاتحون الأوائل ببناء العديد منها ويعود مسجد القبروان من أبرزها، بالإضافة إلى المساجد تواجدت إلى جانبها المؤسسات الدينية الأخرى كالمدارس والكتاتيب والأربطة والأضرحة، والتي كان لها دور كبير في تقديم المنافع المعرفية والشرعية لعامة المجتمع¹.

ولم تمنع العديد من الصعوبات التي واجهت الفاتحين الأوائل من اهتمامهم بفن العمارة والبناء، وخاصة المساجد، ففي بداية الفتوحات كانت بسيطة في إنشائها وبنائها، إلا أنها تعتبر من أكثر العوامل بقاءً وصموداً ليس في عصر المرابطين والموحدين فحسب بل في جميع العصور التي سبقتهم والتي جاءت بعدهم.

وذلك لما لها من عناية وحرمة تمنع الاعتداء عليها وللحث على عمارتها بالبناء والعبادة، وهي الغاية التي خلق الله الإنسان من أجلها، خاصة المساجد التي يحتاجها الناس ولهذا وضع الفقهاء مجموعة من الشروط² عند بناء المساجد منها أن يكون في وسط المدينة وأن تكون له طرق ميسورة يسهل الوصول إليها ولا بد أن يكون موضع البناء ليس ملكاً لأحد أو يتنازل عنه أصحابه ليستمر المسجد ويكون لله دون سواه كما يتوجب الاحتياط في مواد بنائها وأن تكون هذه المواد طاهرة خالية من التجasse³.

¹ يوسف البرغوثي، المرجع السابق، ص 85.

² يرى ابن حزم أنه لا يحل بناء مسجد عليه بيت مملوك ليس من المسجد ولا بناء مسجد تحته بيت مملوك ليس منه فإن حدث ذلك فإنه لا يعتبر مسجداً فلا يكون مسجداً إلا إذا كان خارجاً عن ملك كل أحد دون الله تعالى ينظر: ابن حزم، *المحلّي بالأثار*، ترجمة عبد الغفار البنداري، ج 3، دار الفكر، بيروت، 1988، ص 168.

³ إبراهيم الخضيري، *أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية*، ج 2، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1419هـ ، ص 9.

وقد حث الشرع الحنيف على وجوب تعهّدها وإصلاحها وفي ذلك يقول المولى عز وجل {في بُيُوتِ أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} ^١ ومعنى ترفع تبني وتعمّر وتطهّر من الأذى وتصان من المجانين والصبيان، كما وردت أحاديث كثيرة ترغّب في بناء المساجد وتطيبها وتبخّيرها^٢، وتبيّن فضل صفوتها الأولى فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أُولُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أُولُهَا" ^٣ ولهذا نجد معظم مخطّطات المساجد مستطيلة الشكل باتجاه عرضي لإطالة الصّفوف الأولى المخصّصة للرجال وهو شكل جل المساجد المرابطية والموجّدية في المغرب الإسلامي.^٤

- المسجد الجامع:

لم تكن لفظة المسجد الجامع معروفة في العصر الجاهلي فالاسم جاء مع ظهور الإسلام، فكلّ موضع يتبعّد فيه هو مسجد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جَعَلْتُ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا"^٥، ثم قيل المسجد الجامع ومسجد الجمعة والمسجد الأعظم ثم ظهر لفظ الجامع وهو صفة للمسجد ووصف بذلك لأنّه علامة للاجتماع^٦، وكان في كلّ مدينة مسجد جامع واحد تقام فيه صلاة الجمعة فكان كلّ جامع مسجداً ولم يكن كلّ مسجد جاماً، والفرق بينهما أنّ الجامع تقام فيه صلاة الجمعة بينما المسجد هو المكان الذي تؤدى فيه

^١ القرآن الكريم، سورة النور، الآية 36.

²- ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، تحرير سامي بن محمد السلام، ج 6، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999، ص 62.

³- أبو عبد الرحمن النسائي، *سنن النسائي*، تحرير محمد رضوان عرقسوسي وأخرين، ج 2، ط 1، دار الرسالة العالمية، سوريا، 2018، ص 156.

⁴- كمال عناني إسماعيل، *الآثار الإسلامية في المغرب*، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2016، ص 247-295.

⁵- البخاري، *صحيح البخاري*، ج 1، دار طوق النجاة، بيروت، ص 95.

⁶- حسن عبد الوهاب، *تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة صاحب الجلة الملك الصالح فاروق الأول*، ج 1، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1946، ص 11، ينظر أيضاً: يوسف البرغوثي، المراجع السابقة، ص 86.

الصلوات الخمسة، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدياد عدد سكان المدن جاءت الحاجة إلى إقامة أكثر من مسجد جامع.¹

غير أن كتب الفقه والفتاوی وعلماء المذهب المالكي، وهو المذهب الرسمى لدولة المرابطين لم تسمح بتعدد جوامع الخطبة في المصر الواحد إلا عند الضرورة القصوى، فالترخيص في خطبة جديدة لا يكون إلا لمصلحة عامة ولصلاح الناس حتى يتوفّر للمصلين الظروف الملائمة كعدم اتساع المسجد وضيقه أو بعد المسافة الذي يترتب عليه مشقة كبيرة، أو وجود حاجز يفصله عن السكان كالسور والخندق والنهر وغيرها، وهو ما أكده الإمام القاضي سحنون في فتوى تخصّ قرية فيها مسجد فأراد أهلها بناء آخر فكان ردّه فإن كان فيهما محمل من يعمرهما فحسن وإن قل المصلون، ويختلف من تعطيل أحد المسجدين فلا يُبني²، وال الجمعة تجب في الأماكن والقرى التي تشبه الأماكن واختلف في ما دون ذلك فقال مالك رحمه الله تقام في القرية المجتمعة التي اتصلت منازلها وفيها السوق وقال في موضع آخر مرة المتصلة البنيان وهو ما ذهب إليه الإمام سحنون في أنها تقام في المدن وما شابهاه وسئل محمد بن سحنون عن القرى التي أحدثت فيها المنابر فأجاب بأنه لا يرى ذلك والأمر مختلف فيه³.

وقد ألقى كتب الفتاوى الضوء على تنازع المساجد على إقامة صلاة الجمعة فقد سئل ابن رشد الجدي في نازلة مفادها أن أربعة عشرة قرية كانوا يصلون في جامع قديم انفقوا على بنائه والصلاة فيه لكونه وسطا بينهم وما لهم فيه من المنفعة، وانتقلوا بعدها إلى حصن في أعلى القرى المذكورة ثم انتقلوا إلى قرية قريبة من الحصن وبها مسجد يصلون فيه، وبعد عودة الأئم عاد الناس إلى منازلهم في القرى المذكورة وبقي بعضهم، فانقسموا إلى فرقتين طائفتين عادوا إلى المسجد القديم وطائفه تصلي في المسجد الحديث الذي في القرية التي انتقلوا إليها

¹ يوسف البرغوثي، المرجع السابق، ص 86.

² ابن أبي زيد القيرولي، التوارد والتزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تج، عبد الفتاح محمد الحلو، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 535.

³ أبو الحسن اللخمي، التبصرة، تج أحمد عبد الكريم نجيب، ج 2، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قط ، 2001، ص 565.

واحتاج أهل المسجد الحديث بأنّ قريتهم بها ثلاثة دارا، وأنّ القرية القديمة ليس بها إلا اثنتا عشرة دارا بينما احتاج أهل سائر القرى بأنّ مسجدهم يقع في وسط القرى والقرية الحديثة بعيدة عنهم وفي تنقلهم مشقة وضرر عليهم، فأجاب بأنه لا يراعي قدم الجامع القديم إذ انقطعت عنه الصلاة لانتقال أهله عنه بالفترة إلى جامع الحصن فالواجب أن تبقى الجمعة في القرية الحديثة التي انتقلوا إليها، ولا تعود إلى الجامع القديم بعودة الناس إلى أوطانهم.¹

ويعتبر تشييد المساجد الركيزة الأساسية التي قامت عليها العمارة في المغرب الإسلامي كونه من أهم أجزاء العمارة الإسلامية، ومركز المدينة، إذ كان الفاتحون يحرصون على تنظيم المركز، وذلك ببناء المسجد الجامع، الذي تتمركز حوله المدرسة والسوق اللذان يؤديان الوظيفة الثقافية والتجارية، كما أن المسجد كان له أدوار عسكرية إذ تعقد فيه الألوية للجهاد، وتتم فيه البيعة للأمراء، وفيه تتم شورى أمراء المسلمين² فالمسجد كان محور حياة المجتمع سياسياً واقتصادياً وثقافياً ومنه يمكن تتبع الحركة العمرانية واتجاهاتها للمدن الإسلامية كونه عضواً جوهرياً فيها.

أولاً: الأوضاع العامة في عهدي المرابطين والموحدين

عرف المغرب الإسلامي منتصف القرن الخامس الهجري تحولات كبرى نتج عنها واقعاً اتسم بالانقسام وبروز النزاعات، لكن هذه الظروف لم تستمر بل ستكون دافعاً لانطلاق نظام مركزي من أقصى جنوب المغرب الإسلامي، ليصبح الجنوب منذ هذا التاريخ ولقرون عديدة ولاحقة هو صانع التاريخ في بلاد المغرب بعدهما كان الشمال هو من يقوم بهذا الدور بظهور دولتي المرابطين والموحدين، هذا التحول عكس صعود قوي جديد فرضت هيمنتها على المراكز الكبرى في الشمال.

¹ أبو الوليد بن رشد القرطبي، مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد، تج، محمد الحبيب التجكاني، ج 1، ط 2، دار الجيل، بيروت 1993، ص 697-698.

² علي حجيج سعيدة مفتاح، المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة 1830/1251، 1420/1999، مؤسسة كنوز الحكم، الجزائر، 2011، ص 8-9.

أ. الأوضاع العامة في العهد المرابطي:

دولة المرابطين عمرت ما يقارب اثنين وسبعين سنة (448هـ-1056م)، إذ يعود الأساس البشري لهذه الدولة إلى قبيلة صنهاجة¹ الذين يُقال لهم لمتوئه والمملمون²، الذين يعتبرون أحد قبائل البرانس من البربر، وأنهم أعظم قبائلها بال المغرب فلا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو سهل حتى زعم البعض أنهم ثلث البربر.³

كما أكد ابن خلدون أنهم أوفر القبائل بالغرب الإسلامي من خلال قوله: "لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط"⁴، وتحت صنهاجة قبائل كثيرة⁵، ولهذه القبائل بطون وأفخاذ تفوق الحصر⁶، وكان مجالها فقير صعب صحراوي فرض على هذه القبائل التّنقل والتّرحال المستمر بحثاً عن الكلأ، كما وجب التنّويه أنّ هذا المجال يحتوي على مؤهّلات من نوع آخر تتمثل في وجود مادة الملح التي كان لها قيمة كبيرة في ذلك الوقت.⁷

¹ قبيلة صنهاجة: بطن من البرانس وبطونهم تنتهي إلى سبعين بطنًا أشهرها لمتوئه، كدالة، مسوفة، لمطة، وموطنهم الصحراء ومنهم من موطنه بين المغرب الأوسط وإفريقيا، ويقال لهم بنو صنهاجة بن أوريغ بن بنس، ينظر: ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 202.

² محمد ابن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدى البواعدي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1987، ص 99.

³ الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، ج 2، تج، جعفر ومحمد الناصري، المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، دت، ص 3. - ينظر أيضاً: مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 102.

⁴ عبد الرحمن بن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 201.

⁵ ذكر بعض الباحثين أنها تنتهي إلى السبعين منهم لمتوئه وجدة وجزولة ومزغنة ولمطة وبنو وارث وبنو مسفير وبنو دخرين وبنو زياد وبنو موسى وبنو قشتال وغير ذلك، وصنهاجة المدر سكنوا المناطق الشمالية وبنوا البيوت والمنازل، في حين صنهاجة الوبر هم قبائل الملثمين الرّحل وسكنوا الخيام بأقصى الجنوب محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، ج 3، ط 3، دار الفكر العربي، مصر، 2010، ص 827.

⁶ وهذه القبائل كلّها صحراوية، وكانت لهم بال المغرب دولتان عظيمتان إحداهما دولة بنو زيري بن متّاد الصنهاجيين بإفريقيا والمغرب الأوسط، ورثوا ملكها من يد الشيعة العبيدين، والأخرى دولة الملثمين بالمغرب والأندلس وموطنهم أرض الصحراء والرماد الجنوبية فيما بين غدامس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً ومن جبال درن شمالاً إلى تخوم بلاد السودان جنوباً، ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عروضاً، ينظر، ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 201. - ينظر أيضاً: الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 3.

⁷ محمد سليمان الطيب، ج 3، المرجع السابق، ص 828.

استقرت فروع كثيرة من صنهاجة بالمغاربة الأوسط والأقصى¹. ويرى الباحثون أنّ الملثمين ينتسبون إلى قبيلة لمتونه إحدى بطون صنهاجة وكانت لمتونه تتولى رئاسة سائر قبائل مسوقة ومداسة وجادلة ولمطة وغيرها، ثم آلت الرئاسة إلى قبيلة جادلة على عهد الأمير يحيى بن إبراهيم الجداي، وذلك لأنّ جادلة ولمتونة قبيلتان شترتكان في جد واحد، ويبدو أنّ إطلاق اسم الملثمين كان في البداية خاصاً بقبيلة لمتونه، وأصبح فيما بعد شعاراً لكلّ من حالفهم ودخل تحت سيادتهم من القبائل²، وأزهى فترة لدولة المرابطين هي الربع الأول من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي (6/12م) أي فترة حكم يوسف بن تاشفين (400هـ - 500هـ/1109م - 1106م) وابنه علي (537/500م - 1143م)³

وتعدّدت الروايات حول أصل تسميتهم منها ماما ذكره ابن خلكان: "أنّ أسلافهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحرّ والبرد يفعله الخواصّ منهم، فكثر ذلك حتّى صار يفعله عامتهم"⁴، ومنها أيضاً: أنّهم عُرّفوا بالملثمين لاتخاذهم لثاما داكن اللون، كما عرّفوا بالملثّون نسبة إلى قبيلة

¹ واستوطن بعضها الأطلس المتوسط والساحل الأطلسي، كما ضربت في الصحراء الكبرى حتّى نهر النّيجر ونهر السنغال حيث أقام الملثمون رباطهم، وشتهرت القبائل الصنهاجية في التاريخ باسم الملثمين، وأصبح اللثام شعارهم إلى أن لقّبوا بالمرابطين ينظر، إبراهيم حرّكات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، الدار البيضاء، د ط، دار الرّشاد الحديثة، 2000، ص 154-156.

² عبد المنعم حمدي محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص 37. - ينظر أيضاً: إبراهيم حرّكات، ج 1، المرجع السابق، ص 154.

³ ليوبولد تورس بالباس، المرجع السابق، ص 10.

⁴ ويذكر أيضاً أنّ أجدادهم كانوا يتلثمون لشدة الحرّ، وأنّهم آمنوا بالرسول عليه الصّلاة والسلام وكانوا قلة فاضطروا للهروب لما غلب عليهم العدو فتلثّموا بقصد التّمويه، وبعد أن ظفروا على عدوهم لزموه تبركاً بما حصل لهم⁴، لقد لقّبوا بألقاب عديدة، ولكن هناك لقب يتعلّق باسمهم وهو الملثمون، وكانوا مثل أحفادهم الحاليين المعروفيين بالطّوارق⁴، الذين يضعون اللثام وهو قطعة من القماش يغطي بها الرجال وجوههم من الأسفل إلى الأعلانين خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء الزّمان، ج 7، تحرير: إحسان عباس، ط 1، بيروت، دار صادر، 1994، ص 129. - جورج مارسييه، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، شبكة المعارف بالإسكندرية للنشر، مصر، ص 265.

لمتونة التي كانت تتولى الرئاسة على سائر القبائل الموجودة بين الصحراء الغربية و Moriitania الإسلامية.¹

مرّ بنا لآخر أسماء لمتونة و صنهاجة والملثمين، ويغلب اسم المرابطين على هذه الدولة منذ أن أسس عبد الله ابن ياسين² رباطه بجزيرة تقع في السنغال الأدنى³، وقد مرّت هذه الدولة بثلاث مراحل: مرحلة الدّعوة والشّأة والتّكوان والتي انطلقت من الصّحراء برحلة يحيى ابن إبراهيم الجالي إلى المشرق، ومرحلة العظمة والمجد والتّوسيّع نحو الشّمال وتوحيد بلاد المغرب، ومرحلة المرور إلى الأندلس وضمّها⁴.

أما من الناحية العسكرية، فقد حقق المرابطون انتصارات باهرة أبرزها معركة الزلاقة سنة (479هـ/1086م) ضد القويّة المسيحيّة في الأندلس وكانت انتصاراتهم بفضل انضباطهم وقوّة فرسانهم واعتمادهم على الجهاد في مواجهة التمرد الداخلي و التهديدات الخارجية، كما عُرف عنهم السرعة الخاطفة⁵.

¹ محمد الأمين بلغيث، الرابط بال المغرب الإسلامي ودورها في عصرى المرابطين والموحدين، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 163.

² عبد الله ابن ياسين: أحد أبرز شخصيات دولة المرابطين، والداعي الروحي للدولة ارتبط قيام الدولة به، عرف عنه حسن سيرته وغزاره علمه حيث طلب العلم عند فقيه السوس الأقصى وجاج بن زلوا للمطبي وقد تمكّن بفضل شخصيته القوية التي جمعت بين الصّرامنة والعلم والحكمة السياسيّة من تكوين مجموعة من الأفراد كان لهم الفضل الكبير في تأسيس الثّواة الأولى لدولة الملثمين توفّي سنة (451هـ-1059م) بعد أن أعدّ رجالاً حملوا المشعل بعده أبرزهم أبو بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين . ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج 8، تحقيق أحمد أعراب، ط 1، المغرب، مطبعة فضالة، 1983، ص 81.-النويري، ج 24، المصدر السابق، ص 255.

³ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مصر، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1999م، ص 607.

⁴ للتفصيل في مرحلة أصل ونشوء دولة المرابطين نحيل القارئ إلى أهم المصادر والمراجع التي تناولت دولة المرابطين ينظر: ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 242-252.- ابن خلكان، المصدر السابق، ج 7، ص 112-130، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تخريص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عهد الموحدين، تحقيق عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، ط 1، بيروت، المكتبة العصرية، 2002، ص 122-135.- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج 3، ط 2، القاهرة، مكتبة 1990، ص 3-36.- السيد عبد العزيز سالم، المغرب، المرجع السابق، ص 604-663.

أما من الناحية الاقتصادية فقد عرفت نهضة كبيرة إذ حرص أمراء المرابطين على استغلال الأراضي الخصبة وخاصة في الأندلس لانتاج الحبوب والتجارية واستفادوا من الموقع الاستراتيجي بين الصحراء وبلاد المغرب والأندلس فسيطروا على التجارة الصحراوية من خلال تحكمهم في الطرق الصحراوية مما وفر لهم موارد ضخمة أدت إلى تطور الصناعات التي أسهمت بدورها في تشييد العمارة وتعزيز السلطة¹.

ب-الأوضاع العامة في العهد الموحد:

شهد التاريخ قيام دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين، والتي وحدت الغرب الإسلامي إذ كان قيامها أحد أهم أسباب سقوط دولة الملثمين، وقد عمّرت قرنا ونصف قرن من الزمان (541هـ-1146م/668هـ-1269م).

إن هذه الإرهاصات العامة لظهور دولة الموحدين مرتبطة بالمشاكل الخارجية والداخلية التي عانت منها الدولة المرابطية، حيث امتد سلطان الدولة الموحدية من المحيط الأطلسي غربا إلى طرابلس شرقا ومن الأندلس شمالا إلى تخوم الصحراء الكبرى جنوبا.

¹ - عيسى بن ذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية اقتصادية 480هـ/540هـ-1056، رسالة دكتوراه، إشراف أحمد شيفي، جامعة الجزائر، 2008/2009، ص ص 25-200.

حكمها ما يزيد عن أربع عشر حاكما¹، شهد الغرب الإسلامي استقراراً في الأوضاع بال المغرب والأندلس، ما مكّن من ازدهار وتطور العمارة والعلوم والفنون²، وقد استندت في قيامها على دعوة دينية إصلاحية قادها أبو عبد الله محمد بن تومرت الملقب بالمهدي³، الذي ينتمي إلى قبيلة هرغة المصمودية⁴، إلا أنَّ المؤسس الحقيقي للدولة هو عبد المؤمن بن علي الكومي⁵ ومن معه من قادة الموحدين، وكان لسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين سنة 541هـ-

¹ تمت مبايعة المهدي بن تومرت سنة (515هـ-1121م) وهو المؤسس الروحي للدولة وواضع أسسها أعلن نفسه بـأئته "المهدي المنتظر" ثم خلفه عبد المؤمن بن علي الكومي الذي حكم (524هـ-1130م/558هـ-1163م) ولقب بال الخليفة وبالإضافة إلى المهدي وعبد المؤمن بن علي يعتبر أبو يوسف يعقوب المنصور (595هـ-1184م) أحد أبرز حكام الدولة الموحدية قائد معركة الأرك الشهيرة ضد النصارى كما يعتبر باني الموحدين لما عُرف عن عصره من كثرة البناء والتشييد وكانت وفاة آخر حكام الدولة أبي العلاء الواثق في العشرين الأخير من ربيع الآخر خمس وستين وسبعين مئة في موضع كتامة الذي يبعد عن مراكش بحوالي ثلاثة أيام وبهذا انقضت بعده دولة الموحدين، انظر: العمرى، المصدر السابق، ج 27، ص 268.- عبد المجيد النجاشي، المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي التوسى المتوفى سنة 1129/524 حياته وأراؤه وثراته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص 378.

² عثمان عثمان إسماعيل، ج 3، المرجع السابق، ص 52.

³ هناك اختلاف في تاريخ ولادة محمد بن تومرت والذي لقب نفسه بالمهدي فقد ذكر المؤرخون سنة (470هـ/1077، وسنة 490هـ/1097، وسنة 491هـ/1098م) بمنطقة السوس جنوب المغرب الأقصى بمنطقة تسمى إجليز وقد ارتبط اسم دولة الموحدين به وهي تختلف عن دولة المرابطين من حيث التشاشة والتأسيس حيث كان منطلق المرابطين من مبدأ الجماعة عكس دولة الموحدين والتي كانت فكرة شخص يحمل فكراً وعقيدة وتكونينا فكريًا عالياً مكّنه من تأسيس دولة من أعظم دول العالم الإسلامي. ينظر: محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تتح محمد ماضود.- ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص 4.- روجر لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة أمين الطيبى، ط 3، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، 1998، ص 13.

⁴ من قبائل المصامدة وهي قبيلة المهدي التي بايعته على الإيجار والحماية بالإضافة إلى قبيلة نفيسة وهزرجة ووريكوكديمة، وكوميه وهي القبائل التي نالت مزية السبق في مبايعة المهدي. ينظر: ابن خلدون، العبر ج 6، ص 359.

⁵ عبد المؤمن بن علي: بن يعلى بن مروان بن ناصر من قبيلة كومية نسبة لقرية كومية القرية من مدينة تلمسان بال المغرب الأوسط وكان النسايون ينسبونه لقيس بن عيلان بن مصر كنيته أبو محمد وهو زناتي الأصل من موضع يقال له تاجرا بالقرب من مرسى هنین بتلمسان وكان حازماً وله صفات الرئاسة مما دفع بالمهدي بن تومرت أن يضمّه إليه عند لقائهما في قرية ملالة قرب بجاية، ينظر، أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام في مدينة فاس، الرباط، دار المنصور، 1973، ص 446.

(1146م) تداعيات خطيرة على المغرب والأندلس، حيث سقطت آمرية في يد النصارى ثم طرطوشة لتعرف الأندلس بعدها حالة من التفكك السياسي، كما حاول النصارى احتلال بلاد المغرب الإسلامي، وكانت الأوضاع الداخلية متفاوتة لصراعات القبائل الهمالية، كما أن جزيرة صقلية قد ضاعت من المسلمين ووصل التورماند إلى إفريقية واحتلوا المهديه هذا في الجهة الغربية للعالم الإسلامي، أما جناحه الشرقي فلم يكن أسعد حظا فالخلافة العباسية (132هـ-656هـ-1258م) قد تهافت أمام المغول وسقطت بغداد عاصمة الخلافة في يد التتار.¹

في هذه الظروف ظهرت دولة الموحدين التي جمعت شتات الغرب الإسلامي، وغدت من أعظم دول المغرب الإسلامي، إذ كانت نشأتها بعد رجوع محمد بن تومرت من بلاد المشرق التي انطلقت سنة (501هـ-1107م) جاب خلالها أغلب حواضر العالم الإسلامي فمرّ على كل من بغداد والشام ومصر، أين أقام بالإسكندرية والمهدية وبجاية حيث كان لقاوه مع عبد المؤمن ابن علي الكومي، ثم اتجه إلى مدينة فاس حيث عمل على تكوين أتباع له يعتمد عليهم في إصلاح مافسد من بلاد المغرب وإسقاط خصومه المرابطين، وأنكر على من يستعمل حوانينا للآلات الموسيقية والمزامير والعيدان وغيرها من آلات الله، ولما بلغ خبره والي المدينة عقد له مناظرة مع فقهاء المدينة ظهر عليهم ليشيروا على والي المدينة بطرده، إذ توجه هو وأتباعه إلى مدينة مراكش سنة (514هـ-1201م)، ليعد على محاربة المناكر بناحية مراكش خاصة بعد أن ظهرت في هذه المدينة مظاهر الفساد والانحلال الخلقي كبيع الخمور والبعد عن تعاليم الدين الإسلامي²، وفي هذا يقول عبد الواحد المراكشي: "واختلت حال أمير المسلمين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلاعا شديدا فظهرت في البلاد مناكر كبيرة... واستولت النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونه ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشريـر وقاطع سبيل وصاحب خمر وما خور".³.

¹ عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج 3، ص 49.

² ابن الكرديوس، *الاكتفاء في أخبار الخلفاء*، تتح صالح بن عبد الله الغامدي، ج 1، ط 1، تونس، الدار التونسية، 2008، ص 24. - محمد عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 170-180.

³ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 135.

تبّى المهدي بن تومرت قضيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنكر الممارسات العائمة كالاختلاط وبيع الخمور وسفر النساء، ودخل مع الفقهاء في مساجلات عقائدية¹، فدعا صيته لما رأت الجموع من تبصّره في العلم وصبره على المعيشة حيث كان يقيم في مسجد مهجور هو وبعض أصحابه².

طرد ابن تومرت للمرة الثانية من المدينة فخرج إلى إقليم السوس واستقر بمنطقة تتمل³، وأنباء فترة مُكوثه سعى إلى نشر أفكاره⁴. ومع حلول سنة (517هـ-1123م) كان قد أعدّ جيشاً معظمها من قبيلة مصمودة من أهل تتمل وأهل السّوس، حيث أمرهم باجتثاث المرابطين بدعوى أنّهم زنادقة مارقين عن الدين، مخيراً إياهم بالتّوبّة والرجوع إلى الحقّ حسب زعمه فإن تابوا حقن دماءهم وإن رفضوا استباحها⁵.

وال واضح من هذا الخطاب أنّه يدعوا للحرب والجهاد ضدّ دولة المرابطين؛ إذ تمّ تولية عبد المؤمن ابن علي الكومي من طرف المهدي على قيادة الجيش لينطلقوا صوب مدينة مراكش

¹ وحسب ما أفادت المصادر التّاريخية أثبت محمد بن تومرت علوّ كعبه في فنّ المناظرات على فقهاء المرابطين لاعتماده على الدّاعية ومساعده في ذلك تعدد مناهله فقد أخذ عن الشيعة فكرة المهدوية ونهل من الأشاعرة تأویل الآيات والأحاديث كما اعتمد على المعتزلة في إثبات الذات واتهام خصومه بالتجسيم والمروق عن الدين والتشبيه لأخذهم النصوص على ظاهرها ليخلص إلى تكفيرهم على طريقة الخارج، ينظر: أبو بكر بن العربي الإشبيلي المالكي، *المسالك في شرح موطأ مالك*، ج 1، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2008، ص، 49.- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 141.

²- تاج الدين السّبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، ج 6، ط 2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1992، ص 111.

³ تتمل: مدينة صغيرة في السّوس الأقصى موقعها جنوب شرق مدينة مراكش، وهي موطن محمد بن تومرت وكانت مركزاً للدّعوة والعقيدة الموحدية وبني فيها المهدي حصناً ومسجدًا ينظر: صلاح أحمد البهنسى، *عمارة بلاد المغرب والأندلس في العصر الإسلامي*، ط 1، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، 2023، ص 142.

⁴ يقوم بتعليم البربر فلاقت أفكاره رواجاً بينهم، إذ جعلها داراً للهجرة مدعياً المهدوية عاملاً في ذلك على تنظيم أتباعه مصنّفاً إياهم إلى مجموعتين الأولى هي: العشرة أو الجماعة وهم من أخلاص أنصاره المقربين ومستشاريه، والثانية هم: القبائل وأبرزهم هرغة وتينمل هنتاتة وقبيلة كدمية وتتفيسة وهسکورة ينظر، شهاب الدين التويي، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 24، ط 1، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2002، ص 280.- ينظر أيضاً: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 286.- القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنسا*، ج 5، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، ص 186.

⁵- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ص 144

فكان اللقاء في موضع البحيرة¹، ليتمكن المرابطون من حسم هذه المعركة لصالحهم ولمّا عاد جيش عبد المؤمن إلى تتمل هون عليهم المهدي الهزيمة ورفع من حماسهم، وفي سنة (524 هـ-1130م) مرض ابن تومرت ولما أحس بدنو أجله نصح أتباعه وأعلن عن اختياره لخلفيته عبد المؤمن وطلب مبايعتهم له وقال لهم: "اخترنا لكم رجلاً منكم وجعلناه أميراً عليكم هذا بعد أن بلوناه"². وتوفي محمد بن تومرت في رمضان عام 524 هـ بعد مرض أصابه، وتولى عبد المؤمن الكومي خلافة الموحدين بعد وفاة ابن تومرت³ لتبدأ المرحلة الحقيقة لتأسيس دولة الموحدين⁴.

اعتمدت دولة الموحدين على قوة عسكرية منظمة في قيام دولتها وكان الجيش يضم الفرسان المدربين والقبائل البربرية المتحالفه ما مكّنها من بسط نفوذها على كامل بلاد المغرب وأراضٍ واسعة في بلاد الأندلس وتعتبر معركة الأرك من المعارك الكبرى التي انتصر فيها الموحدون ضد ألفونسو الثامن سنة (591هـ/1195م) غير أن هزيمتها في معركة العقاب سنة (609هـ/1212م) شكلت بداية تراجع وزوال الدولة⁵.

أما من الناحية الاقتصادية فقد حرص الموحدون على ضمان التوازن بين المداخيل والنفقات للنهوض بالاقتصاد فقاموا بتخفيض الضرائب وتأمين الطرق فنشطت التجارة الداخلية

¹- معركة البحيرة: من أشهر المعارك التي جرت بين المرابطين والموحدين يوم الجمعة من ربيع الآخر سنة (524 هـ-1130م) تفوق فيها المرابطون وكانت خسائر الموحدين عظيمة فلما وصل الخبر إلى عبد المؤمن سُأله عن عبد المؤمن وهل ما يزال حياً فلما اطمئنَ أنه على جواه قال قد بقي أمركم ولم يهلك أحد وسيكون للموحدين شأن ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 167. -ابن الأثير، *ال الكامل في التذريخ*، ج 8، تج، عمر عبد السلام التدمري، ط 1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1997م، ص 660.

²- عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 147.

³- النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 289.

⁴- للتفصيل في مرحلة تأسيس دولة الموحدين نحيل القارئ إلى أهم المصادر والمراجع التي تناولت بالتدقيق التعريف بالموحدين ودولتهم، ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 301-350.-النويري، المصدر السابق، ص 277-289.-ينظر، عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 177-177.-عبد العزيز سالم، المغرب، المرجع السابق، ص 683-778.

⁵- داود عمر سلامة عبيات، *الموحدون في الأندلس*، دار الواضح للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص ص 116-114.

والخارجية عبر الموانئ الكبرى وطرق القوافل الصحراوية وازدهرت الزراعة والصناعة وبهذا مثل الجيش القوي والاقتصاد المزدهر دعامة أساسية لحضارة الموحدين¹.

ثانياً: بناء المساجد وترميمها في عهد المرابطين:

حرص المرابطون على بناء العمارت الدينية والمساجد لإقامة الشعائر الدينية، إضافة إلى تشييدهم الكثير من المساجد الجامعة بمختلف المدن التي وصلوا إليها، وهو ما أشار إليه ابن أبي زرع الفاسي أنَّ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لما وصل إلى مدينة فاس سنة (462هـ - 1060م) أمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين العدويتين، عدوة القرويين وعدوة الأندلسين، وجعلها مدينة واحدة، كما أمر ببناء المساجد بكثرة في الأحواز والشوارع بل ذهب إلى معاقبة كل زقاق تقاعس أهله عن بناء مسجد فيه وأجبرهم على تشييد مسجد فيه²، ولم يكن هذا في بلاد المغرب فقط فإنَّ يوسف لما جاز إلى بلاد الأندلس أمر بتوسيعة مسجد سبتة حتى أصبح يُشرف على البحر³، فكان بناء المساجد من أجل الأعمال التي ركَّزَ عليها حُكْمَ هذه الدولة⁴، كونها البيوت التي تسهم في الإصلاح الديني والاجتماعي وإذا كان كثير من تلك المؤسسات قد اختفت

¹- صديقي عبد الجبار ، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات رسالة ماجستير، إشراف مكيوي محمد ، جامعة تلمسان، 2014/2013، ص ص 74-84.

²- ابن أبي زرع، الأنبياء المطرب بروض القرطاس في ذكر ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقنة، الرباط، 1972، ص 141.

³- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحرير سهيل زكار و عبد القادر زمانة، ط1، الدارالبيضاء دار الرشاد الحديثة، 1979م، ص 72.

⁴- دليل ذلك ما قام به يوسف بن تاشفين فقد كانت المساجد من أولى اهتماماته وقد بلغ عدد المساجد حسب ابن أبي زرع في عهده ما يزيد عن الألف وتسعمائة في كل من المغرب والأندلس بقوله: "خطب له بالأندلس والمغرب على ألف منبر وتسعمائة" وهو رقم كبير استغلَه في تقوية بنية المجتمع حيث أمر ولاته بالإشراف عليها، سواء في فاس أم مراكش أم تلمسان أم الجزائر، وتميزت المساجد المرابطية الأولى بالبساطة في تخطيطها، وهو ما كانت عليه المساجد الإسلامية الأولى، يذكر ابن خلدون في مقدمته أنَّ المبني والصناعات في الملة الإسلامية قليلة مقارنة بقدرتها والتسبب حسبه يعود في ذلك أنَّ العرب أكثر بداوة وأقل إماماً بالصناعات، بالإضافة إلى ذلك، فقد كان الذين أول الأمر سبباً في هذه البساطة لمنعه المغالاة في البناء والإسراف فيه في غير القصد، بناء على ذلك نلاحظ المسحة البسيطة في بناء المساجد الأولى في الإسلام، ينظر: ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 447.

- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 136.- سناء عطابي، الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر - الخامس عشر الميلادي تلمسان نموذجاً، أطروحة دكتوراه، إشراف علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2017-2018، ص 218.

واندثرت سواء بسبب الحروب أو الكوارث الطبيعية فقد بقي من عصرهم عديد المساجد في المغرب الإسلامي قائماً إلى يومنا هذا، منها جامع تلمسان والمسجد الجامع بمدينة الجزائر، وكذلك المسجد الجامع بمدينة ندرومة وجامع القرويين بفاس¹، ويمكن تقسيم المساجد إلى صنفين مساجد جامعة تقام فيها صلاة الجمعة ومساجد أحياء تقام فيها الصلوات الخمس دون صلاة الجمعة، ويبدو أن المساجد الجامعة كانت تقام في وسط المدينة وكان عددها قليلاً لكبر حجمها وقدرتها على استيعاب عدد كبير من المصلّين، أمّا المساجد الصغيرة فكانت تبعاً لحجم المدينة وسعة كثافتها السكانية² ولم تشر المصادر التاريخية كثيراً للمساجد الصغيرة سواء في المدن أم الأرياف³.

أ- مسجد القرويين بمدينة فاس:

يعود بناء مسجد القرويين الذي يقع في وسط المدينة القديمة بفاس إلى فترة حكم الأدارسة، وتحديداً في عهد الأمير يحيى بن محمد بن إدريس الذي وفت في عهده عديد الأسر العربية والبربرية من المغرب والأندلس وكان بينها أسرة محمد بن عبد الله الفهري القروي وكان نزوله بعدها القرويين مع أهل بلده، وعندما أدركه أجله خلف بنتين هما مريم وفاطمة الملقبة بأم

¹ ليويولدو توريس بالباس، المرجع السابق ص 16.

² عبد العزيز لعرج وأخرون، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ج 1، ص 69.

³ يواجه الباحث عن المنشآت المعمارية في العصر المرابطي صعوبة كبيرة لتنبيتها وذلك لندرة المصادر والوثائق التي وصلت إليها أو تم طمسها للخلافات المذهبية مع الموحدين مثل ظاهرة إحراق الكتب ككتاب الإحياء للإمام الغزالى، كما أن بعض المصادر لم تزد عن إخبارنا بـ وبنوا واحتظوا وشيدوا مثال ذلك ما ذكره الإدريسي عند حديثه عن جامع خطبة مدينة مراكش بقوله وبني بها جامع بناء يوسف بن تاشفين، ينظر: الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 234، الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 540.-أحمد بابا الشبكي، نيل الإلهام بتطريز الدباج، تتح عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 2، طرابلس، دار الكاتب، 2000م، ص 311.

البنيان¹، وهذه الأخيرة هي التي يعود إليها فضل تشييده بعدهما رأت أن جامع الأشياخ² بالعدوة الشرقية ومسجد الشرفاء بالعدوة الغربية كليهما قد ضاقا بالمصلين وأصبحا لا يفيان بحاجة المصلين، حيث أمرت ب المباشرة بناء جامع جديد سنة (245هـ-859م) وقد اختارت فضاء فسيحا به بعض الأشجار مملوكة لرجل من هورة فاشترته منه بستين أوقية وأمرت بتسوية أرضيته وتنقيتها من الحجر والترب وحرصت على إتمام بنائه وتوفير الماء عبر حفر الآبار من نفقتها الخاصة³.

وأشارت المصادر التاريخية إلى تفاصيل مهمة عن بداية عمارته وخططيته الأولى في عهد السيدة فاطمة سنة (245هـ-859م) حيث كان تصميمه العام على نحو ما عرف بالمسجد الأموي الكبير بدمشق وجامع القironان، فقد جاء مربعاً إلا أن تربيعه لم يكن تماماً فقد كان عرضه أكبر من طوله تبلغ أبعاده ما يقارب (150 شبراً) أي نحو (32م) ومن الشمال إلى الجنوب (39م) أي ما يقارب (39×32متراً) بمساحة تقارب (1300م) من الشرق إلى الغرب، ويكون من الشتي عشرة بلاطة على جانبيه أكبرها البلاط الأوسط⁴، به مئذنة صغيرة بنيت في الضلع الشمالي من المسجد على نفس محور المحراب وهي بذلك على نمط مئذنة جامعي القironان وقرطبة⁵.

¹ هي فاطمة بنت الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله الفهري القironاني، هاجرت أسرتها إلى مدينة فاس مع عديد الأسر القironانية في عهد الإمام محي الدين يحيى الأول حميد إدريس (234هـ-848م)، وقد قامت هذه الفتاة المسلمة المعروفة بأم البنين بتكريس ثروتها التي ورثتها عن والدتها لبناء جامع القرويين بالقرب من مكان سكناها، فدخلت التاريخ بصفتها من أوائل السيدات اللواتي ببنين مسجداً من مالها الخاص إذ كان المتعارف عليه حتى ذلك التاريخ أن الدولة هي من تقوم ببناء المساجد ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 54، عبد الهادي التازى، ج 1، المرجع السابق، ص 47-48.

² جامع الأشياخ: يعتبر أقدم مسجد في منطقة فاس احتله إدريس الأول ثم بُني على أنقاضه جامع الأندلس على يد مريم الفهري شقيقة فاطمة الفهري الشهيرة سنة 245هـ ينظر: الناصري، ج 1، المرجع السابق، ص 222.

³ الجنائي، جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس، تج، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الزبطة، ط 2، 1991، ص 45-46، ينظر أيضاً: كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 225-226.-عبد الهادي التازى، ج 1، المرجع السابق، ص 46.

⁴ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 54.- ينظر أيضاً: الجنائي، المصدر السابق، ص 45.- عبد الهادي التازى، ج 1، المرجع السابق، ص 48، ينظر، صلاح أحمد البهنسى، المرجع السابق، ص 124.

⁵-كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 227-228.

وقد زادت شهرة مسجد القرويين على جامع الأندلس بعد أن نقلت إليه خطبة الجمعة في سنة (307هـ/920م) في فترة تغلب ببر رناتة وحكمهم لمدينة فاس إذ تحول إلى مسجد جامع بعد أن ألحّ الفقهاء والعلماء على والي المدينة إلى نقلها من مسجد الشرفاء إلى جامع القرويين وحسب روايات المؤرخين فإنّ سبب هذا التحويل ليس سياسياً إنما كان الدافع الأساسي وراء ذلك في صغر مساحة مسجد الشرفاء وسعة مساحة القرويين¹ كما تجدر الإشارة إلى أهمية عدوة القرويين على عدوة الأندلسيين نظير الكثافة السكانية العالية التي تميّزت بها مما دفع بالعامة إلى المطالبة باستبدال المسجد العتيق بجامع فاطمة وهو ما رأه فقهاء المدينة.²

وبعد أن تولى أمراء زناتة الحكم بمدينة فاس، بايعوا مع أميرهم أبي العباس أحمد بن أبي بكر الزناتي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي ملك الأندلس³ هذا الأخير الذي كان كثير العطايا والهدايا لكراء زناتة ورؤسائهم، وفي سنة (345هـ/958م) بعث معونة مالية لتوسيعة المسجد بها كثير من أخمس غنائم الروم وأمر بزيادة مساحة المسجد لحاجة الناس إليه، وقد شمل هذا الترميم توسيعة من جهاته الثلاث الشرق والغرب والشمال مع الحفاظ على تخطيطه العام بالإضافة لهم صومعته القديمة وبني مكانها المئذنة الجديدة⁴، كما أضاف له أربع بلاطات من الغرب وخمس من الشرق وثلاثة من الجوف بعد أن كان به بلاط واحد وبنيت ثلاثة أساكيب

¹- الجنائي، المصدر السابق، ص 46.

²- استفتني فقهاء المغرب الأوسط في أحقيّة صلاة الجمعة بين جامع الأندلس وجامع القرويين ليقتي الإمام الونشريسي بأولوية إقامة صلاة الجمعة في جامع الأندلس لقدمه على جامع القرويين وأنه لا يجوز تعدد إقامة صلاة الجمعة في بلد واحد حسب ما هو معروف عند فقهاء المالكية مع ذكره للأقوال المخالفة، أمّا عن الإمام السنوسي فقد أجاب باحتمالين أي جواز كلاهما في أحقيّة الصلاة فتعذر إقامة الجمعة لا يجوز عند فقهاء المالكية ولكن هناك ضروريات كعدم كفاية المسجد للمصلين أو وجود مشقة في الوصول إليه ينظر: الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرّب والجامع المغرّب عن فتاوى أهل إفريقيّة والمغارّب، ج 1، المغرب، وزارة الأوقاف، 1981، ص 252، - حميدي مصطفى، العلماء والسجلان العلمي في المغرب الأوسط ما بين القرنين 09-13هـ/15-25م، أطروحة دكتوراه، إشراف، حميدي مليكة، جامعة لونيسي علي - البلدة، 2024م، ص 135.

³- عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله : تولى الخلافة بعد موت جده عبد الله ابن محمد في مدينة قرطبة سنة 300، وكان فيه شهامة وعقل سديد وهو أطول من حكم من بني أمية توفي ليلة الأربعاء 350هـ / 961م، فولي نحو خمسين سنة، ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 56.- بدر الدين العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج 4، تحرير محمود رزق محمود، القاهرة، دار الكتب والوثائق، 2010، ص 116.

⁴- الجنائي، المصدر السابق، ص 47، ينظر أيضاً: عبد الهادي الناري، ج 1، المرجع السابق، ص 52.

موازية لجدار القبلة مكان الصحن، فأصبحت ظلة القبلة مكونة من سبعة أساكيب بدلًا من أربعة بينها بائكات تحجز بينها، تتكون الواحدة منها من واحد وعشرين عقداً كما أضيفت قبتان قبة فوق تربيعية المحراب وقبة فوق البهو وكلاهما مزخرفان بخطوط متعرجة وتم الانتهاء من التوسعة سنة (345هـ/956م) وكتب ذلك في لوحة تأسيسية.¹

شملت الزيادة هدم الصومعة لأنها متطاولة أو مستطيلة و إعادة بناءها التي جاءت على شاكلة منارة جامع القironان، التي امتازت بطابع مغربي خاص، وهو التربيع أي لها جهات أربع كما اكتسب المسجد أربعة أبواب جديدة بابين غربيين محل باب العدول وباب الصالحين وبابين شرقين أحدهما محل باب حيوان وثانيهما محل باب السبع ونظراً للزيادات الكبيرة للجامع فقد اتسعت مساحته لتبلغ أربعة آلاف متر مربع.²

ومع وصول المرابطين إلى الحكم زادت شهرة هذا الجامع خاصة مع تزايد اهتمام حكام المرابطين بتزويد خزانته بنفائس المخطوطات واستنساخها، أشهرها أجزاء من موطنًا مالك أهديت لخزانة علي بن يوسف بن تاشفين حيث كتبت له على ورق من جلد غزال³، وهذا ليس غريباً لكونه أصبح أهم جامع في العاصمة الأولى للمغرب الأقصى مع تراجع مكانة مسجد الأندلس فتوافد عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب فذاع صيت القرويين في الأقطار، كما كثُر البناء والتعهير بالمدينة مما جعله يضيق بالمصلين وكانوا يجدون مشقة كبيرة في تأدية الصّلوات فاجتمع الفقهاء والأسياخ في بداية سنة (528هـ/1134م) وتوصّلوا إلى نتيجة أبلغوها إلى أبي عبد الله محمد بن داود⁴، قاضي قضاة فاس، تضمنَت النتيجة وصفاً وشروحًا شاملة لأحوال المصلين وما يعانونه من ضيق في المسجد، مؤكدين على ضرورة توسيعه وإجراء زيادة وإصلاحات بالجامع لاستيعاب زيادة عدد المصلين.

¹- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 56.- ينظر أيضاً: صلاح أحمد البهنسى، المرجع السابق، ص 125-126.

²- عبد الهادى التازى، ج 1، المرجع السابق، ص 57.

³- كمال عنانى إسماعيل، المرجع السابق، ص 224-225.

⁴- هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن داود، قاضي الجماعة بمدينة فاس في فترة علي بن يوسف الذي استأنمه على أموال نفقة زيادة المسجد نظير ما عرف عنه من فضل وورع وتقوى، ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص .59

كما نظر القاضي في بعض المصادر التي يمكن اعتمادها لتمويل هذه التوسيعة، والتي كانت من أموال الأوقاف والأحباس¹ وبناءً على هذه الشروحات استأنف القاضي أمير المسلمين علي بن يوسف في إجراء التوسيعة فكان رده بقبول الاقتراح، وأصدر أوامر بشراء الدور المحاذية للجامع وإعطاء أهلها ثمنها وزيادة، غير أن هذا الأمر لم يرق بعض ملوك اليهود الذين رفضوا البيع، مما استدعى تقويمه للموضع ودفع أموال مضاعفة لهم اقتداءً بعمل عمر بن الخطاب في زيادته للمسجد الحرام فلما أتم القاضي شراء العدد الكافي من المنازل لإجراء تلك الزيادة، بدأ في هدمها وشرع في البناء فجاءت هذه الزيادة خالية من الشوائب والشبه².

وقد نالت الجهة الجنوبية القسط الكبير من هذه الزيادة التي شملت التخطيط والعناصر المعمارية الزخرفية وحتى الوظيفية، فهُدم جدار القبلة وأضيف ثلاثة بلاطات إلى بيت الصلاة فأصبح يتكون من واحد وعشرين بلاطة موازية لجدار القبلة، كما تم بناء فوارقة غرب الصحن لتقابل الفوارقة القديمة التي تتموضع في الجهة الشرقية³.

أما عن الأبواب فتم إعادة بناءها وبالأخص باب الجهة الغربية الكبير المسماً بباب الفخارين المعروف بباب الشماعين حالياً، وأقيم عليه قبة تم زخرفتها ببعض النصوص التأسيسية مثل النص التأسيسي الذي نستشفّ منه تاريخ التأسيس، وقد جاء نصه على النحو التالي: "صنع هذا الباب والقبة وكملًا بالبناء والتركيب في شهر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة"⁴ وقد أشار ابن أبي زرع أن القاضي كان يباشر عملية البناء بنفسه فجاءت هذه الزيادة في غاية السمو والإبداع⁵، وتتجدر الإشارة أن التصميم الذي اعتمدته المرابطون كان بنفس الخصائص التي كانت

¹ بسمة حسام أبو المعاطي منصور، توسعات المساجد الجامعية الألفية بالمدن الإسلامية شبه الجزيرة العربية والعرق والشام ومصر وبلاط المغرب والأندلس، ط 1، مصر دار الوفاء لدنيا الطباعة، 2025، ص 253.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 59، ينظر، عبد الهادي التازري، ج 1، المرجع السابق، ص 66، ينظر أيضاً: حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1997م، ص 364 - 365.

³ صلاح أحمد البهنسوي، المرجع السابق، ص 127.

⁴ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 60، ينظر أيضاً: كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 230.

⁵ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 60

في العهد الإدريسي ثم الزناتي حيث نجد عدم التساوي في عدد الأقواس الموجودة في غرب البلاطة الوسطى والشرقية.

كما يمكن ملاحظة الفرق بين البلاطات السبعة الزناتية والثلاثة التي أضافها المرابطون إذ تمتاز الزناتية بقصر السواري في حين جاءت البلاطات المرابطية ذات طول واضح كما قدرت المسافة بين السواري بثلاثة أمتار وسبعين سنتيمتراً بالنسبة للأسكوب الأول والثاني في حين جاء الأسكوب الثالث المجاور للقبلة بثلاثة أمتار وتسعين سنتيمتراً، وكانت جوانب السواري المربعة تقدر بسبعين سنتيمتراً لتكون المساحة الإجمالية بعد زيادات المرابطين ما يقارب نصف هكتار¹، ونظراً لأضافه ثلاثة أساكيب في الجهة القبلية أصبح عدد الأساكيب عشرة مما استدعى عمل جدار للقبلة ومحراب جديد أضيفت حوله قبة مربعة زخرفت بالمقرنصات وزخارف ذات ألوان بهية وأصبغة متعددة اشتراك في زخرفتها صناع من الأندلس، وحتى القباب الستة التي أضيفت على امتداد البلاط الأوسط يتضح فيها اللمسة والزخرفة الأندلسية.

وعلى العموم فقد حرص المرابطون من خلال تغييرهم للمسجد في إكساب المحراب منظراً جميلاً من خلال زيادة ارتفاع وطول البلاط كما أبدعوا في القباب المجاورة له من خلال زخرفتها بالذهب واللّازورد² ومختلف الأصبغة³، ويعتبر منبر المسجد أبرز ما تركه المرابطون وقد جاء صنعه من خشب الأبنوس والصندل واللّاج وله تسع درجات وريشته مزدانتان بزخارف ذات شكل هندسي⁴.

كما عزم المرابطون على إلحاق المسجد بمرافق مهمة وضرورية بمبادرة القاضي عبد الحق بن معيشة الذي طلب الإنذن من الأمير علي بن يوسف فآذن له فقام ببناء ملحقة بالمسجد في الجهة الجنوبية خاصة بالجنائز⁵، ولعل سبب بنائهما الخروج من الخلاف حول نجاسة الأديم

¹- عبد الهادي التّازى، ج 1، المرجع السابق، ص 66.

²- اللّازورد: هو عبارة عن معدن يتأخذ للزينة وأجوه الصافي الشفاف الأزرق الميال إلى اللون الأحمر والأخضر، ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3، ط 1، عالم الكتب، 2008 ، ص 1986.

³- صلاح أجمد البهنسى، المرجع السابق، ص 127، _ عبد الهادي التّازى، ج 1، المرجع السابق، ص 67

⁴- كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 230.

⁵- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 61، ينظر أيضاً: عبد الهادي التّازى، ج 1، المرجع السابق، ص 74.

الميّت¹، كما أنّ القاضي ابتعى بناء مقصورة للإمام في مقدمة القبلة تخصّص لراحة الإمام واستعداده للصلوة، كما كان يأمل بتخصيص مكان لمجلس القاضي بالقرب من المقصورة لكنه أبعد عن القضاء في سنة (533هـ-1138م) قبل إنتهاء مخطّطاته ولم يكمل القاضي الذي خلفه أعماله فبقيت موقوفة إلى غاية سنة (538هـ-1143م) وهي السنة التي ولّى فيها القضاء أبو مروان عبد الملك بن بيضاء القيسي فاستأنف ما كان ينوي ابن معيشة إنجازه².

وعندما دخل الموحدون مدينة فاس يوم الخميس من شهر ربيع الأول سنة أربعين وخمس مائة (540هـ-1145م)، خاف فقهاء المدينة وأشياخها من انقادات عبد المؤمن وغضبه الذي عزم على تأدية صلاة الجمعة مع أشياخ الموحدين فعمدوا إلى الحمامين الذين قاموا بتغطية المحراب والرّخارف التي تكسوه بالكافد والجص وأطبقوا على تلك الرّخارف التي أصبحت بياضاً³، ولعل سبب محو تلك الرّخارف وكشفها هو نزوع الموحدين في بداية أمرهم إلى التقشف والتّقليل من الإسراف.

كما لم يشهد المسجد إضافات كبرى في عهدهم باستثناء إضافة مجموعة من التّريات أهمّها التّريّا الكبّرى والتي كان أصلها ناقوساً نقل من بعض الكنائس في الأندلس وقد نصبّت في المسجد بدقة عالية حيث تُرى من جميع أبواب الجامع البالغ عددها في الفترة الموحديّة سبعة عشر باباً⁴، كما تم إنشاء خصّة حسنة من النّحاس الأحمر أقيمت في النّاحية الشّرقية من صحن الجامع ويبدو أنّ المكان الذي أقيمت فيه هو نفسه مكان البئر الذي حفر في أيام السيدة فاطمة الفهرية⁵.

ب-جامع ندرومة:

¹ يرى فقهاء المالكية أنّ في نجاسة الأدمي الميّت قولين فابن سحنون وابن القصار والقاضي عيّاض رأوا بنجاسة الكافر بخلاف المسلم ويرى الفريق الثاني الذي ترجمته ابن القاسم وابن شعبان التجاسة على العموم ينظر: خليل ابن إسحاق المالكي المصري، *التوسيع في شرح المختصر الفرعى لابن الحاجب*، تتح أحمد بن عبد الكريم نجيب، ج 1، ط 1، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التّراث، قطر، 2008، ص 24.

² عبد الهادي التّازى، ج 1، المرجع السابق، ص 74.

³ المرجع نفسه، ص 68.

⁴ كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 231.

⁵ صلاح أحمـد البهـنسـي، المرجـع السـابـقـ، ص 128.

يقع جامع ندرومة في الجهة الجنوبية للمدينة و يعود تأسيسه إلى الفترة المرابطية وتحديداً فترة حكم يوسف بن تاشفين¹، استناداً إلى ماورد في النقشة الكتابية المزخرفة الموجودة على المنبر والذي يتواجد جزء منه حالياً في المتحف الوطني للآثار بالعاصمة (الملحق رقم 04) حيث كتب فيه بعد البسمة والصلة على الرسول الكريم ما يلي:

"هذا مما أنعم به الأمير السيد يوسف بن تاشفين أدام الله توفيقه وأجزل... كان الفراغ منه على يد الفقيه القاضي أبي محمد عبد الله بن سعيد يوم الخميس السابع عشر من شهر ... " يتبيّن من خلال الكتابة أن التأسيس كان في فترة المرابطين إلا أنَّ الباحثين لم يتقدّموا أنَّ المؤسس هو يوسف ابن تاشفين⁴، حيث يرى البعض أنَّ البناء تم في فترة أحد أبناء يوسف بن تاشفين⁵ ومع ذلك فإنَّ الغموض يكمن في تلف أجزاء معتبرة من الكتابة حيث لم يتبق تاريخ البناء، والذي يرجح أنَّه كان في سنة (474هـ/1082م).

أما عن تخطيط المسجد (شكل رقم 01) فيتَّخذ شكلًا مستطيلًا يمتدّ من الشرق إلى الغرب طوله 28,60 متر وعرضه 20 متر وبوسطه صحن مكشوف أقلّ حجماً من بيت الصلاة على نمط المساجد المغربية كمسجد القironان، وهو الآخر مستطيل الشكل وبهذا فالصحن قريب الشبه لصحن مسجد الجزائر، يضمّ بيته للصلاحة به تسعه بلاطات ممتدّة على جدار القبلة تقدر مساحة البلاطة الوسطى بـ 2,59 متر وبذلك فهي أكبر البلاطات، كما يتواجد به حوالي سبعة وثلاثون دعامة أغلبها مربعة الشكل بالإضافة إلى وجود البعض منها على شكل حرف T، كما نجد فيها

¹Basset,R.nedrouma et les traras, Ernest leroux, Paris,1901, p22.

²- تم إعارة التحفة إلى المتحف العمومي للآثار الإسلامية بتلمسان بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية منذ سنة 2011، نقلًا عن لوحة الإرشادات الموجودة داخل المتحف.

³رشيد بوروبيه، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص .55

⁴MarcaisG, la chaire de la grande mosquée de nedrouma, ALGER, p 321.

⁵يرى جورج مارسي أنَّ المسجد قد بناه أحد أبناء يوسف بن تاشفين الذي لم يتول الحكم مثل ابنه العزيز الذي تتطبق عليه صفة الأمير، في حين يؤكد باسي أنَّ المؤسس هو يوسف بن تاشفين نفسه وهو ماذهب إليه الباحث الجزائري رشيد بوروبيه، ينظر، رشيد بوروبيه، الكتابات المرجع السابقة، ص 54.

⁶محمد رابح فيسة، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية، دار السيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص 109.

الشكل المصلب المستطيل على شكل حرف¹ ل، ومحرابه مجوفٌ وغيرها في جدار القبلة كما تجدر الإشارة أنه قريب الشّبه لمحراب جامع تلمسان الكبير وجامع الجزائر المرابطي وموقعه في وسط جدار القبلة، والمسجد اليوم يُزيّن مدينة ندرومة العريقة ويقع في وسطها ويسمى الشّارع حالياً بحي التّربيعة²، وقد حافظ المسجد الجامع على معظم أجزائه المعمارية التي بُنيت في الفترة المرابطية من صحن وجدران وأقواس ومداخل، وأهل ندرومة شديدو الحرص على عمارته لما رأينا من نظافة سواء محیطه الخارجي أم أجزائه الداخلية من الصحن والجدران والأقواس والمداخل وتم بناؤه بطريقة الطّابية مع استعمال مادة الخشب³، وقد أجريت عليه بعض الترميمات كتغطية جدرانه حفاظاً عليها من الرّطوبة والأمطار.

ج- جامع تلمسان الكبير:

يعتبر الجامع المرابطي في مدينة تلمسان من أجمل ما بقي من آثار المرابطين وتبدأ قصة بناء هذا المسجد بعد بلوغ يوسف بن تاشفين (453-500هـ/1061-1107م) مدينة تلمسان مع عساكره المرابطين سنة (473هـ/1080م) واختطَّ مدينة جديدة سماها بـ تاكرارت⁴، وسرعان ما أنشأ بها مسجداً (الملحق رقم: 05) جاماً بالقرب من القصر نظراً لاتساعها وحاجة الناس إلى إقامة صلاة الجمعة⁵.

أما عن تاريخ بداية بنائه فلم تحدد المصادر التاريخية ذلك ومع غياب النصوص التأسيسية بسبب إهمال المرابطين عن كتابتها أو نظراً لطمسها بسبب فعل الإنسان أو تدهورها نتيجة العوامل الطبيعية أدى ذلك إلى اختلاف الآراء حول تاريخ بناء المسجد⁶، فذهب الباحث الفرنسي

¹ مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص 67-72.

² ينظر الصورة رقم 03، ص 260.

-3- لوحة إرشادات وزارة الثقافة الواقعة عند مدخل المسجد الكبير -ولاية تلمسان، الجزائر، (03-شوال-1446هـ/01-أפרيل-2025).

⁴ يعني اسم تاكرارت المحلة أو المعسكر عند البرير، ينظر: ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 247.

⁵ وليم وجورج مارسي، المرجع السابق، ص 30.

⁶ مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص 88.- ينظر أيضاً: سميح موهوبي، شلوق فتيحة، الحركة العمرانية ودلائلها الحضارية بمدينة تلمسان خلال الفترة المرابطية (473-542هـ/1048-1107م)، عصور، العدد 03، (ص 140)، 149-133، 2023، ص 140.

جورج مارسي أَنَّ المسجد بني في عهد يوسف بن تاشفين مستنداً في ذلك على مجموعة من الحجج منها أَنَّه لا يمكن ليوسف بن تاشفين أن يبني مسجداً في مدينة جزائر بني مزغنة سنة (475هـ/1086م)، ويؤسس مدينة تاكرارت بتلمسان (475هـ/1086م) ويتركها بدون مسجد خاصة وأنَّه جعل منها عاصمة إقليمية لدولته¹، وهو رأي منطقى جدًا في نظرنا.

في حين رَحَّح بعض الباحثين تاريخ بنائه إلى فترة علي بن يوسف بن تاشفين (500هـ/1107م-537هـ/1135م) وحجّتهم في ذلك ما كتب في النقشة التي وجدت أسفل المحراب في القرن التاسع عشر الميلادي بعد عملية تنقيب ترأَّسها العالم الفرنسي بارجييس مما جاء فيها "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، هَذَا مَا أَمْرَ بِعَمَلِهِ الْأَمْرِ الْأَجْلِ، أَبَدَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَأَعْزَّ وَأَدَمَ دُولَتَهُ وَكَانَ إِتَّمَامَهُ عَلَى يَدِ الْفَقِيهِ الْأَجْلِ الْقَاضِيِّ الْأَوَّلِ، ابْنُ الْحَسْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَدَمَ اللَّهُ عَزَّزَهُ ثُمَّ انتَهَى فِي جَمَادِيِّ الْأُخْرَى عَامَ ثَلَاثَيْنَ وَخَمْسَ مائَةٍ"².

وهذه الكتابة تشير إلى تاريخ الانتهاء من الأعمال والتي تمت في يوم جمادى الثانية (530هـ/1136م) وهي فترة حكم علي بن يوسف، ويبدو أنَّ المسجد قد مرَّ بعدة مراحل في تشييده فلا يُستبعد أنَّ يوسف ابن تاشفين هو من بنى المسجد سنة (475هـ/1083م) نظراً لاهتمامه ومبادرةه لبناء المساجد وأنَّ ابنته علي بن يوسف قد أتمَّ أعمال الصيانة والترميم سنة (500هـ/1107م) وأياً من كان الذي شيد المسجد فإنه يعتبر واحد من أهم ثلاثة جوامع جامعة شيدتها المرابطون بال المغرب الأوسط³.

أمَّا تخطيطه العام (شكل رقم 02) فهو ذو بناء مستطيل الشكل يبلغ طول ضلعه حوالي 60 متراً وعرضه 50 متراً بمساحة إجمالية تقدَّر بـ 3000 متر مربع، وهو بذلك أكبر المساجد المرابطية في المغرب الأوسط، ويتكوَّن من صحن في الوسط يحيط به جناحان من الشرق والغرب، يتَّألف

¹ جورج مارسي ووليام، المرجع السابق، ص 30.- ينظر أيضاً: محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 44.

² إبراهيم حرّكات، ج 1، المرجع السابق، ص 224، ينظر أيضاً: عبد العزيز لعرج وأخرون، المرجع السابق، ص 74-75.

³ محمد الطمار، المرجع السابق، ص 44.

الجناح الشرقي من ثلاثة بلاطات والجناح الغربي من أربعة بلاطات وهذه البلاطات تشكل امتدادا لقاعة الصلاة¹.

اتبع بناء جامع تلمسان في سنة (530هـ/1136م) بشكل كبير تخطيط جامع قرطبة وكلاهما يشبه تخطيط جامع القيروان في بيت الصلاة مستطيل يتكون من ثلاثة عشرة بلاطة تتجه عموديا على حدار القبلة، تشكل البلاطة المركزية المساحة الكبرى، ونظرا لأهمية المحراب الدينية تميزت هذه البلاطة بوجود قبتين، واحدة أمام المحراب، والأخرى فوق منتصف البلاطة الوسطى، في نفس وضعية قبة جامع تلمسان، ولم يقتصر التقليد على ذلك فحسب وإنما نجده يمتد إلى صفوف العقود الفاصلة بين بيت الصلاة القديم وبين الزيادة، حيث أصبح هناك صفت من العقود القائمة على دعائم ضخمة تقطع البلاطات الطولية عرضيا وتقسم بيت الصلاة في مسجد تلمسان إلى قسمين كل منها يشمل ثلاثة أساكيب مطابقة في ذلك للعقود القائمة على الدعائم بمسجد قرطبة².

وتتميز بيت الصلاة بظواهر جديدة على بلاد المغرب وفدت من الأندلس، مثل البائكة الثالثة ذات العقود الموازية لحائط القبلة، حيث وجد مثيلها في الجامع الأموي بقرطبة والبائكة المميزة جاءت نتيجة الزيادات التي حصلت في المسجد في مراحل متتالية، وتم نقل هذه الظواهر المعمارية على شكل مؤثرات فنية ومعمارية في فترات مختلفة أهمها الفترة المرابطية حيث شهدت العدة الأندلسية والمغربية وحدة سياسية، وينكسر ضلعه الجنوبي الغربي من نقطة تقابل الصحن حتى الصلع الشمالي الغربي، وهذا الانحراف يشغل الجدار الشرقي للقصر البالي المرابطي، وللجامع ثمانية أبواب اثنان جهة القبلة على يمين المحراب ويساره، وأربعة بالجدار الجنوبي الغربي وباب يفتح على الجدار الشمالي الجنوبي مقابل المئذنة، والباب الثامن مفتوح على بيت الوضوء³.

استخدم المرابطون الرخام في المعمار كالقصور والدور وخاصة أعمدة المساجد التي ترتكز عليها العقود التي تؤدي إلى المحراب⁴، كما استخدم الرخام في نافورة الجامع ذات الحوض

¹- مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص ص 97-98.

²- السيد عبد العزيز سالم، العمارة، المرجع السابق، ص 94.

³- عبد العزيز لعرج وآخرون، المرجع السابق، ص 79، 81.

⁴- هناء محمد عبد الحميد الفقي، المرجع السابق، ص ص 164-166.

المستطيل الشّكل وهو حديث من حيث البلات طوله 3,10م وعرضه 2,08م وارتفاعه 52سم أمّا سمكه فقدر بـ 27سم، وهي نافورة بسيطة ارتفاع قاعدتها السفلية 1,50م وعرضها 12سم ارتفاع بدنها الأسطواني 74سم وجذعها أسطواني بسيط موالي للقاعدة الأسطوانية¹ والنافورة محفوظة في صحن الجامع الكبير بتلمسان وهي لا تُعمل حالياً وليس بها المياه في القنوات والأحواض ربّما بسبب الجفاف أو أسباب أخرى لا نعرفها (الملحق رقم: 05).

اندثرت المعالم الأثرية في مدينة تلمسان مثل القصور والأسوار والأبواب لكنّ المسجد الكبير بتلمسان لم يتعرّض للتغييرات كبيرة منذ تشييده²، وهو البناء الوحيد الذي لا يزال محافظاً على شكله الأصلي (الملحق رقم: 06) من آثار المرابطين رغم تعرّضه للعديد من الإضافات منذ تأسيسه حتّى اليوم.

حظي المسجد بمكانة كبيرة بعد فترة المرابطين والموحدين إذ اعتبر منارة للعلم والعلماء في العهد الزياني وكان السلاطين يُؤدون فيه صلاة الجمعة والعيد وقد دُفن بجانبه العالم الجليل ابن مرزوق الحفيد³.

د- المسجد الجامع بالجزائر:

شُيّد مسجد الجامع الكبير يوسف بن تاشفين فيما بين سنتي (473هـ-1081م) - (475هـ-1083م)، وهناك من يرى أنه شُيّد بعد هذا التاريخ وتحديداً في سنة (490هـ/1097م)، وذلك بناءً على الكتابة المنقوشة على منبر المسجد الواقع بالقرب من البحر⁴، وقد ذكر الباحث عبد

¹ يمينة تسکورت، النافورات وأحواضها بالمغرب الأوسط من القرن 5هـ/11م إلى نهاية القرن 8هـ/14م دراسة فقهية أثرية، أطروحة دكتوراه، إشراف عائشة حنفي، جامعة الجزائر 2، 2018-2019، (غير منشورة)، ص 163.

2-وليم وجورج مارسي، المرجع السابق، ص 53.

3-ابن مرزوق الحميد: ولد شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن أبي بكر بن مرزوق العجبي التلمساني الشهير بالحميد يوم الإثنين من ربيع الأول سنة (766هـ/1364م) في تلمسان ولقب بالحميد تمييزاً له عن جده الشهير الخطيب بن مرزوق، وكان من أبرز علماء عصره حيث كان حجّة في عدّة فنون من العلوم منها الفقه المالكي والحديث والتفسير توفّي رحمه الله في شهر شعبان سنة (842هـ/1438م)، ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر-من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، ط 2، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1980، ص 290.

4-كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 247.

الرحمن الجيلالي أَنَّ له نافذة تطلّ على البحر، وموقعه ليس ببعيد عن ساحة الشهداء (الملحق رقم: 07) حيث يعتبر أحد المساجد الأثرية الثلاثة التي تعود للعصر المرابطي، وهذه المساجد هي بتلمسان والجزائر وندرومة التابعة إدارياً لتلمسان والتي كانت عبارة عن عاصمة إقليمية للمرابطين في المغرب الأوسط¹.

وقد حافظت هذه المساجد على نموذجها المعماري المرابطي وتختلف فقط من حيث المساحة والسعة، ويحق للجزائر أن تفخر على باقي البلاد الإسلامية بالحفاظ على هذه المجموعة الأثرية الثمينة والغريبة التي مازالت بهيئتها الأصلية والتي لم يبق منها أثر سوى هذه المساجد الثلاثة في الجزائر التي تمكّن علماء الآثار من تتبع العمارة المرابطية ولا يُستثنى من ذلك سوى الجزء الشمالي الذي يشمل محراب مسجد القرويين في مدينة فاس، الذي شيد في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، ولكن أثره ضئيل بالمقارنة مع ما بقي من آثار المرابطين بالجزائر ولعل مسجد الجزائر المرابطي أبلغ مثال على رقي الإنشاء والتعمير لدولة الملثمين في ذلك العصر والذي لا يزال قائماً في غاية الإحكام والتمكين².

إذ يشغل مساحة مستطيلة طولها أكبر من عرضها، فطوله حوالي 48 متراً أمّا عرضه فلا يزيد عن 40 متراً بمساحة إجمالية تقدر بـ 2000م، أمّا واجهته التي تطلّ على شارع باب الجزيرة فتبلغ حوالي 18م³، ومنبره لا يزال إلى يومنا هذا محفوظاً في متحف الباردو بالجزائر العاصمة (الملحق رقم: 08) وهو في هيئة جيدة مما يدلّ على مدى الدقة والإتقان وحرص صانعه على الجودة ويشتمل على صحن مكشوف وبيت صلاة، ويكون من ثلاث مجنّبات ومدخل في الواجهة الشمالية يتصل برواق يؤدي إلى الصحن، ويشمل بيت الصلاة إحدى عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة، تقطعها خمسة أروقة، وبلاطته الوسطى هي الأوسع، كما هو الحال في جامع قرطبة والقيروان وتلمسان وأغلب مساجد المغرب والأندلس، حيث نجد أنَّ بلاطة المحراب

¹ - عبد الرحمن الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريًا وتاريخيًا، مجلة الأصالة، العدد 8، 1972، الجزائر، صفحات المقال 113-127، ص 115.

2- كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 247.- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 115.

³ مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس، الوثائق العثمانية، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص 49، ينظر أيضاً: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 116.

العمودية على جدار القبلة والأسكوب الموازي لهذا الجدار أكثر اتساعاً من جميع البلاطات، أما في ما يخص الدعامات فقد بنيت من الحجارة بقاعدة مطلولة وصلبة في أعلىها أقواس تشبه حدوة الفرس ويعتبر المرابطون من أوائل من استخدم هذا النوع من العقود المفصصة (الملحق رقم: 09) بالمغرب الإسلامي، ويبلغ عدد الدعامات 72 سارية كلها في قائمة زاوية تبعد عن بعضها بمسافة قدرها 3,40 م، وهي شبيهة لدعائم مسجد تلمسان الكبير، وله مئذنة تقع في الجانب الجنوبي كتب على أحد جدرانها تاريخ شروع بنائها وهو يوم الأحد 27 ذو القعدة سنة (722هـ/1322م) وانتهى منها في رجب (723هـ/1323م) وكان ذلك من طرف الحاكم أبي تاشفين خامس سلاطين الدولة الزيانية (718هـ - 1337-1318م). (الملحق رقم: 10).

أما عن طرازه المعماري، فهو مرتكز على فن العمارة الأموي والأندلسي، أو يمكن القول إنّه في هندسته وخططيته يرجع إلى الطابع الأندلسية المغربي كما تظهر عليه لمسة من جامع قرطبة، سواء من حيث خططيته أم نظام التغطية فهو مغطى بسقف من الخشب الرفيع وفوقه طبقة من القرميد المسنن، ماعدا فناء المسجد فيه فهو مكشوف وغير مغطى يشبه جامع القيروان بصفة مصغرّة، ويعود ذلك إلى تمازن بلاد المغرب والأندلس سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً في تلك الحقبة والذي شمل نهضة علمية وفنية².

هذه الوحدة التي يرى كثير من المستشرقين أنها كانت ذات تأثير واحد وهو التأثير الأندلسية حيث يقول جورج مارسي في هذا الصدد أنّ المغرب أخضع الأندلس سياسياً لكنّ الأندلس أخضع المغرب ثقافياً³.

ولا شكّ أنّ الأندلس قد أثرت ثقافياً وفنياً بشكل كبير ويمكن رؤية ذلك بوضوح في العديد من المساجد المرابطية والمحمدية، لكن لا يمكن إنكار ما قدمه المرابطون والموحدون وما نقلوه من تأثيرات معمارية من المغرب إلى الأندلس مثل استخدام الأقواس الحدوية والزخرفة وغيرها،

¹-كمال عاني إسماعيل، المرجع السابق، ص 247-248.

²-عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 119.

³Marcais.g,les arabes en berberie du xl au xlv siecles,constantine,paris,1913,p 189.

و عموماً فقد كان هناك تفاعل و تبادل مستمر بين المنطقتين أدى إلى تطور طراز معماري مشترك بين المغرب الإسلامي والأندلس.

ثالثاً: بناء المساجد وترميمها عند الموحدين

لم يتبق في المغرب الأوسط والأدنى مساجد موحدية إذ تعرضت للاندثار على عكس بلاد الأندلس والمغرب الأقصى، رغم أن المساجد الموحدية احتفظت بالنّمط التقليدي للتخطيط، المتميّز بإتساع مساحة المحراب والبلاط الأوسط مع ارتفاعه عن باقي البلاطات الأخرى، كما اتسمت بعض مساجدهم بقلة عمق ظلة القبلة كما سنرى ذلك في جامع تازة وجامع الكتبة بمراكش الأول والثاني وجامع تينمل.

أ- المسجد الجامع بتازة:

وصل عبد المؤمن ابن علي إلى مدينة تازة سنة (527هـ/1133م)، حيث وجد استجابة من طرف قبائل المدينة فشرع في سنة (529هـ/1133م) في إنشاء رباط بها عرف برباط تازة، الذي أصبح بمثابة مدينة كبيرة توفر وسائل دفاعية طبيعية بفضل موقعها على سفوح الجبال المطلة على السهل، مما زاد من إعجاب عبد المؤمن بموقع المدينة توفر المياه العذبة التي تخرقها وسيطرتها على أهم الطرق التجارية المؤدية إلى المغرب الأوسط التي كانت تحت سيطرة المرابطين، فقام بإحاطة مدينة رباط تازة بسور كبير من الحجر ثم بني في المدينة جامع تازة في الجهة الشمالية الغربية¹.

بالنسبة للتخطيط جامع تازة في عهد عبد المؤمن فكان على النّمط التقليدي إذ يتكون من مساحة مستطيلة يتواسطها صحن مكشوف بطول (14,30م) وعرض (21,5م)، محاط بثلاث طلائات أكبرها ظلة القبلة، يتكون من تسعة بلاطات تمتّ عقودها المدعومة بالأجر عمودياً على جدار القبلة، يتوسّط بيت الصلاة بلاط أكبر من بقية البلاطات التسعة، ويتمتدّ عبر البلاطات كما كان يقطعها أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، أولها من جهة جدار القبلة وهو الأوسع، وتعلو هذه القباب، واحدة فوق المحراب مباشرة والأخرى على يمين المحراب، أمّا الظلّتان الجانبيتان

¹ صلاح أحمد البهنسى، المرجع السابق، ص 137.

فموقعهما في جهة الجنوب الغربي والشمال الشرقي، وكلّ منهما يتكون من بلاطتين تتّجه عقودهما في اتجاه عمودي ومواز لجدار القبلة، وتطلّ الظلتان على الصحن ببائكة مدرومة بثلاث دعائم¹.

تعرّض المسجد في عام (1269هـ/1852م) في عهد أبي يعقوب المريني لتجديدات وإضافات غيرت من شكله داخلياً وخارجياً، فمن الدّاخل تم توسيعة بيت الصّلاة من خلال هدم جدار القبلة مما أدى إلى اختفاء القباب الثلاثة التي كانت قرب بلاطة المحراب وبناء جدار قبلة ومحراب جديد، كما تم زيادة طول البلاطات في بيت الصّلاة بتسعة بلاطات نحو الجهة الجنوبية وإضافة أربع أساقيب عرضية، ورغم هذه التغييرات يمكن تمييز المخطط الأصلي للمسجد الموحدي عن الزّيادات والتعديلات المرئية، حيث نلاحظ أن العناصر الجديدة تختلف عن نظيرتها الموحدية فالأروقة في الزّيادة المرئية أوسع من الأروقة الموحدية، التي تنتهي عند الأسكوب الرابع وتغطيها أسقف منشورية بالإضافة إلى أن معظم عقود الزّيادة المرئية هي من النوع النصف دائري، في حين أن عقود المسجد الموحدي هي من النوع المنكسر أو المدبب أو ذات الحافة المفصصة².

ب- مسجد الكتبية بمراكش:

يقع مسجد الكتبية في مدينة مراكش عاصمة دولتي المرابطين والموحددين، وعندما قام يوسف بن تاشفين بتخطيط المدينة سنة (454هـ/1062م) ببني فيها مسجداً جاماً، وذكر صاحب الحل الموشية أن المهدي دخل المسجد وصلّى فيه الجمعة وقام على أمير المرابطين علي بن يوسف بعد الصّلاة وأمره بتغيير المنكر كونه المسؤول عن ذلك إلا أن علي بن يوسف لم يجبه وأمر الفقهاء أن يمتحنوه ويختبروه³ مع سقوط المدينة في أيدي الموحددين سنة (541هـ/1146م)، بدأت قصة هذا المسجد، حيث شرع عبد المؤمن بن علي في بناء مسجد جديد عملاً بوصيّة المهدي بن تومرت الذي أوصى بعدم الصّلاة في جامع المدينة التي بنيت في عهد المرابطين إلى غاية تطهيرها معتبراً إياها نجسة، وبناءً على هذه الوصيّة فقد أفتى فقهاء

¹كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 250-251.

²صلاح أحمد البهنسى، المرجع السابق، ص 140.

³-مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 100-101.

الموحدين بهدم المساجد المرابطية¹، لتشريق مساجدها عن القبلة وتحريفها، فأشار فقهاء الموحدين بوجوب بناء مسجد دقيق الاتجاه صحيح القبلة²، ونصحوا بهدم جوامعها القائمة وهكذا تركوا جامع يوسف بن تاشفين معلقاً مغلقاً للأبواب، وهدموا جامع علي بن يوسف هدماً جزئياً، وهدمت الجوامع الأخرى³. ومن الغريب أن المهدي كان يصلي في المساجد المرابطية وفي صفوتها الأولى ولم يثر قضية انحرافها عن القبلة لكنه أوصى بعدم الصلاة فيها وهدمها.

والراجح عندنا أن سياسة هدم المساجد المرابطية تأتي ضمن الصراع المذهبي القائم بين المدرسة السلفية المالكية والمدرسة التومرتية⁴ لسان حالها، فكلما جاءت أمّة لعنت أختها، وهذا يأتي ضمن استراتيجية طمس وتقزيم المعالم الحضارية للدولة المرابطية، مما يعكس حجم العداوة العقائدية التي كانت بين الدولتين.

مررت عمارة جامع الكتبية بعدة مراحل، مما أكسب كل مرحلة سمات مميزة، ويعتبر ثالث أثر معماري كبير للموحدين بعد جامع رباط تازى الذي بني سنة (527هـ/1133م) وجامع تينمل الذي أنشأ سنة (541هـ/1146م)، الذي أشرف على بنائه كل من أبي الليث الصفار، وأبي الحسن علي ابن أبي حفص، وعمر ابن عبد المؤمن، ما تبقى من الجامع الأول هو أجزاء من جدار القبلة والجدار الشمالي الشرقي، وقد أقيمت في المسجد عدة حفريات منها ما قام به ج. موني (g.munie) الذي توصل إلى وجود أربعة مداخل موزعة على امتداد الجدار الشمالي الشرقي، ثلاثة منها تفتح على ظلة القبلة والرابع يفتح على الظلة الشمالية الشرقية، ووفقاً لما هو معمول به في مساجد الموحدين من الحفاظ على التماثل في توزيع الفتحات والأبواب كما في

¹ الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 234، ينظر، كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 255.

² كان لفقهاء مكانة مميزة في عصر الموحدين إلا أن حضورهم كان بصورة أقل من عهد المرابطين ومن فقهاء الموحدين طاهر ابن الحسين ابن واهب، ينظر: ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور للطباعة، 1972، ص 16.

³ محمد عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 266.

⁴ المدرسة التومرتية: هي عقيدة تتسب إلى محمد بن تومرت المشهور بالمهدي تقوم على المزج بين عدد من عقائد المسلمين، كما أن هذه المدرسة لا تعرف بأصول العقيدة والشريعة فلم تأخذ بالقياس ولا بالإجماع وكانت أحد محاور الصراع مع المرابطين، ينظر: أحمد زكي صفت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج 3، المكتبة العلمية، بيروت، دت، ص 180، - حيدر علي حول، المرجع السابق، ص 146.

مسجد تازى وجامع تينمل، يرجح أن هذه المداخل الأربعة كانت موجودة، وأنه كان يوجد باب في منتصف الجدار الشمالي الغربي يقابل المحراب¹.

وأجمل ما يميز جامع الكتبية مئذنته (الملحق رقم: 11) التي تعتبر من أغنی وأجمل المآذن الموحدية شُرع في بنائها في فترة حكم عبد المؤمن واستمرت الأشغال بها إلى غاية فترة حكم الخليفة الثالث يعقوب المنصور حفيض عبد المؤمن الذي أتم بناء القسم العلوي لها وارتفاعها 67.5 متراً وموقعها في الركن الشمالي الشرقي من المسجد ومن مميزاتها مقاساتها الضخمة وزخارفها البديعة موقعها في الجانب الشمالي الشرقي للجامع وتعتبر أعلى مئذنة في المغرب الإسلامي بارتفاع يقدر بـ 67.50 متراً وضلع قاعدتها 12.50 متراً².

جـ-مسجد الكتبية الثاني:

بعد فترة قصيرة لا تتجاوز الائتي عشرة سنة من بناء مسجد الكتبية الأول بدأ الخليفة عبد المؤمن بن علي في تشييد مسجد عظيم جديد يماثل المسجد القديم من حيث المساحة والتصميم، وفي ذلك يقول صاحب الاستبصار بنى فيها أي مراكش جامعاً عظيماً يقصد هنا الجامع الأول ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبته حيث كان قصراً، ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله وقد أتم البناء ابنه وخليفته أبو يعقوب³.

وقد ذكر صاحب كتاب "فتح الطيب" أن الدافع وراء بناء عبد المؤمن للجامع الثاني هو رغبته في الاحتفال بنقل المصحف الشهير المنسوب إلى الخليفة عثمان بن عفان من جامع الأعظم لقرطبة إلى مراكش حيث كان ذلك في ليلة السبت الحادي عشر من شوال سنة (552هـ-1157م)⁴، إذا كان هذا الدليل صحيحاً فإن المسجد يكون قد بني في تلك السنة أو قبلها بفترة قصيرة.

¹صلاح أحمـد البهـنـسـيـ، المرجـع السـابـقـ، صـ 146ـ.

²صالـحـ بنـ قـرـيـةـ، المـئـذـنـةـ، المرـجـعـ السـابـقـ، صـ 50ـ 51ـ. يـنـظـرـ أـيـضاـ: حـسـينـ مـؤـنـسـ، المرـجـعـ السـابـقـ، صـ 190ـ.

³مجـهـولـ، الاستـبـصـارـ، جـ 1ـ، المـصـدـرـ السـابـقـ، صـ 209ـ.

⁴المـقـريـ التـلـمـسـانـيـ، فـتحـ الطـيـبـ منـ غـصـنـ الـأـنـدـلـسـ الرـطـبـ وـذـكـرـ وـزـيـرـهاـ لـسانـ الدـيـنـ بـنـ الـخـطـيـبـ، جـ 1ـ، طـ 3ـ، بيـرـوـتـ، دـارـ صـادـرـ، 1998ـ، صـ 605ـ.

ومع ذلك هنالك رواية أخرى لصاحب كتاب الاستقصاء حيث يرى أنه بني بعد وصول المصحف إلى عبد المؤمن عن طريق ابنيه، أبي سعيد وأبي يعقوب القادمين من الأندلس ومعهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث استقبل عبد المؤمن المصحف بالإجلال والإعظام واحترام كبيرين، ذلك لأن عبد المؤمن كانت تخاطره فكرة إحضار مصحف عثمان منذ مدة، فلما حصل له ذلك قرر تكريم المصحف الكريم وبدأ في اختيار كسوته وزينته فجمع أفضل الحرفيين المتقنين من مراكش وسائر بلاد المغرب والأندلس، بما في ذلك المهندسون وعرفاء البناء¹، في حين يرى بعض الباحثين أن الأسباب التي دفعت عبد المؤمن لبناء المسجد الثاني تشمل زيادة عدد سكان مدينة مراكش، مما دعا إلى توسيعة الجامع، الجدير بالذكر أنه عندما بني الموحدون مسجد الكتبية الأول وقعوا في نفس خطأ المرابطين بعدم توجيه المسجد بدقة نحو القبلة مما دفعهم لبناء جامع آخر بجواره بمحراب دقيق الاتجاه²، ولهذا يعتقد أن جامع الكتبية بني مررتين وليس مررتين واحدة، وهذا ينم على اهتمام خلفاء الموحدون بالعمارة والبناء مع حرصهم الدقيق على التقييد بالضوابط والمعايير الشرعية لبناء المساجد، وقد أمر عبد المؤمن ببدء بناء المسجد الجامع الجديد وتحديد القبلة في العاشر من ربيع الآخر سنة (1153هـ-1158م) وأكمل في منتصف شعبان من نفس السنة بأعلى مستويات الإتقان وأكمل الوجه، ومما تميز به مساحته الواسعة وإحكام بنائه إذ وجد به الزجاج الملؤن ودرجات المنبر وسياج المقصورة³.

كما أن مدة الإنجاز أذهلت الصناع الذين لم يتوقعوا أن يتم تخطيطه وبناؤه في هذا الوقت القياسي وقد تمت به صلاة الجمعة في منتصف شعبان من سنة (1153هـ/1158م)⁴، وهذا يدل على مدى تخطيط الأئمة الموحدين في استغلال الجانب العماني وربطه بالمناسبات الدينية كرغبة السلاطين في إمام المسلمين لصلاة الجمعة يوم العيد مما يعطي بعدها للسلطة الروحية السياسية، وهذا ما عكسه سرعة إنجاز هذه المؤسسات قبل المناسبة الدينية.

¹-الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 128.

²-كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 257.

³-الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 128.- أبو جعفر الجذامي، الانتخاب في شرح أدب الكتاب، ج 1، ط 1، الجزائر مركز الإمام الشعالي للدراسات، 2009، ص 34.

⁴-الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 128.

أما عن تخطيط المسجد فإن شكله قريب من المستطيل ومساحته غير منتظمة، يتوسطها صحن مستطيل يبلغ حوالي (45م×18م)، يحتوي على نافورة تحيط بها أربع ظلال أكبرها ظلة بيت الصلاة التي تتكون من مساحة مستطيلة قدرها حوالي (30م×95م)، مقسمة إلى سبعة عشرة بلاطة، بواسطة ستة عشرة دائرة تسير عقود البائكة عمودياً على جدار المحراب، وتميز بلاطتها الأوسط كونه أوسع من باقي البلاطات، كما يتخلله سبعة أروقة عرضية، الرواق الأول الموازي لجدار القبلة هو الأوسع، ويتوسّع بخمسة قباب، قبة أمام المحراب وقبتان على جانبي البلاطين من كل جهة، وقبتان في نهاية البلاطين المنظرتين، أما البلاط الأوسط العمودي على جدار القبلة فيتوسّع بخمسة قباب إضافية، وما يلاحظ أنّ المهندس المعماري حرص على تمييز الرواق الموازي لجدار القبلة بجعله أوسع من بقية الأروقة، وكذلك البلاطات العمودية على جدار القبلة حيث يشكّل الهيكل العام حرف "تي" T.¹.

أما الظلتان الجانبيتان فتقعن إلى جهة الجنوب الغربي والشمال الشرقي، تتكون الظللة الجنوبية الغربية من أربع بلاطات عمودية على الرواق العرضي الذي يفصل بين هذه الظللة وبيت الصلاة، أما الظللة الشمالية الشرقية فتتكون من أربع بلاطات عمودية من نفس امتداد بلاطات بيت الصلاة، ما يلاحظ أنّ البلاطة الأولى يتم الوصول إليها عبر الصلع الشمالي، أما مؤخر الجامع فيتكون من بائكة من رواق واحد ونلاحظ فيها انحرافاً من الشرق إلى الغرب²، وللمسجد مراافق وملحق أبرزها المئذنة التي شرع في بنائها عبد المؤمن وأكملاها ابنه المنصور، وكانت عظيمة البناء على نسق صومعة جامع إشبيلية³، إذ هي من النوع البرجي المربع بارتفاع يبلغ حوالي (56.5م) من الأرض إلى نهاية الشرفات وباحتساب تقافيف السفود يبلغ ارتفاعها الإجمالي (67.50م)، ينتهي طابقها الثاني بشرفات مسننة، يتم الوصول إلى المئذنة عبر مجنّبات شمالية شرقية من خلال باب مفتوح في الصلع الجنوبي الغربي، ويغلق مدخل المئذنة بباب خشبي، أما عن الطابق الثاني فيتم الوصول إليه من خلال باب معقود يؤدي إلى درج يصل إلى قمة المئذنة بينما يتم الوصول إلى القسم الثالث والأخير عبر فتحة تؤدي إلى سلم

¹ كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 258-259.

² المرجع نفسه، ص 259.

³ محمد عبد الله عنان، ج 4، المرجع السابق، ص 246.

يصل إلى غرفة مربعة مغطاة بقبة مضلعة، والمئذنة مبنية بالحجارة سماكة جدارها حوالي مترين، أما من الداخل فأقل من مترين تعتمد في الإضاءة على فتحات عريضة من الداخل تشبه فتحات السهام¹، أما عن الميضاة فهي لا تتوسط صحن المسجد، بل تقع على بعد حوالي 76م من الواجهة الشمالية، وهي عبارة عن حجرة كبيرة مربعة الشكل مقسمة إلى قسمين، يحتوي القسم الأول على غرف صغيرة تستعمل كمراحيض، وتتصل هذه المراحيض عن طريق أنابيب بالقسم الثاني حيث توجد حجرة لتسخين المياه الخاصة بالوضوء في أوقات البرد، وجدران هذه القاعة مبنية من الأجر المخلوط بالدبش والجير².

د-جامع تينمل:

أمر الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي بتشييد هذا الجامع في سنة (548هـ - 1153م) حسب رواية ابن أبي زرع التي ورد فيها أنه في السنة المذكورة رجع عبد المؤمن من رحلته إلى بجاية ثم قصد تينمل لزيارة قبر المهدي ووزع على أهله أموالاً كبيرة، وأمر ببناء المسجد³، تجدر الإشارة أن هذا الجامع أقيم في نفس الموضع الذي أقام فيه المهدي بن تومرت مسجده القديم بمدينة تملل، وهو موضع مرتفع يجعل الوصول إليه صعباً بسبب صعوبة تضاريس المنطقة⁴.

أما عن تخطيط المسجد فهو يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها (48م × 63,60م)، تقع واجهته الرئيسية في الجهة الجنوبية الشرقية، على خلاف المعتاد بأن تكون الواجهة الرئيسية مقابلة لجدار القبلة، تحتوي هذه الواجهة على ست فتحات مقوسة للإضاءة والتّهوية لظلة القبلة، ويؤدي إلى داخل المسجد من هذه الجهة مدخل منكسر يمتد داخل الصّومعة، كما يفضي إلى فتحة الباب الواقعة يسار المحراب من الداخل، وقد خصص هذا الباب لدخول الخطيب والسلطان، أما الواجهة الشمالية الغربية فيتوسطها مدخل بارز من الآخر به فتحة باب مقوسة بعقد مدبب تؤدي إلى صحن المسجد، كما توجد في الجهة الشمالية الشرقية ثلاثة مداخل مستطيلة بارزة من

¹ كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 261-262.

² كمال عناني إسماعيل، المرجع نفسه، ص 261.

³ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 194.

⁴ كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 266.

الطّوب، يفتح كلّ منها على فتحة باب مقوسة، يؤدّي المدخل الأول إلى الظّلة الشّمالية الشرقيّة، بينما يفتح المدخلان الثاني والثالث على ظّلة القبلة.¹

أمّا عن بيت الصّلاة يتكون من تسع بلاطات تتّجه عقودها عمودياً على جدار القبلة البلاطتان الجانبيّتان والبلاط الأوسط أوسّع من بقية البلاطات، وكلّ بلاطة تحتوي على خمسة صفوف من الدّعائم تكون أربعة أروقة متساوية العرض يسبقها رواق مواز لجدار القبلة، وهو الأكثر اتساعاً، وقد أدى التقاء الرّواقين الموازي لجدار القبلة العمودي إلى تشكّل مستطيل تقام عليه قبة أمام المحراب الذي يقع في وسط جدار القبلة، مما يقسّم بيت الصّلاة إلى قسمين متساوين، وهو نمط جديد في العمارة المغربية، ويدلّ هذا على مدى تأثير العمارة الإسلامية المشرقيّة على هذه الديار، وبالاخصّ العمارة الفاطميّة التي ازدهرت في القرن (45-110هـ) في بلاد المغرب الإسلامي ثمّ مصر كما هو الحال في عمارة المساجد التي بنيت في فترة حكم الحاكم بأمر الله.²

أمّا عن المحراب فيمتاز ببروعة مقرنصاته تجسّدت فيه روعة الفنّ الموحدي، لا يتجاوز عدد بلاطاته تسعاً، فهو يتولّد جدار القبلة وتجويفه يشكّل غرفة صغيرة ذات شكل خماسي الأضلاع، أمّا عن عقد المحراب فهو حدوبي يحمل ستة أعمدة، ثلاثة على كلّ جانب تعلوّها تيجان مزينة بتوريقات نباتية، كما يبلغ ارتفاعه من بداية عقده إلى الأسفل حوالي (2.85م)، واجهة المحراب مزينة بأفاريز مستطيلة تحتوي على زخارف هندسيّة بسيطة تتكون من مربعات ومستطيلات برؤوس نجميّة وأشكال مختلفة، تقلّ كلما ارتفعت إلى قاعدة القبة، وعلى يمين المحراب توجد غرفة المنبر وعلى يساره غرفة الإمام التي تحتوي على باب داخلي يؤدّي إلى ممرّ منكسر مربع، كما يؤدّي إلى باب خارج المسجد، وهو الباب الذي يمثل المئذنة التي تلتّصق بالمحراب من الخارج.³

أمّا عن المئذنة فهي من أقدم المآذن التي شيدتها الموحدون في بلاد المغرب والأندلس، تقع خلف المحراب مباشرةً، ملتصقة به من الخارج، ومنتصفة الواجهة الجنوبيّة الشرقيّة للمسجد، تتكون من

¹ صلاح أحمـد البهـنـيـ، المرـجـع السـابـقـ، صـ 142ـ.

² كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 267.

³ حسين مؤنس، المساجد، ج 1، الكويت، عالم المعرفة، 1981، ص 189. ينظر أيضاً: إبراهيم حرّكات، المرجع السابق، ص 344. -كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق ص 269.

قاعدة مستطيلة الشكل طول ضلعها (9.50م) وارتفاعها (5.05م)، هذا الوضع للمئذنة يعدّ من الأمور النادرة في عمارة بلاد المغرب حتى الأندلس، فشكلها المستطيل وموقعها يختلفان عما كان سائداً في عصر الموحدين حيث الغالب أن تكون المئذنة مربعة وموقعها في الجهة الشمالية الغربية مقابلة للحراب، أو عند إحدى نهايات تلك الجهة، ومن الأمثلة القليلة المشابهة لأسلوب بنائها إلى حد ما مئذنة صغيرة بمدينة سلا¹.

و-جامع القصبة بمراكش:

تارياً أشارت المصادر إلى أنَّ تشييد هذا المسجد يعود إلى يعقوب المنصور، الذي أمر في سنة (585هـ/1189م) قبل خروجه إلى الأندلس لغزو قشتالة سنة (591هـ/1195م)² ببناء قصبة بمراكش كمدينة ملوكية بجانب الحاضرة مراكش، وعند عودته إليها عام (594هـ-1198م) كانت القصبة وجامعها وجميع المنشآت السلطانية بها قد اكتملت بما في ذلك القصور الملكية والمدارس والقيصرية وغيرها، وقد أنفق على هذه المنشآت خمس غنائم هذه الغزوة³، أمّا عن تاريخ بناء الجامع غير معروف بدقة، لكن يعتقد أنه بدأ العمل فيه قبل عام (585هـ/1189م)، واكتمل إما سنة (593هـ/1197م) حسب رواية صاحب كتاب الاستبصار⁴ أو في عام (594هـ/1198م) حسب رواية ابن أبي زرع الذي أمننا بمعلومات مهمة تؤكّد حجم الأموال الكبيرة المخصصة له، إذ وصلت أخبار الخليفة مفادها أنَّ عرفاء البناء الذين أُوكِلُوا لهم مهمة إتمام المسجد قد أكلوا أمواله وجعلوا له سبعة أبواب على مقدار عدد أبواب جهنم فاستشاط غضباً، فلما كان وصوله للمسجد سأله عن عدد أبوابه فقيل له سبعة والثامن يدخل منه أمير المؤمنين فسرّ بذلك كون عدد أبواب الجنة ثمانية، وقال لا بأس بالغالى إذ قيل حسن وقد زاد من إعجابه ما رأه من إتقان وأساليب لم يرها من قبل⁵.

-1- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 229.-ينظر أيضاً: صالح بن قربة، المئذنة، المرجع السابق، ص 48-49.

-2- توريث بالباس، المرجع السابق، ص 28.

-3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 229.

-4- مجهول، الاستبصار، ج 1، المصدر السابق، ص 181، ينظر أيضاً: كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 273.

-5- ابن أبي زرع المصدر السابق، ص 230.

كان النّظام التّخططي لجامع قصبة مراكش مختلفاً عن جميع المساجد الإسلامية المعاصرة له في شرق العالم الإسلامي وغربه، يتجلّى هذا الاختلاف بصورة رئيسية في ابتكار أسلوب جديد يتمثّل في فكرة تعدد الصحن بالمسجد، الذي يشغل مساحة مستطيلة يتوسعها صحن مركزي رئيسي مستطيل الشّكل، تتوسطه نافورة مصنوعة من الرّخام، ويحيط بهذا الصحن أربعة صحنون متوازنة الشّكل بمعدل صحنين في الجانبين الشرقي والغربي، وتحيط بهذه الصحنين أربع ظلال أكبرها ظلة بيت الصّلاة تتكون من إحدى عشرة بلاطة بعقود تسير عمودياً اتجاه القبلة¹.

فيما يتعلّق بصومعته فهي أقلّ ضخامة من صومعة جامع الكتبية، وقاعدتها مصنوعة من الحجر الأبد، فيما باقي أجزائها مبنية من الآجر، تتميّز ببساطتها مقارنة بصومعة قرطبة وصومعة جامع الكتبيين، وكلّ جانب من جوانبها يحتوي على شريط عريض في الجانب العلوي تم تزيينه بزخارف هندسية من الخرف بالإضافة إلى مساحة كبيرة من الشّبكات المتفرّعة من ثلاثة عقود مصمّمة، وقد أصبحت هذه الصّومعة نموذجاً للعديد من الصّوامع التي شيدت في القرنين (7-13هـ/14-18م)².

و-جامع حسان برباط الفتح:

ذكرت المصادر التّاريخية منشأ جامع حسان في رباط الفتح منها ما أورده صاحب كتاب المعجب من أنّ أبي يعقوب المنصور بنى مسجداً كبيراً واسعاً المساحة والفناء، لا يعلم بوجود مسجد أكبر منه في بلاد المغرب الإسلامي، وقد بُنيت له مئذنة في نهاية العلوّ كانت لتكون أعلاً منارة لو تمّ إنتهاء بنائهما، على هيئة منارة الإسكندرية، يمكن الصّعود إليها بدون درج، كما يمكن أن تصعد الدّواب محمّلة بالطين والجصّ والطّوب، وكلّ ما يحتاج إليه في عملية البناء ولم يتمّ بناء هذا الجامع لأنّ العمل توقف بوفاة أبي يوسف، ولم يعمّل خلفاؤه شيئاً بعده³.

¹ كمال عناني إسماعيل المرجع السابق، ص 274.

² توريس بالباس، المرجع السابق ص 28.

³ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 195، ينظر أيضاً: إبراهيم حرّكات، ج 1، المرجع السابق، ص 343.

أما نسبة الجامع إلى حسان فمحاطة بالغموض، ففي حين أكدت بعض الدراسات أنه اسم لقبيلة سكنت مكان المسجد، أو أنه مشتق من كلمة الحُسن، أو قد يكون حسان هو اسم المهندس الذي أشرف على المسجد وبنائه، لكن لا يوجد دليل تاريخي أو أثري يدعم هذا الطرح، فالجواب عن الموحدية في بلاد المغرب والأندلس لا يوجد من بينها اسم لمهندس يدعى حسان فكان من المنطق أن يتسمى باسم الخليفة الذي أمر ببنائه، أو باسم المدينة التي شيد بها.

وقدحظى بأهمية كبيرة وشهرة واسعة كما ورد في مختلف المصادر التاريخية، وعلى الرغم من كل هذه الأوصاف العظيمة لهذا الجامع، إلا أن عملية البناء لم تكتمل في عهد الخليفة أبي يعقوب المنصور المعروف بحبه للبناء بعد وفاته في سنة (1199هـ/596م)، ولم يكمله أيٌ من الخلفاء الموحدين الذين تعاقبوا على الحكم بعده، وذلك راجع إلى عدّة أسباب منها، عدم حماسته، الخلفاء الموحدين لإتمام هذا الجامع الذي رغب المنصور في جعله أكبر مساجد المغرب مساحة، فكان هذا المشروع سيستنفذ موارد الدولة، إضافةً أن مدينة الرباط التي بذل أبو يعقوب جهوداً مضنية لبنائها، لم تعمّر بمقدار ما يأمله الخليفة بعد وفاته، فتوجهت عنابة الخلفاء الموحدين نحو بناء مدن جديدة لاسِيماً بمدينة سلا، حيث بني جامع يعرف بجامع الطالعة، وكانت هذه المدينة محببة للخلفاء الموحدين، حيث كانوا يقيمون بها أثناء تقلّهم إلى الأندلس لجمالها وحداثتها التي غرسها المهاجرون منبني يفرن¹.

بالإضافة إلى ذلك تعرض هذا الجامع للهدم والتخريب والسرقة في نهاية عصر الدولة الموحدية، فبدلاً من المحافظة على المسجد قام الخليفة الموحدي السعيد بتقسيمه أبواب الجامع وأسقفه الخشبية ليصنع منها مراكباً في عام (1243هـ/641م) والتي ما لبثت أن احترقت في نهر أم الربيع، ليقوم الغوغاء واللصوص بنهب ما تبقى من أخشاب المسجد في العهد المريني ثم السعدي، وحتى في أيام العلوين حيث صنع السلطان عبد الله ابن إسماعيل سفينتين مِمَّا تبقى من أخشاب الجامع وسمّاها سفينتين الكراكيجية².

¹ كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 281.

² إبراهيم حرّكات، ج 1، المرجع السابق، ص 343.

هذا يسمح لنا بالقول أن الدول الإسلامية في منطقة المغرب الإسلامي عانت من انحدار فكري وثقافي يعكس ضيق أفق بعض الأمراء غير الأكفاء، ففي حين نجد خلفاء لهم بعد نظر مثل الخليفة أبو يعقوب الذي أراد تعمير الرباط وبناء أكبر مسجد بها نجد أن الخليفة السعيد كان سببا في تفكك عمارة المسجد وخرابها.

بالنسبة لخطيب المسجد وتصميمه فهو غريب ولا يوجد في أي مسجد آخر بالمغرب الإسلامي إذ يشغل مساحة مستطيلة من الشمال إلى الجنوب (180م) وعرضه من الشرق إلى الغرب (40م) أي ما يقارب من (2500م)، أمّا مساحة قاعة الصلاة فتقدر بحوالي (19321م) وارتفاع جدرانه ما يقارب تسعه أمتار ويعبر هذا عن العظمة في البناء والإسراف في الفخامة، وبذلك فهو من أكبر مساجد المغرب مساحة، فبيت الصلاة يشغل مساحة كبيرة تشمل أكثر من ثلثي مساحة المسجد كله حيث تبلغ نحو (1932م) وهذا غير مأثور في بيوت الصلاة بمساجد المغرب وبه واحد وعشرون بلاطة عمودية على جدار القبلة تتميز البلاطة الوسطى والبلاطتان الجانبيتين منها أكثر اتساعاً من البلاطات الأخرى.¹

أمّا عن المئذنة (الملحق رقم: 12) فقد أقيمت في الجهة الشمالية الغربية لبيت الصلاة على نفس محور المحراب وهي الوحيدة التي تم تصميماً بها الشكل في مآذن مساجد بلاد المغرب حيث العادة أن تبني في الركن المقابل للمحراب فتكون مقابلة لجدار القبلة، وهي مربعة الشكل على نمط النموذج الغالب في المغرب والأندلس² وتتراجع جدرانها إلى الداخل بشكل بسيط كلما ارتفعت إلى أعلى مما أكسبها قوّة ومتانة وهي مبنية بالحجر المصقول وسمك جدارها حوالي (2.50م) وطول كلّ ضلع من أضلاعها (16م)، يقدر ارتفاعها ما يقارب (55م) وكان ارتفاعها الأصلي حوالي (65م) لكنّ جزءها العلوي يكون قد سقط نتيجة الزّلزال الذي تعرضت له المنطقة سنة (1169هـ/1770م)، وأهمّ ما يميز هذه المئذنة تشكيلاتها الرّخامية المتنوعة على كل وجه من أوجهها الأربع، بالإضافة إلى أشكال الفتحات والتّواوفذ الموزعة فوق بعضها على بعض لإضاءة السّلم الدّاخلي للمئذنة، تعتبر هذه التّواوفذ عقوداً مغلفة حدوية الشّكل مزخرفة بتصاميم تشبه اتحاد السّهام، وهذه الرّخارف تشابه النّمط الأندلسي المأثور في زخرفة واجهات

¹ السيد عبد العزيز سالم، المغرب، المرجع السابق، ص 763.

² صالح بن قربة، المئذنة، المرجع السابق، ص 68-69.

المآذن، وهو التموج الذي بدأ في العصر المرابطي وتطور أكثر في العصر الموحدi وبلغ ذروته في عصر دويلات ما بعد الموحدين¹.

- رابعاً: المدارس في المغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين:

شهد المغرب الإسلامي حركة تعليمية نشطة منذ قيام دولة المرابطين وحتى عصر الموحدين، كون قيام الدولتين أساسه العلم فنشطت العلوم الدينية²، وقد انعكس ذلك على بناء المنشآت التعليمية في ربوع مدن المغرب الإسلامي كفاس ومرakesh وتلمسان وسبتا وغيرها من حواضر بلاد المغرب وقد تضارفت عدة عوامل في الدفع بالحركة التعليمية كتشجيع الحكام للعلم واستقرار الأوضاع فضلاً عن حرص المغاربة على حب العلم وتعلمه³.

أما عن ظهور المدارس في بلاد المغرب الإسلامي فهناك من يرى أنها انتشرت منذ عصر المرابطين وتحديداً في نهاية القرن الخامس الهجري حيث قام وجاج بن زلو ببناء دار في السوس الأقصى بعد عودته من القيروان وسمّاها بدار المرابطين واختصت بالعلوم النقلية⁴، كما لا يُستبعد وجودها في فاس وسبتا وتلمسان كما انتشرت أيضاً في الأندلس في قرطبة وغرناطة وغيرها من المدن، ومرد ذلك تنافس القبائل المرابطية حيث كان لكل قبيلة مدرسة أو مدرستان

¹كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 290.

²قاد الدعوة الدينية لدولة المرابطين عبد الله بن ياسين وكان للفقهاء مكانة مرموقة وحظوظة عند سلطان المرابطين حتى لُقبت هذه الدولة بـ«دولة الفقهاء» أما دعوة الموحدين فقد أنشأ محمد بن تومرت والذى بدوره كان فقيها عالما له دراية بالكثير من العلوم الشرعية والدينية وكان يؤثر أهل العلم ويجرى عليهم الرزواتب وكذلك سار خلفاؤه من بعده وقد أدى هذا الاهتمام بالجانب العلمي لنشاط وصراع فكري بين الدولتين تجسد في المنازرات العلمية نذكر منها مناظرة محمد بن تومرت لعلماء دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين أين استطاع ابن تومرت أن يُحاجج جميع علماء المرابطين في مختلف القضايا التي أثيرت بينهم وبعد ما رأوا منه قوّة حججه نصحوا الخليفة علي بن يوسف بسجنه أو قتلها لما قد يشكله من خطر على الدولة إلا أن الخليفة صرفه وسأله الدّعاء، ينظر: محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، الجزائر، وزارة الثقافة، 2007، ص 5-16.-عبد الله كنون، التبوغ المغربي في الأدب العربي، ج 2، ط 2، مركز النخب العلمية، الرياض، 1380هـ، ص 391، ينظر، شوقي ضيف، ج 8، المرجع السابق، ص 69.

³منير شواكري، أسس قيام الدولة في المغرب الإسلامي وفق نظرية ابن خلدون، التشريري الجامعي الجديد، تلمسان، 2016م، ص 179.

⁴-مجهول الحال الموسوية، المصدر السابق، ص 20.

مخصصة للّتعليم، ومن العلماء البارزين الذين تخرّجوا من هذه المدارس القاضي عيّاض، وأبو الوليد بن رشد صاحب كتب 'الأوائل' و'المدونة' و'البيان والتحصيل'.¹

وبالرجوع إلى المصادر التّاريخية لبلاد المغرب والأندلس لا نجد إشارات واضحة إلى وجود مدارس بالمعنى الحقيقي قبل عصر الموحدين وبالتالي يعتبر الموحدون أول من شيد المدارس ببلاد المغرب والأندلس منذ عهد الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي(524-558هـ/1130-1163م)، وإذا لم يبق أثر لهذه المدارس التي تؤكد وجودها²، فإنّه يستفاد من إشارات المصادر التّاريخية إلى بناء الموحدين لهذا النوع من المؤسسات وتداول مصطلح مدرسة خلال فترة القرن السابع الهجري الموافق لـ الثالث عشر الميلادي من حكم الموحدين مما يفيد وجود مؤسسة معمارية خاصة لطلبة العلم³، تجمع بين الدراسة والإيواء.⁴

كما أشارت المصادر إلى وجود أربع مدارس، إحداها في سبتة وثلاثة في العاصمة مراكش، بينما لم يتم ذكر أي منها في مدن المغرب الأوسط، وهناك نقاط التقاء واختلاف بين مدرسة سبتة ومدارس مراكش، فمن قواسمها المشتركة اهتمامها بالعلم واستهدافها للطلاب الذين يرغبون في التّعلم بالإضافة إلى حداة المدرسة، ومن بين عناصر الاختلاف تباين مصدر الإنشاء والتّمويل والرعاية، حيث كان الإنشاء في الحالة الأولى خارج إطار المخزن من طرف عالم سبتة أبي الحسن الشّاري، فهي مؤسسة ذات بُعد اجتماعي يكون الوقف وتبرّعات المحسنين أهم مصادر دخلها، وكانت كتبها وفقاً للطلبة أمّا مدارس مراكش فيعود تأسيسها والإنفاق عليها إلى السلطة الحاكمة وهذا لا يخلو من مقاصد وغايات تكوين رجال علم لهم ولاء للسلطة.⁵

-خامساً: الرابط والزوايا في عهدي المرابطين والموحدين

¹ كمال عناني إسماعيل، المرجع السابق، ص 302.

² محمد السيد محمد أبو رحاب، ملامح تخطيط العوامل الدينية المرينية بالمغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالمغرب الأوسط دراسة أثرية مقارنة، مجلة دراسات تراثية، الجزائر، العدد 1، 2011، (ص 123-137).

³ محمد رابطة الدين، مراكش زمن حكم الموحدين جوانب من تاريخ المجال والإنسان، ج 2، ط 2، مراكش، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، 2016، ص 198.

⁴ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 227، ينظر أيضاً: محمد رابطة الدين، ج 2، المرجع السابق، ص 189.

⁵ محمد رابطة الدين، ج 2، المرجع السابق، ص 189.

شهد العصر المرابطي ظهور التصوف خاصةً في أواخر عهدهم سواءً في المغرب أم الأندلس، لاسيما بعد دخول كتاب الإحياء للغزالى لبلاد المغرب، فقد لاقت أفكاره انتشاراً واسعاً على الرغم من معاقبته من وجد عنده وإفقاء فقهاء المالكية بإحراقه وحريم قراءته سواءً في المغرب أم الأندلس¹، على أنّ التصوف كان في العصر المرابطي أقرب منه إلى التصوف الأثري، على طريقة التابعين الأوائل كتصوف حسن البصري منه إلى حالات الجذب التي وصل إليها فيما بعد، فلم تكن هناك طقوس وأمور خارجة عن السنة، بل كان تصوفاً سنّياً إن صح التعبير ولم تكن له طرق أو مذاهب ومراتب عكس بلاد المشرق والأندلس التي ظهرت بها مدارس واضحة المعالم، ومن أعلام التصوف في عهدهم أبو يعزى يلنور، وابن العريف وعلى ابن حزرم².

وفي العهد الموحدي أصبح المتصوفة قوة اجتماعية ضاغطة حيث تجاوزت الجانب الفردي إلى التصوف الجماعي وأصبحوا الكثرة الغالبة في ميدان الفكر والتعليم³، وظهرت كتب ذات قيمة كبيرة عكست ذلك ككتاب التشوّف⁴، وقد ورد في المصادر التاريخية خاصةً كتب المناقب منشآت عمرانية خاصةً بالأولياء والمتصوفة تمثلت في الرابط⁵ والزوايا.

¹ كان أساس دعوة الموحدين الاهتمام بالعلم وعليه قامت دولتهم لكن في أواخر عهد الدولة تدهورت الحياة الفكرية نظراً للتعصب الكبير لبعض الولاة واضطهادهم للعلماء كاضطهاد الخليفة المنصور الموحدي للفقيه ابن رشد، ينظر: عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 67.

² إبراهيم حرّكات، ج 1، المرجع السابق، ص 180-183.

³ محمد عبد الله عنان، ج 4، المرجع السابق، ص 682.

⁴ وردت عديد التسميات التي تدلّ على التصوف الجماعي منها مصطلح "الإخوان" "المريدين" "الزّوار" وقد انتهى صاحبه من تأليفه سنة (617هـ/1220م) ينظر: التالدي، التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السّبّتي، تح أحمد التّوفيق، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1984م، الدار البيضاء، ص 219-221.

⁵ الرابط: مصدر رابط يربط ربطاً ورباطاً ما ربط به والجمع ربط ورباط الخيل مرابطتها والمرابطة الإقامة على ثغر العدوّ والأصل ربط كلاً الفريقين خيله في ثغر كلّ منهما ، حتى صار لزوم الثغر رباطاً ، والرباط أصلًا جهاد العدوّ بالحرب وإعداد العدة له، والرباط من حيث المدلول المعماري هو منشأة حربية دفاعية تقام عند السواحل أو الشواطئ أو حدّ الصحاري قصد الدفاع عن الثغر وقد انتشرت منذ الفتح الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي؛ والجدير بالذكر أنّ مصطلح الرابط ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

وإن كان ظهور الزوايا بعد ظهور الرباط فقد كانت هذه الأخيرة منشأة ضرورية بعد الفتح الإسلامي لحماء السواحل قبل أن يتمكن المسلمون من إنشاء وسائل الدفاع فوق الماء لذا كان بنيان الرباط في المناظر والمحارس المرتفعة لمراقبة السفن قبل اقترابها من الساحل ووصول الخطر إلى البر ومنه تعطى الإشارة إلى جنود الرباط بالتأهب والسير نحو الخطر فكان الرباط مركز دفاع قوي وليس برج مراقبة فقط¹.

وقد زادت أهمية الرباط بالمدن الساحلية مع وجود الخطر الداهم وظاهرة القرصنة التي وُجدت منذ أقدم العصور في منطقة البحر المتوسط ويعتبر رباط سوسة نموذجاً للرباط الذي تتوفر فيه متطلبات الحياة بشكل يوحى عن عصرية إسلامية في الفن المعماري فهناك غرف للنوم الخاصة بالمنقطعين والمرابطين وتتم الإنارة ليلاً عن طريق مصابيح زيتية، وأما وفرة الماء للشرب والطهي موجود تحت السلم المؤدي إلى الرباط وأما المؤن والأسلحة الاحتياطية فمكانتها في الغرف الجنوبية للرباط وعن قدرة استيعابه فهي لا تتجاوز الخمسين مرابطاً باستطاعتهم صد الهجمات المفاجئة، وهو نموذج للرباط في نهاية القرن الثامن الميلادي وبعد تسوير مدينة سوسة تراجعت أهميته الحربية فإنه عرف تطويراً عمرانياً بعد تأسيس المسجد كما تعرض للحرق أثناء ثورة أبي يزيد بن مخلد الكيداد اليفرنى²، وفي القرن الخامس صمد ضدّ تحرير الأعراب للمدينة وحسب الباحث بلغيث فإن الرباط في صورته اليوم لا يعبر عن صورته في العهد الأغلبي نظراً للإصلاحات الكثيرة التي أجريت عليه³.

وزاَبِطُوا وَانْقَوَلَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (الآية 200، سورة آل عمران)، ينظر: ابن منظور، ج 7، المصدر السابق، ص 302.- محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص 38.

¹ محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص 38-40.

² أبو يزيد بن مخلد الكيداد اليفرنى: هو ثائر خارجي وأحد كبار أئمة الإباضية النكارية نزل من جبال الأوراس بالغرب الأوسط خرج على الشيعة ودخل إفريقية وقام بتحريق مدنه وقتل أهلها يلقب بصاحب الحمار قام بثورة (334هـ / 947م) كادت تقضي على الدولة الفاطمية، تمكّن من إطباقي الحصار على المهدية وقد ناصره الفقهاء لإظهاره الخير وترحّمه على أبي بكر وعمر ودعوه للقضاء على الشيعة إلا أنّ ثورته فشلت وتمّت تصفيته من قبل الأمراء الفاطميين، ينظر، ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 217، ينظر ابن الأبار، الحلة السيراء،

تح، حسين مؤنس، ج 2، ط 2، دار المعارف، 1985م، القاهرة، ص 387.

³ محمد الأمين بلغيث، إشكالية المدينة، المرجع السابق، ص 111-112.

ومن ناحية التصميم المعماري يشكل رباط المنستير¹ أقدم المعالم في إفريقيا، والذي بقي على هيئته الأصلية والتي اتّخذت منه الرباطات الأغليبة نموذجاً²، وهناك نماذج للرباطات في تازة ورباط الفتح إلا أنّها تفتقد لبعض خصائص الرباطات الإفريقية فرباط تيط على ساحل المحيط الأطلسي بمنطقة دكالة وعلى بعد اثني عشر كيلومتراً من مزغان في مولاي عبد الله اليوم وهو يعود إلى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي والذي كان مكاناً خالياً لا عمارة فيه سرعان ما تحول بعد نزول الشيخ إسماعيل الأمغاري الذي وضع اللبننة الأولى لعمارة المكان وذلك قبيل ظهور الدولة المرابطية وقد ترّوج الشيخ من أحد القبائل المنتشرة في مضارب الرباط والتي يعود نسبها إلى صنهاجة والتي ستعاون مع عبد الله بن ياسين وخلفائه من المرابطين على نشر المذهب المالكي والتضييق على المذاهب المخالفة له، كما خصّ المرابطون امتيازات كبيرة لأهل تيط منها أنّ علي بن يوسف المرابطي استشار شيخ هذه القبيلة أبا عبد الله أمغار لما أراد بناء سور مراكش³.

ويتكون هذا الرباط من ثلاثة أبواب وست قلاع عظيمة مبنية من الحجر الصّالد وقد بقي صامداً فقد استخدمه الموحدون حيث أنّ المهدي بن تومرت زعيم الموحدين قد لجأ إليه لما انهزم أمام المرابطين، كما شهد حركة عمرانية نشطة في عهدهم حيث تمّ بناء سور حول الرباط حتى أصبح شبيه قلعة محصنة⁴ وقد لاحظ الأستاذ جورج مارسي أنّ هناك تشابه واتصال بين فنّ المغرب الأدنى والهندسة الحربية المرابطية من خلال قلعة ترغيموت، فهي نموذج للهندسة الحربية التي تربط بين صنهاجة الشرق وصنهاجة الغرب هذه القلعة التي أسسها المرابطون لردع الموحدين، أقامت بها حامية مرابطية تكونت من مائتي فارس وخمسين ألفاً من المشاة لحراسة هرقة، وتقع جنوب شرق مراكش وعلى بعد عشرة كيلومترات من أغمات ولذلك بُرِزَ الفرق بين

¹-المنستير: مدينة قديمة بها رباط مشهور على ساحل البحر بينها وبين القironan ستة مراحل ورد فضلها في الأثر كما تمتّصنّيف عديد الكتب في فضل رباطها وقيل عنه أنه لم يقصدها أحد من النّصارى للقتال إلا وإنّهم ينظرون: أبو العرب التّميمي، طبقات علماء إفريقيا وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت، ص 4-6، ينظر، ياقوت الحموي، ج 5، المصدر السابق، ص 210.

²-محمد الأمين بلغيث، إشكالية المدينة، المرجع السابق، ص 111-112.

³-أحمد الوارث، رباط تيط في دكالة تاريخ وعمارة، مجلة رواق، العدد 10، 2021، (ص 48-75)، ص 52-55.

⁴-أحمد الوارث، المرجع نفسه، ص 60.

بناء المساجد والزوايا بين الفن العسكري في اتخاذ القلاع والحسون والرباطات وهو ما نتج عنه ثروة فنية إسلامية وإبداع معماري إسلامي.¹

ومن خلال دراسة الرباطات في المغرب الأقصى فهي قريبة الشبه حسب إبراهيم حركات للرباطات في إفريقية، فهي عبارة عن حسون مربعة تتكون من طابقين يصعد إليها عن طريق سلم ويحتوي كلّ منها على غرف تطلّ على صحن تحيط به أقواس وفي كلّ من زوايا الحصن أبراج للمراقبة والإضاءة ويدوّ أنّ هذه الهندسة مستوحاة من التأثير البيزنطي فرباط السنينغال كان بهذا الطراز ولم يكن مجرد مسجد ثُقُم في الصلاة.²

وينتجلّ الدور العمراني للربط في مدينة سوسة بوضوح حيث إنّها كانت مدينة فينيقية تسمّى بحدرومات فإن سوسة في العهد الإسلامي يعود تطورها العمراني إلى مكانتها الحربية كثغر من الثغور الإسلامية في العهد الأغليبي، فمنذ أن أنشأ أبو هارون موسى حصن سوسة مكان قصر الرباط الحالي بقصد تأمين الساحل، تواصلت الجهود بعدها دون انقطاع لتمصير سوسة وتعميرها بالمعالم سواء الدينية أم الحربية فاتسعت رقعة المدينة وازداد عدد سكّانها.³

أما في المغرب الأوسط فهناك شحّ كبير في المصادر لذكر الرباط الذي أحاطت به المساكن، مع العلم أنّ بونة ورباط أبي مروان الشّهير ومرس الخرز وشرشال وهنّين ووهّران بها رباطات واضحة المعالم أمّا المدينة التي يتّضح فيها دور الرباط العمراني فهي تلمسان حيث عند وصول المرابطين أنشأوا تاقرارت وهي المحلّة أو المعسّر وضمت تاقرارت إلى أغادير النّواة الأولى للمدينة فتشكلّت مدينة تلمسان وعرفت المدينة في العهد الموحدي تحصينات ومعاقل حتّى أصبحت من أعزّ معاقل المغرب الإسلامي وأحسن أمصاره⁴، أمّا المغرب الأقصى فالدور العمراني يتّضح في كلّ من رباط ماسة في السّوس الأقصى⁵، واشتهر رباط واجاج بن زلوا

¹ محمد الأمين بلغيث، إشكالية المدينة والتّمدن، المرجع السابق، ص 115-119.

² إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص 175.

³ محمد الأمين بلغيث، إشكالية المدينة والتّمدن، المرجع السابق، ص 116-117.

⁴ المرجع نفسه، ص 119-122.

⁵ ماسة: اسم نهر ينبع من الأطلس الصغير قامت حوله عديد القرى والربط منها رباط ماسة الشّهير عرف بتردد الأولياء عليه حيث عدّة أساطير حوله منها خروج المهدى منه ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 369، وأيضاً الحموي، ج 1، المصدر السابق، ص 125.

اللمطي (ت بعد 429هـ/1038م)¹، ورباط عبد الله بن ياسين في أقصى جنوب المغرب الإسلامي الذي كان يتسلّك فيه مع رفاقه ومنه بدأ عبد الله بن ياسين دعوته²، حتّى أضحت المرابطون قوة سياسية عظيمة كما اشتهر رباط الفتح ورباط تازة، وهي أول مدينة أنشأها عبد المؤمن نظراً لمكانتها المهمة خاصة من الناحية الحربية فعمد إلى إنشاء رباط الجيش، ثمّ شيد مسجداً وأقام على المدينة سوراً في سنة (529هـ/1135م)، وخير مثال على ذلك رباط الفتح الشاهد على الدور العماني للربط في المغرب الأقصى في عهد الموحدين، حيث اتّخذه عبد المؤمن داراً وأدار عليها الأسوار وبنى مسجداً ومدرسةً، وأجرى اليهما الماء بعد عودته من فاس سنة (540هـ/1146م) غير أنّ رباط الفتح كمدينة بأسوارها الحالية أُسسها يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين³.

وقد كثُر بناء الربط في بلاد المغرب الإسلامي ولاسيما في الجزء الشمالي وتحديداً بمحاذاة السواحل، إلى أن صارت تعداد بالعشرات وهو ما أشار إليه التّادلي في كتابه *التشوف* بوجود عديد الأربطة كرباط آسفي ورباط العباد قرب تلمسان في المغرب الأوسط⁴، وعلى أيّ حال لم تتبّقَ أية نماذج كاملة سواءً في المغرب الأوسط أم الأقصى كما هو الحال بالمغرب الأدنى حيث لا يزال رباط المنستير ورباط سوسة.

ورد في بعض المصادر التاريخية مصطلح رابطة بمعنى الربط حيث ذكر صاحب الاستقصاً أنّ الرباط الذي أقامه عبد الله بن ياسين المرابطي بقوله: "وابتني رابطة" وهو الربط الذي أقام به وأصحابه للتعبد والتّعلم والجهاد وترغيبهم في ثواب الله وتحذيرهم من عقابه، حتّى

¹ واجاج بن زلوا للمطي: من أهل السوس الأقصى، أخذ العلم عن أبي عمران الفاسي رحل إلى القิروان وبعد عودته بنى داراً سماتها دار المرابطين لطلّاب العلم وقراءة القرآن، وكان من رجال التشوف وفقيها صالحًا ولله مكانة كبيرة عند المصامدة، حيث كان يزار ويأخذ منه العلم وهو من أشار على يحيى ابن إبراهيم باستقدام العالم عبد الله بن ياسين الرّعيم الروحي لدولة المرابطين، ومن هذا انطلق عبد الله بن ياسين في دعوته لدى الملّمين، ينظر: النّاصري، ج 2، المرجع السابق، ص 7.

² شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج 10، ط 1، مصر، دار المعارف، 1990م، ص 333.

³ محمد الأمين بلغيث، تاريخ المدينة، المرجع السابق، ص 122.

⁴ التّادلي، التشوف إلى رجال التشوف، تحرير أحمد التوفيق، ط 2، الرباط، منشورات كلية الآداب، 1997، ص 41.-محمد بن القاسم السّبتي، اختصار الأخبار عما كان يعرف بثغر سبتة من سنّي الآثار، ط 2، تحرير عبد الوهّاب بن منصور، 1983، ص 30-31.

بلغ عددهم نحو الألف وقد سماهم المرابطين للزومهم رابطه^١، ورغم وجود بعض التمايز في بعض المصادر إلا أنه يبدو أنه لا فرق بين الرباط والرابط من حيث الوظيفة وهي التفريغ للعبادة وإطعام الطعام ومساعدة المحجاجين ومجاهدة العدو.

أما الروايا فهي عبارة عن تطور للرباط من حيث إن كليهما مأوى لإقامة الفقراء وعابري السبيل، ولكنها يختلفان في الموقع الجغرافي حيث كانت الرابط تقع على جانب التغور ومرانة الحدود في حين أقيمت الروايا داخل المدن أو بجانبها.^٢

سادساً: الكتاتيب

عرفت بلاد المغرب الإسلامي منذ فترة مبكرة الكتاتيب أو المساجد كمكان لتعليم الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، وفي القرنين (3-4هـ/9-10م) شهد هذا النوع من المنشآت اهتماماً واسعاً من طرف الفقهاء المغاربة وخاصة في المغرب الأدنى حيث ظهر علماء نظروا لأمور التربية والتعليم وأبرزهم القاضي سحنون (ت 754هـ/1240م)^٣، وابنه محمد بن سحنون التتوخي (ت 1030هـ/252م)^٤، ثم جاء من بعدهم علي ابن خلف القابسي (ت 421هـ/769م)^٥.

تناول هؤلاء العلماء الآراء التربوية وتكلموا عن تعليم الصبيان والمناهج وطرائق التدريس وأماكن التعليم ومراحله وشروط المعلم، وفضل تعلم القرآن وتعلمه والغرض من التعليم، وتذليل

^١ الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 9.

^٢ محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 161.

^٣ الإمام سحنون: من كبار فقهاء المالكية عمر ما يزيد عن ثمانين سنة وكان فقيها بارعاً، وورعاً صادقاً وقاضياً صارماً وظل طيلة مدة قضائه رافضاً لهبة وهدايا السلطان وقيل عنه أنه لم يكن بين مالك وسحنون أحد أفقه منه، ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تج، جسيين أسد وآخرون، ج 12، ط 3، دمشق، مؤسسة الرسالة، 1985، ص 69.

^٤ أبو بكر المالكي، ج 2، المصدر السابق، ص 153.

^٥ ولد القابسي بالقيروان وفيها طلب العلم وبها مات ودفن ويرجع نسبه إلى مدينة قابس ضاحية من ضواحي تونس، له ما يزيد عن خمسة عشر مؤلفاً أفرد واحداً منها للتربية والتعليم وهي رسالة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين صنفها في التصف الثاني من القرن الرابع، ينظر: ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه بضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تج، محمد نعيم العرقوسوي، ج 7، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ص 30.

صعوباته ومشروعية أخذ الأجرة عن التعليم، وأراؤهم الفقهية هي الأسس الأولى التي قامت عليها حركة التعليم في بلاد المغرب والأندلس.¹

كما ظهرت العديد من المصنفات في المغرب والأندلس اهتمت بعملية التعليم وضوابطه الشرعية والعلمية، ولكن لم تخرج مصنفات هؤلاء العلماء عمّا رسمه العلماء الأوائل سحنون وابنه محمد والقابسي، وقد فصل ابن خلدون في طرائق التعليم وأمكنته وبين الطرائق المتّبعة في المغرب والأندلس وبلاد المشرق، واتّسعت رؤيته للتعليم بالعمق والشمولية، فقد تحدّث عن المسائل الأولى المتعلقة بالتعليم الأولى وأفرد فصولاً له وبين أهمية التعليم في الصغر، وأن الشدة على المتعلمين والعقبات اللفظية والبدنية مضرة لهم، وأنّها مذعاً لتدمير الملكة وبين فضل الرّحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة، وكونها مزيد كمال لطالب العلم فعلى قدر كثرة الشّيخ ين يكون حصول الملّكات²، وفي العصر المرابطي لا يمكن تتبع ما شيد من مكاتب الصّبيان نظراً لشح المعلومات وقلة المصادر التي وصلت إلينا من هذا العصر.

أمّا في العهد الموحدي فإنّها انتشرت بكثرة سواء في مراكش أم فاس، وقد كانت سبباً في نضوج الحركة العلمية في المغرب على عهد الموحدين لما لاقاه المعلمون من حظوة ومكانة جليلة عند السّلطان، فقد جلب الموحدون كلّ من اشتهر أمره من العلماء حتّى اجتمع في فاس علم القبروان وعلم قرطبة، وكان ملوك المغرب يجلّون الوافدين عليهم من المدرسّين والعلماء³، ويبدو من خلال الروايات التّاريخية أنّ الوظيفة التعليمية لهذه المكاتب في أنّ القرآن احتلّ مكانة الصّدارة حتّى يحفظه الصّبيان عن ظهر قلب وبعد أن يختتم الصّبيّ تقام له مأدبة يدعى إليها أقران الصّبيّ تكريماً له وتشجيعاً وتحفيزاً لأقرانه.

أ- خزانات الكتب:

¹ محمد منير مرسي، *التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية*، ط١، عالم الكتب، الرياض، 2005، ص 314.

² ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 740-747.

³ ابنقطان، *أحكام النظر في أحكام النظر بحاسة البصر*، تح إدريس الصّمدي، ط١، دار القلم، 2012 دمشق، ص 19.

عرفت خزائن الكتب في بلاد المغرب الإسلامي منذ القدم وهي على نوعين مكتبات خاصة وأخرى عامة، ويرجع عهد المكتبات إلى عهد الرستميين في المغرب الأوسط¹ والأدارسة والمرابطين فعلي بن يوسف بن تاشفين لما أشار عليه الفقهاء²، بضرورة إتلاف كتاب الإحياء وإحراقه نزل برأيهم وأصدر أمراً بمصادرته وإحراقه وأمر بتقديش المكتبات العامة والخاصة³، وقد أشتهر عديد العلماء الذين امتلكوا مكتبات خاصة أبرزهم عبد الله ابن غلندة الكاتب السرقسطي والطبيب الشاعر الذي توفي بمراكش سنة (581هـ/1191م) وقد كان له حظوة عند عبد المؤمن بن علي وابنه أبي سعيد⁴، ومكتبة عبد الرحيم ابن عيسى ابن الملجوم (ت 604هـ/1207م) بفاس العالم المحدث قال عنه الإمام الذهبي امتلك من الدواوين والدفاتر الشيء الكثير وأخذ عنه الناس من الأقصى⁵، ومكتبة أبي زيد ابن عبد الرحمن ابن محمد ابن يوسف ابن الملجوم (ت 605هـ/1208م) المعروفة بابن رقية بالمدينة نفسها، حيث كانت له كتب عظيمة فقد جمع الدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، فاجتمع لديه ما لم يكن عند أحد من أهل المغرب، وبيعت خرانته بعد وفاته بأربعة آلاف دينار⁶، وقد اشتهرت في العهد الموحدي مكتبة أبي الحسن الغافقي الشاري (ت 649هـ/1251م) حيث بذل في سبيل الكتب أموالاً طائلة زود بها مدرسته التي ابنتها بسبعين

7.

سابعاً: دراسة مقارنة

¹ كان بيهرت عاصمة الدولة الرستمية مكتبة تدعى المعصومة تحتوت آلافاً من الكتب أحرقها الشيعة الفاطميون لما دخلوا إليها، ينظر: مبارك بن محمد الميلي، ج 2، المرجع السابق، ص 77.

² أبرزهم قاضي الجماعة محمد علي بن حمدين (ت 508هـ) من أوائل من اطلع على الإحياء وأنكر ما فيه وتوجّس من أفكاره، ينظر: أبو بكر بن العربي، *قانون التأويل*، تتح محمد السليماني، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1986، ص 55.

³ المصدر نفسه، ص 55-56.

⁴ ابن الإبار، *تحفة القاسم*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 94، ينظر أيضاً: خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ج 4، ط 15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002، ص 195.

⁵ شمس الدين الذهبي، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تتح عمر عبد السلام التدمري، ج 2، ط 43، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ص 151.

⁶ المصدر نفسه، ج 13، ص 113.

⁷ خير الدين الزركلي، ج 4، المصدر السابق، ص 333.

العمارة الدينية في العهدين المرابطي والمُوحدي مثّلت فترات مهمة في تاريخ الفن المعماري الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي، وكان لهذه المنشآت بتنوعها سواء المساجد أم المدارس أما المكتاتيب إسهامات كبيرة في جميع مناحي الحياة وتجلّى ذلك في الاهتمام بتشييدها فيما يلي مقارنة لأوجه التشابه والاختلاف بين العمارة الدينية المرابطية والمُوحدية:

-أ- أوجه التشابه:

1- المساجد:

احتلّ بناء المساجد مكانة مهمة في كلّ من الفترتين المرابطية والمُوحدية باعتباره أول مؤسسة بنيت في الإسلام، وأنَّ الدّعوتين كلاًّيهما قاماً على أسس دينية كما كان موضعه نقطة البدء في تركيب المدينة حيث كان مركزاً روحياً وعلمياً للعبادة والتعلم ونظراً لهذه المكانة فقد اهتمَ حُكَّامُ الدُّولتين بتشييد العديد من المساجد.

اهتمَ المرابطون ببناء المساجد بشكل كبير، حيث كانت المساجد تلعب دوراً مركزيَاً في المجتمع المرابطي لما تقدّمه من دور ديني ونشر لقيم الإسلام، كما كانت عاملاً لتعزيز هيبة وسلطة الحُكَّام ومن المساجد التي بناها المرابطون ذكرَ:

- بناء يوسف بن تاشفين مسجد مراكش في وسط المدينة فقد أشارت المصادر التاريخية أنَّه من الأعمال الأولى التي قام بها وكان يحترم ويخلط الطين بيده تواضعاً منه ومحتسباً للأجر ومشجعاً العمل في تشييد المساجد كما أنَّ المسجد كان داخل السور وبالقرب من القصبة التي احتوت على مخزن الأموال والسلاح¹، ولا شكَّ في أنَّ اختيار الموضع لم يكن اعتباطياً بل للمكانة الاستراتيجية حيث يؤكّد ذلك قربه من دار الإمارة ومخزن الذي احتوى على السلاح والمؤونة.

وما يؤكّد اهتمام المرابطين بالمساجد استحضار استجاد المعتمد ابن عباد ملك إشبيلية بيوسف بن تاشفين واستعطافه بأنَّ عدوه الأذفنش بن شانجة ملك النصارى يقوم بتهديم المساجد وأنَّ

¹ ابن الصيرفي، الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية، ترجمة علي دبور، ط١، مصر، دار الثابغة للنشر والتوزيع، 2018، ص 139-140.-ينظر أيضاً: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 245، ينظر، الناصري، المرجع السابق، ج 2، ص 25.

انتصاره يعني تسليم المنابر والصومع والمحارب التي يريد استبدالها بالصلب¹، يفهم منه استحضار رمزية المسجد كرمز للدين والوحدة وكأنَّ ابن عباد أراد إيصال فكرة أنَّ تهديم المساجد هو تهديد للإسلام والمساس به مساساً بالمقدس فما كان من يوسف بن تاشفين إلَّا أنَّ استجاب لنصرته وحمايته.

- وواصل أمير المسلمين علي بن يوسف الاهتمام بالمساجد كاهتمامه بترميم مسجد تلمسان²، هذا ولاتزال المساجد التي بناها المرابطون في المغرب الأوسط ماثلة إلى اليوم وهي مسجد ندومة ومسجد تلمسان ومسجد الكبير بالجزائر العاصمة وقد بني المرابطون عديد المساجد في مدن مراكش وفاس.

- مسجد القرويين بفاس : رغم أنَّ المسجد تأسَّس قبل فترة المرابطين، إلَّا أنَّهم لعبوا دوراً مهماً في تطويره خاصَّة في فترتي حكم يوسف ابن تاشفين وابنه علي بن يوسف حيث شهد توسيعات كبيرة بسبب ضيق المسجد بالنَّاس فأضاف المرابطون أقساماً جديدة إلى المسجد بما في ذلك زيادة حجم المصلى وتوسيع فنائِه الداخلي الذي احتوى على زخارف فنية كما تم تزيين محرابه وقبته بأنواع مختلفة من الزخارف.

وردت في كتب النَّوَازِل إشارات تقيد بإسهام النساء المرابطيات في بناء المساجد وتوسيعها حيث جاء في نازلة لابن رشد أنَّ سيدة من نساء المرابطين أخرجت من مالها للزيادة في توسيعة مسجد مرسية فأجاب رحمة الله بجواز ذلك شرط أن يكون المال طيباً حلالاً وإن لم يكن كذلك ففيه اختلاف بين أهل العلم³، وفي هذا دليل على عناية النساء بالإنفاق على المنشآت الدينية والحرص على الإسهام فيها لما في ذلك من الأجر والمثوبة.

ولم يختلف الموحدون في هذا الأمر فقد ألوُّن عنایتهم ببناء المساجد والعمل على إبراز جمالية البنية العمرانية الخاصة بها داخلياً وخارجياً، فأشتملت المساجد بحسن تخطيطها وقوَّة

¹ مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 47.

² الحسن علي حسن، المرجع السابق، ص 383-384.

³ ابن رشد الجد، ج 2، المصدر السابق، ص 948.

ومنانة بُنيانها، وفيما يلي نماذج لبعض هذه المساجد التي قاموا ببنائها أو بترميمها وإضافة بعض التعديلات والزيادات عليها.

بداية بناء المساجد كانت مبكرة في العهد الموحدي حيث إنّ محمد بن تومرت صاحب دعوة الموحدين عند إقامته بمدينة ملالة بنى بها مسجداً عُرف باسمه¹، استغلّه في نشر دعوته وتسويقه لحكام المرابطين محاولاً جنباً العامّة وكسبهم.

مسجد تازا: وهو أول أعمال الخليفة عبد المؤمن بن علي حيث تمّ بناؤه سنة (529هـ/1134م)

مسجد الكتبية بمراكنش: يعدّ من أبرز المساجد التي بنيت في عهد عبد المؤمن بن علي سنة (553هـ/1158م) وكان بديع الصنعة والتجهيز، وهو رمز للعمارة الموحدية.

جامع القصبة بمراكنش: وشيد هذا المسجد في عهد الخليفة المنصور سنة (585هـ/190م)

تشكلت المساجد في الفترتين المرابطية والمحمدية من عناصر رئيسية تتمثل في بيت الصلاة وهو الجزء المغطى والصحن وهو الجزء غير المسقوف إضافة إلى المحراب والمنبر فهذه هي العناصر الأساسية المكونة لعمارة المساجد.

ومن نقاط التشابه بين النظام المرابطي والمحمدية في بناء المساجد هو إسناد عملية البناء إلى القضاة حيث نجد أنّ يوسف بن تاشفين أمر القاضي محمد بن عيسى ببناء جامع سبتة سنة (491هـ/1097م)، كما أنّ علي بن يوسف أوكل عملية توسيعة جامع القرويين إلى القاضي أبي عبد الله محمد بن دواد²، أمّا عن الموحدين فقد تمّ تكليف القضاة في عديد المرات حيث أمر يوسف بن عبد المؤمن القاضي أبا القاسم أحمد بن محمد الكوفي أن يختطّ له مبني مدينة إشبيلية والتي من دون شكّ أنّ من بينها المساجد³.

- التفاصيل العمرانية المشتركة للمساجد المرابطية و المحمدية:

¹-المراكشي، المصدر السابق، ص 137.

²-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 59.

³-ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 465-466.

فيما يخص تصاميم المساجد فإنَّ الموحدين لم يحدثوا تغييرات كبيرة بالنسبة لما كانت عليه في عهد المرابطين، كما تميَّزت مساجدهم باتساع البلاط الأوسط والبلاطين المتطرفين على سائر البلاطات، وقد كانت للتأثيرات الوافدة من الشرق والغرب الأندلسي مع وجود اللمسة المحلية دور في تطوير الطراز المعماري للمساجد في كلي الدولتين¹.

كان من الطبيعي أن يتَّجه الحكام وأصحاب الرأي والشُّورى إلى الزيادة والسماح بتوسيعة المساجد الجامعية إذا ضاق المسجد بالمصلَّين، وهو ما حدث في الفترة المرابطية والموحدية حيث تمت توسيعة مسجد القرويين في العهد المرابطي ومسجد الكتبية في العهد الموهدي وذلك أحد العناصر المهمة التي تشير إلى ظاهرة التمَّوِّع العماني والديمغرافي في المدن الإسلامية².

كما تميَّزت كلَّ من المساجد المرابطية والموحدية بالبناء البسيط الواضح الغالب عليه الشَّكل المستطيل وهذا في بداية أمر الدولتين ثمَّ تطور الشَّكل الهندسي المعماري بوجود صحن واسع ومفتوح في وسط المسجد، مما سمح بوجود مساحات واسعة للصلوة بهدف احتواء أكبر عدد من المصلَّين، كما أنَّ اتساع الصحن يعطي هيبة والرونق الجمالي للمسجد.

والجدير بالذكر أنَّ المادة المستخدمة في عملية البناء الخاصة بتشييد الأعمدة كانت عبارة عن الحجر والرَّخام التي ترتكز عليها العقود المؤدية إلى المحاريب، وهو ما يتجلَّ في المساجد المرابطية المتواجدة في المغرب الأوسط، كما هو الحال مع أغلب المساجد الموحدية³.

كما استخدم الخليفة الموهدي المنصور (595-595هـ/1184-1199م) الرَّخام الأبيض في نافورات المياه التي شرق المسجد، واعتمد الخليفة يعقوب المنصور عليه في بناء جامع حسان في الأعمدة حيث كان به مائتي سارية من عمد الرَّخام محيط العمود به أربعة عشر شبراً وطوله يزيد عن عشرين شبراً ومنارة المسجد مبنية بالصخور انتهت من بنائه عام 593هـ/1196م كما أنَّ الخليفة أوصى عند مماته أن يوضع في قبره شاهدان من الرَّخام ، الذي اشتهرت به عديد المدن

¹ ليوبولد نوريس بالباس، المرجع السابق، ص 48-24.

² Bassett.h.et terrasse.h ,sanctuaires et forteresses al mohadeshesperis,tom 12 , librairie,paris,1927 ,p 308.

³ ليوليدو نوريس بالباس، المرجع السابق، ص 19

المغاربية منها مدينة تونس الذي عرفت ببرخامها ومرمرها خاصة في العصر الموحدى والذي كان يصدر إلى جميع الجهات¹.

كذلك عرفت المساجد المرابطية والموحدية باستخدام الأقواس المحدودبة بشكل واسع في المداخل والنوافذ مما يضفي تناسقا جماليا عمرانيا للمسجد، أمّا عن الزخارف فقد مررت بمجموعة مراحل عند كلّي الدّولتين، حيث إنّ المرابطين ومن بعدهم الموحدين لم يسمحوا بالزخرفة في بدايات دولتهما، ومرد ذلك يعود إلى أسباب دينية منها، عدم إشغال المسلمين بالزخارف المزروقة تجنباً للإسراف والمبالغة، إلّا أنّ هذا الحظر لم يستمر، خاصةً بعدما تصادمت كلا الدّولتين بالحضارة الأندلسية المرموقة، والتي كان لها الأثر الواضح في تغيير نظرة الدّولتين البدويتين مما دفعهما إلى الانفتاح على الجانب الجمالي الزخارفي للمؤسسات الدينية، لتسخدم كلّ من الآرابيسك والزليج بشكل واسع في فنّ الزخرفة، وعلى سبيل المثال زخرفة محاريب المساجد التي كانت بارزة مع استخدام الأنماط الهندسية المختلفة، وخير مثال على ذلك ما قام به المرابطون بزخرفهم للمسجد الجامع بالجزائر، الذي عرف بمنبره الخشبي المزروق بزخرفة نباتية أندلسية الطابع تشبه الزخارف الجصيّة في قصر العجفرية بسرقسطة، وقصبة مالقة، وقد كثُر استعمال الزخارف الجصيّة ذات الأصل الأندلسي مع بداية القرن 6هـ / 12 م في عهد علي بن يوسف.

أمّا عن مسجد القرويين فقد رُيِّنَتْ بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وبعض النصوص التأسيسية منها ما نقش على الأقواس بداخل قبة المحراب منها قوله تعالى: "وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُذْكَرَ صِدْقِ²"، كما تضمنَتْ واجهة المحراب النّص التأسيسي له: "مَا أَمْرَ بِعَمَلِهِ عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنُ تَاشْفِينِ أَدَمَ اللَّهُ لَهُ أَسْبَابُ التَّأْيِيدِ وَالْتَّمْكِينِ الْفَقِيهُ الْمَشَائِرُ الْأَجْلُ الْإِمَامُ الْقَاضِيُّ الْأَفْضَلُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَعِيشَةِ الْكَنَانِيِّ أَدَمَ اللَّهُ تَوْفِيقَهُ فَعَمِلَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَثَوَابَهُ الْجَسِيمِ وَعِنْدَهُ تَعَالَى وَجْهُ حَسْنِ التَّوَابِ وَكَرِيمِ الْمَثَابِ فَرَحِمَ اللَّهُ مِنْ قَرَأَهُ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ اللَّهِ سَبَّحَنَهُ فِي عَاجِلِ الْقَبُولِ وَإِعْظَامِ الْأَجْرِ وَالْمَجَازَةِ لَهُ يَوْمُ النَّشْرِ وَالْحَشْرِ وَكَانَ إِتَّمَادُ ذَلِكَ كَلَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنَهُ فِي سَنَةِ إِحدَى

¹ هناء محمد عبد الحميد الفقي، المرجع السابق، ص 165.

² سورة الإسراء، الآية 80.

وثلاثين وخمس مائة¹، وقد شَكَّلت هذه الآيات والتصوُّص التأسيسي لوحات فتية رائعة زادها الخط الكوفي المرصع باللون الأبيض جمالاً.

أمّا في فترة الموحدين فنجد منبر جامع الكتبة بمراكش ومنارة حسان برباط الفتح حيث كانا نموذجين للفنون الزخرفية المُبهرة ولاتزال هذه الزخارف تعكس روعة ما وصلت إليه أسرار العمارة والفن الموحدي من روعة وإنقان وعِبْرية².

لقد استخدم كل من المرابطين والموحدين مواد البناء الأولى المتوفّرة والمتمثلة في الطين الذي تم استعماله في تقنية الطابية، كما تم الاستعانة بالحجر والأجر غالباً كمادة أساسية، أمّا عن الأسقف فقد كانت تشيّد باستخدام الأخشاب المتوفّرة في منطقة بلاد المغرب الإسلامي كجذوع النخيل وأشجار الصنوبر والزان وهذا ما يعبّر عن مدى انعكاس التأثير البيئي المحلي والوافد.

2- المدارس:

أ- أوجه التشابه:

انتفقت كل من المدارس المرابطية والموحدية على أداء الدور التعليمي في منطقة المغرب الإسلامي، على أساس أن دعوة الدولتين كليهما قائمة على نبذ الجهل والتخلف والاهتمام بالعلوم والمعارف، خاصة تلك العلوم الشرعية الدينية مع وجود اختلاف في الطرائق التعليمية والحقول العلمية نظراً للاختلاف المذهبي للدولتين.

أما تصميم المدارس المغربية فتميز بوضوح عناصره المعمارية والتي كانت غالباً تتكون من صحن مكشوف وإيوان وقاعة للتدريس وغرف لإقامة الطلاب والمدرسين وكانت تتكون من طابقين يتوسطها صحن مكشوف³.

3- الربط:

¹ عبد الهادي التازى، ج 1، المرجع السابق، ص 71.

² عثمان عثمان إسماعيل، ج 3، المرجع السابق، ص 190.

³ محمد حسن زكي، فنون الإسلام، ط 1، مصر، مكتبة النهضة المصرية، 1948، ص 23-24.

أوجه التشابه:

تشابهت ربط المرابطين مع الموحدين على اعتبار أنّ هذا النوع من المؤسسات يعتبر إرثاً تاريخياً موروثاً من الدول الإسلامية السالفة، والتي استعانت بهذه الرباطات بغرض القيام بالأدوار العسكرية، والتي كانت في أساس عبارة عن مساحة مستطيلة مقسمة إلى صحن أوسط بجانبه مسجد يحيط به مجموعة من الحجرات الخاصة بسكن المرابطين فيه، كما احتوى على ملحق ومرافق عديدة أبرزها مكان للخيول وصهريج لتخزين المياه، غالباً ما يكون الرباط مسورة بالحجارة وبه أبراج في الزوايا يستعمل للمراقبة وله مدخل واحد عند محور الجدار الجنوبي، أمّا عن الأدوار التي أدتها الرابط الماربطة والموحدية فقد غالب عليها الدور الديني والتعليمي، على اعتبار أنها كانت معلقاً للتعبد ومجاهدة النفس وتعلم العلوم الدينية خاصةً مع فقدانها للأدوار الجهادية العسكرية، وذلك بسبب توسيع البلاد الإسلامية في الناحية الشمالية الغربية - الأندلس - مما جعل رباطات المغرب الإسلامي بعيدة كلّ البعد عن التغور المحاذية للأعداء، وما يستثنى من ذلك بعض رُبُط الدولة المرابطية في بداية أمرها كرباط عبد الله ابن ياسين في منطقة نهر السنغال والذي كان نواة ومنطلقاً للدعوة المرابطية، كما شكل بتنظيمه وتشكيله منارة للربط الذي بنيت بعده¹، أمّا عن الدولة الموحدية فإنّ الرباط الوحيد الذي اتخذ صيغة عسكرية هي المنطقة الشمالية المشرفة على البحر ناحية المغرب الأقصى والمعروفة حالياً بالرباط، والتي اتخذها الموحدون منطلقاً لجيوشهم وأساطيلهم الحربية المتوجّهة صوب البلاد الأندلسية ومنطقة المغاربة الأدنى والأوسط.

ب-أوجه الاختلاف:**1- المساجد:**

حكم الموحدون كامل منطقة بلاد المغرب الإسلامي، إذ كانت رقعة حكمهم واسعة جداً مما جعل من الصعب عليهم توجيه الموارد وتشييد العمارت في جميع المناطق التي سيطرت عليها الدولة بشكل متساوٍ إذ لم ينل المغاربة الأدنى والأوسط حظاً كبيراً من اهتمام هؤلاء الحكام بسبب أنّ

¹ كمال عنان إسماعيل، المرجع السابق، ص 345-346.

قاعدة حكمهم كانت في المغرب الأقصى وتحديدا مراكش وبالتالي ركزاً جهديهما وموارديهما على المغرب الأقصى.

كما أن الظروف السياسية في المغربين الأدنى والأوسط جعلت التركيز على البناء أقل أولوية مقارنة بالتحديات العسكرية، وهذا بسبب كثرة الاضطرابات الأمنية، وهذه الظروف كانت سببا في عدم بقاء المنشآت الموحدية ذات القيمة المعمارية في بلاد المغرب الأدنى والأوسط مقارنة بال المغرب الأقصى والأندلس فعلى الرغم من اندثار بعض مساجد الموحدين في المغرب الأقصى، مثل جامع الكتبية الأول بمراكش، وجامع حسان برباط الفتح فقد بقيت عديد المساجد يمكن من خلالها التعرف على خصائصها وملامحها المعمارية من بين هذه المساجد جامع تازة، جامع الكتبية الثانية بمراكش، وجامع المنصور بقصبة مراكش وجامع حسان برباط الفتح، وصومعة جامع إشبيلية الكبيرة الجيرالدة ومئذنة بالقرب من إشبيلية.

في المقابل توقفت سيطرة الدولة المرابطية عند منطقة جزائر بني مزغنة ولم تشمل كل أجزاء بلاد المغرب الإسلامي، وبالتالي لم تصل إلى نفس الامتداد الجغرافي الكبير الذي وصلت إليه الدولة الموحدية، ومع ذلك بقيت العديد من المساجد في المغربين الأوسط والأقصى من عصرهما، مثل جامع تلمسان والجزائر ومسجد القرويين في المغرب الأقصى أما في الأندلس فلم يبق أي أثر للمساجد المرابطية¹.

والجدير بالذكر أن المساجد المرابطية كانت خالية من الأضرحة، وهذا ما يعكس الشخصية العقائدية لدولة الملثمين بدليل أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي لما استولى على مدينة مراكش بحث عن قبر الأمير يوسف بن تاشفين فلم يجده²، وهذا ما ينمّ على المنهج السني الأثري في دفن موتى المسلمين مهما كانت رتبهم السلطوية.

¹ ليوبولد توريس بالباس، المرجع السابق، ص 16

² وأشار صاحب الحل الموسية إلى تاريخ ومكان دفن يوسف بن تاشفين حيث إن وفاته كانت في شهر محرم سنة خسمائة ودفن بقبره بحضرمة مراكش وحضر وفاته أبناء الأمير أبو الطاهر تميم وأبو الحسن علي وعدد من أفراد قبيلته المتنوية، ينظر: مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 83.

أمّا عن الأضرحة الموحدية فقد كان تصميماً فاخراً يضمّ مختلف الأشكال الزخرفية والتي كانت في الغالب عبارة عن آيات قرآنية، كما عكست فخامة الأضرحة الموحدية المكانة والأهمية الدينية والسياسية للشخص المدفون فيه، وتميّزت بالتصميم الفاخر.

أمّا على الصعيد الفقهي فقد اتّفق علماء المالكية على عدم تعدد مساجد جوامع الخطبة إلّا للضرورة القصوى، متبعين في ذلك ما ورد عن الإمام مالك وتلامذته من أمثال أبي القاسم والقاضي سحنون، غير أنّ الموحدين لم يتقيدوا بالشروط نفسها التي وضعها المرابطون كونهم أهملوا علم الفروع وركزوا على استحضار القرآن الكريم والسنّة المطهّرة على طريقة المذهب الظاهري الذي كان يغلب على دولتهم¹، فزود الموحدون معظم مدنهم بجوامع جديدة للخطبة، مع وجوب التّنويه لمحاربة الموحدين المذهب المالكي ففي عهد أبي عبد الله محمد ابن أبي يوسف أمير المؤمنين انقطع علم الفروع وأحرقت أمّهات كتب المالكية بعد تجريدها من الآيات والأحاديث النبوية كمدونة الإمام سحنون وكتاب ابن يونس ونواذر أبي زيد القironاني ومختصره وكتاب التهذيب للبراذعي وواضحة بن حبيب وغيرها من الكتب المالكية حيث كانت تحرق بالأحمال²، كما شيد الموحدون عدّة جوامع للخطبة بمرّاكش رغم اشتغالها على مسجد جامع من العصر المرابطي، فُشِيدَ جامع الكتبين سنة (558هـ/1162م) والذي لا يزال قائماً إلى اليوم وجامع المنصور بالقصبة (591هـ/1196م) كما بني مسجد تينمل في جبال الأطلس وأقيم مسجد في سلا سنة (572هـ/1176م)³.

والجدير بالذكر أنّ الصراع الإيديولوجي بين الدولتين تمثّل في عملية التّحرير الممنهج التي طالت المنشآت الدينية المرابطية من طرف دولة الموحدين وخاصة المساجد، فبعد استشارة الفقهاء في رأيهم اتجاه مساجد المرابطين أفتوا بهدمها لأنّها بزعمهم منحرفة عن القبلة والتشريق والتّحريف لا يكون إلّا لليهود وأمروا ببناء جوامع أخرى مكانها⁴، وخير مثال على ذلك مسجد

¹ الحجوبي محمد الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج 2، دار الكتب العلمية، 1990م، بيروت، ص 199.

² عبد الواحد المرّاكشي، المصدر السابق، ص 203-202.

³ ليوبولدو توريس بالباس، المرجع السابق، ص 17-16.

⁴ البيدق، أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطّباعة والوراقه، الرباط، 1971، ص 66.

مراكش¹، إذ ذكرت المصادر التاريخية أنه تم تعطيله وغلق أبوابه وهدم صومعته² وتم بناء مسجد آخر لما وصل الملك للمصادمة³، واستثنى من ذلك جامع علي بن يوسف ولم يهدموه كله ماعدا بعض الأجزاء⁴ والتي قد تكون بها بقايا ورسومات أثرية تدل على بناء المرابطين للمسجد.

امتازت المساجد الموحدية بمساحتها الكبيرة مقارنة بالمساجد المرابطية يعود ذلك إلى أن الموحدين حرصوا على إظهار القوّة الشرعية والدينية ولعل أيضاً أن المدن الموحدية كانت أكثر عدداً وكثافة سكانية.

لم يكن يسمح آنذاك بتشييد أكثر من جامع واحد للخطبة في المدينة الواحدة، لذا كان المسجد الجامع يتسع لعموم المصلّين بالمدينة، خاصة يوم الجمعة كما كان يلجأ إلى توسيعة وزيادة المسجد الجامع، كما هو الحال في الكثير من المساجد المرابطية والمحمدية فقد سمح الفقهاء منذ القرن (7هـ - 13م) بتعدي المساجد في المدينة الواحدة مراعاة للمصلحة العامة، بعد أن أصبح جمهور المصلّين في تزايد مستمر بسبب ازدياد الكثافة السكانية مما جعل المسجد الواحد غير كاف، والجدول التالي يوضح مساحة بعض المساجد المرابطية والمحمدية.

الجدول رقم (02): مساحة بعض المساجد المرابطية والمحمدية

¹ أما عن مسجد مراكش نجد تضارب في الآراء حول مشيده ومصيره إذ يرى كل من الإدريسي والحميري أنه ينسب إلى يوسف بن تاشفين وذكراً أن الموحدين تركوه مغلقاً ولم يصلوا فيه، بينما ذهب البيدق وصاحب الحل الموسوية أنه يعود إلى علي بن يوسف وأنهم هدموا بعض أجزائه ويتحقق معهم ليون الإفريقي في أن منشئ الجامع هو علي بن يوسف في حين يشير أن عبد المؤمن هدمه وأعاد بناءه من جديد لسبب واحد وهو طمس اسم علي واستبداله باسمه لكن شاء الله أن يجري على ألسنة الناس تسمية جامع علي بن يوسف المرابطي وتم تجديد المسجد في عهد الخليفة المرتضى المحمداني آخر ملوك الموحدين، وسمّي بجامع السقاية، ينظر: الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 234.- البيدق، المصدر السابق ، ص 66.- مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 97.- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 540، حسن الوزان، المصدر السابق، ص 127.

² شيدت هذه الصومعة من الحجر المنجد تحدّها أربعة أضلاع عرض كلّ ضلع منها 10م، وبها درجان داخليان متماثلان وهي مثيلة لصومعة قرطبة التي أمر ببنائها عبد الرحمن الناصر سنة 340هـ/951م، ينظر، ليوليود تورييس بالباس، المرجع السابق، ص 24.

³ الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 234، وينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 540

⁴ البيدق، المصدر السابق، ص 66.

المساحة م ²	المسجد	العصر
5846	القرويون بفاس	المرابطي
3000م	مسجد تلمسان	/
2000م	مسجد الجزائر	/
572م	مسجد ندرومة	/
2373	تینمل	الموحدي
6864	الكتيبة الأولى بمراكش	/
7592	الكتيبة الثانية بمراكش	/
6205	المنصور بقصبة مراكش	/
25200	حسان برباط	/

عن: محمد السيد محمد أبو رحاب، المرجع السابق ص 140.

تُعد مساجد الموحدين من أكبر مساجد المغرب الإسلامي وهي أكثر مساحة من مساجد المرابطين بفارق كبير، إذ تميز الجامع الموحدi بأنه مبني يضم مجموعة معمارية من المرافق والملاحق كالالميضة والكتايب والمقصورة مثل ذلك ماقام به عبد المؤمن بمسجد دار الحجر بمراكش فبعد اكتمال عملية البناء أمر عبد المؤمن البتائين بصنع صباط يدخل من القصر إليها ومنها إلى الجامع لا يراه خلالها أحد¹، كما اشتهر الموحدون ببناء المآذن ذات الأشكال المختلفة كالمئارات الأسطوانية، والتي تميزت بطولها الذال على القوّة والعظمة ولعل أبلغ مثال على ذلك مئذنة جامع الكتبين ومئذنة جامع حسان برباط الفتح من بين أروع الأمثلة على جلال وعظمة العمارة التي رعاها الموحدون، وهاتان المئذنتان باقيتان من تلك الحقبة العظيمة، حيث تعتبر مئذنة جامع

¹ ابن الخطيب، الحل الموسية في ذكر الأخبار المراكشية، ط، تونس، مطبعة التقدّم الإسلامية، 1911، ص 109-108

الكتبيين في مراكش واحدة من أقْمِ الصَّوَامِع، إِذ بَدأَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بِبَنَائِهَا مَابَيْنِ سَنَتَي 592-593هـ/1197-1198م¹.

عَلَى العَكْسِ مِنْ ذَلِكَ نَجَدَ أَنَّ الْمَرَابِطِينَ تَخْلُوا عَنِ الْمَئْذَنَةِ وَذَلِكَ لِتَقْيِيدِهِمْ بِحَيَاةِ السَّلْفِ، إِذْ لَمْ تَكُنِ الْمَئْذَنَةُ فِي الزَّمْنِ النَّبِيِّ أَوِ الْأَزْمَنَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُ، وَبِذَلِكَ لَمْ يَرِيَ الْمَرَابِطُونَ سَنِداً شَرِيعِياً يَدْعُونَ إِلَى تَشْيِيدِهَا، خَاصَّةً وَأَنَّ أَقْوَالَ الْمَالِكِيَّةِ جَاءَتْ مُتَضَارِيَّةً فِي مَسَأَلَةِ بَنَاءِ الْمَئْذَنَةِ، وَإِنْ كَانَ يَرِيَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ أَنَّ سَبَبَ عَزْوَفِ الْمَرَابِطِينَ عَنِ تَشْيِيدِ الْمَآذِنِ يَعُودُ بِشَكْلٍ أَسَاسِيٍّ لِانْصِرافِ أَمْرَاءِ الْمَرَابِطِينَ بِهِمُومِ وَأَعْبَاءِ الدُّولَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَعَلَى رَأْسِهَا مَجَاهِدُ النَّصَارَى وَتَقْوِيَّةُ دِعَائِمِ الدُّولَةِ.²

كَمَا تَجَدُرُ الإِشَارَةُ أَنَّ التَّجَدِيدَ الرَّئِيْسِيَّ الَّذِي أَدْخَلَ عَلَى الْمَسَاجِدِ خَلَالَ فَتْرَةِ حُكْمِ الْمَوْهِدِينَ فِي تَغْيِيرِ الْأَعْمَدَةِ الْحَجَرِيَّةِ أَوِ الرَّخَامِيَّةِ الَّتِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا السَّقْفُ بِدِعَائِمِ مِنَ الْأَجْرِ، مَرْبَعَةٌ أَوْ مَسْتَطِيلَةٌ عَلَى شَكْلِ حِرْفٍ "ت" أَمَّا أَضْفَى ثَبَاتًا أَكْثَرَ عَلَى الْبَلَاطَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ مَمَّا وَفَرَّتْهُ أَعْمَدَةُ الْحَجَرِ أَوِ الرَّخَامِ، وَتَمَّ الْاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْأَوْتَارِ الْخَشْبِيَّةِ الَّتِي تَدْعُمُ الْأَعْمَدَةَ، عَلَى أَنَّ هَذَا التَّجَدِيدَ قَلْصٌ مِنَ الْمَسَاحَةِ الَّتِي يَشْغُلُهَا الْمَصْلُونُ، وَتَعْذَرُ رُؤْيَا الْإِمَامِ الَّذِي يَؤْمِنُ النَّاسُ.³

وَقَدْ تَخَلَّ الْمَوْهِدُونَ كَلِّيًّا فِي مَسَاجِدِهِمْ بِمَرَاكِشِ عَنِ الْوَرْقَةِ الْمَرَابِطِيَّةِ ذَاتِ الْأَصَابِعِ الْصَّغِيرَةِ، فَحَذَفُوا التَّفَاصِيلِ وَاَكْتَفَوْا بِالْحَدُودِ الْخَارِجِيَّةِ، وَمَدُّوا بِدَاخِلِهَا عَرُوقَ طَوِيلَةَ ذَاتِ خطوطٍ مَحْفُورَةٍ، وَأَدْخَلُوا نَوْعًا مِنَ الْجَرَائدِ بِاطْنَهَا مَعْطَلًّا مِنَ الرَّيْنَةِ، كُلَّ جَرِيدةٍ فِي شَكْلِ وَرْقَةٍ وَبَعْضُ هَذِهِ الْجَرَائدِ لَا يَزَالُ حَتَّى الْيَوْمِ فِي الرِّخَارِفِ الْجَصَّيَّةِ بِجَامِعِ تَلْمِسَانِ وَالرِّخَارِفِ الْخَشْبِيَّةِ بِجَامِعِ الْكَتَبِيِّينِ بِمَرَاكِشِ.⁴

كَمَا يَلَاحِظُ أَنَّ الْمَسَاجِدِ الْمَوْهِدِيَّةِ كَانَتْ أَكْثَرُ عَمْقًا مِنْهَا اَتْسَاعًا، حِيثُ إِنَّ الْمُحَرَّابَ لَمْ يَعُدْ يَتوسَّطُ الْضَّلَعَيْنِ الطَّوِيلَيْنِ لِلْمَسَاجِدِ، وَقَدْ بَدَأَتْ إِرْهَاصَاتُ هَذَا التَّغْيِيرِ فِي جَامِعِ تَازَةِ الْمَوْهِدِيِّ، وَجَامِعِ حَسَانِ بِرِبَاطِ الْفَتْحِ وَالَّذِي اشْتَمَلَ تَخْطِيطِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ صَحُونٍ مَكْشُوفَةٍ، وَبِخَلْافِ هَذِينِ الْمَسَجِدَيْنِ

¹ ليوبولدو تورييس بالباس، المرجع السابق، ص 24.

² مبارك بوطارن، العمائر الدينية، المرجع السابق، ص 40.

³ ليولييو تورييس بالباس، المرجع السابق، ص 17.

⁴ المرجع نفسه، ص 49.

فإن المساجد الموحدية الأخرى كجامع تينمل والكتيبة الأولى المنذر والكتيبة الثاني بمراكش وجامع الاندلس بفاس وجامع القرويين أيضاً بفاس، جميعها مستطيلة الشكل أكثر اتساعاً منها عمقاً، أي أن المحراب يتوسط أحد الضلعين الطويلين للمسجد، كما تميز رواق القبلة بكثرة عدد بلاطاته والذي وزع في مساحات مستطيلة، في حين كان الصحن في مساحة مستطيلة صغيرة إذا ما قورنت بالمساحة التي يشغلها رواق القبلة، وذلك لعدم الأروقة الجانبية المحيطة بصحن المسجد، زيادة للمساحة المسقوفة بالجامع ووضع المصلى في راحة تامة، وحمايته من شمس الصيف ومطر الشتاء وبرده فهذه المساجد كلّ منها كان يقام بها خطبة الجمعة كونها الوحيدة بالمدينة¹، والعنصر الأساسي اللازم بكلّ مسجد هو قاعة الصلاة وكوّة المحراب².

أما النظام الذي اتبّعه المرابطون لتعطية السقف وزيادة المساحة المغطاة في المسجد كانت الصخون تغطي بسحابة من القماش لحماية المصليين شتاءً وصيفاً، وهي ظاهرة معروفة في المساجد الجامعة في المغرب الإسلامي خلال الفترة المدرستة، رصدتها الجنائي (من أهل القرن 8هـ/14م) في جامع القرويين خلال الفترة المرابطية بقوله "جعل له مظال من شقق الكتان تنتشر عليه كلّ يوم جمعة زمن القبيط، تحجب بها الشمس عن المصليين العاجزين عن الرُّواح البعداء المنازل الذين لا يجدون محيساً عنه لتضائق الجامع"³، كما يضيف أنها تحظى وتزداد وقت الحاجة عن طريق تقنية البكرات عبر سحبها بالحبال، كما جعل لها مواضع يدخل منها الهواء للتنفس، وبقيت أعواomas حتى بليت ولم يعد ينظر إليها⁴.

هذه الرواية توضح أحد الحلول التي استعملت بالإضافة إلى عملية توسيع المساجد، لزيادة حجم المساحة المسقوفة حماية للمصليين في هذه الفترة من الفترات الإسلامية وهذا ينبع على الاهتمام والرمزية التي كانت تحظى بها المؤسسات الدينية.

2-المدارس:

¹ محمد السيد محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 142

² وليم وجورج مارسي، المرجع السابق، ص 67.

³ الجنائي، المصدر السابق، ص 67.

⁴ محمد السيد محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 143.

ظهرت المدارس في منطقة المغرب الإسلامي على العهد المرابطي غير أن المصادر لم تذكر عنها الكثير ماعدا مدرسة الصابرين التي بُنيت في عهد يوسف بن تاشفين كما لم تذكر المصادر مكان وتاريخ بنائها بالضبط¹ ويبدو أنها لم تكن منتشرة في كامل المناطق، كما تميّزت ببساطة تصمييمها كونها لا تدعو أن تكون عبارة عن قاعة متوسطة الحجم مستطيلة الشكل تتسع لعدد من الطلبة على أن أغلب هذه المدارس تتصل بشكل مباشر بالمساجد والجوامع.

أما في الزَّمن الموحدي فقد اختلف الأمر على اعتبار أنَّ الدولة الموحدية أولت اهتماماً بالغاً لعملية التعليم، وذلك راجع لعدة أسباب منها تلّمذ الأَب الروحي لدولة الموحدين المهدي بن تومرت في المدارس النَّظامية ببغداد، أما عن المؤسس عبد المؤمن بن علي فقد أقرَّ إجبارية التعليم، وقام ببناء مدرسة ملحقة بقصره، ومدرسة الأوادية التي كان نظامها شديداً واهتمت بتخريج ضباط البحرية² مع حبه الشديد لتشييد المنشآت العمرانية التعليمية والاجتماعية كبنائه لبيمارستان العجيب، والذي أثار إعجاب المؤرخين من حيث فخامته الهندسية وموقعه الجغرافي، إذ كان في موضع يصنف ضمن الأحسن في مدينة مراكش، حتّى قال فيه صاحب المعجب (ليس له مثيل في الدنيا)³، ومن هذا يستشف أنَّ العمارة الهندسية التعليمية والاجتماعية كانت مزدهرة ومتقدمة، وما يدعم هذا الرأي هو ظهور المدارس التي شيدت بعد العهد الموحدي والتي عرفت بزخرفتها وهندستها المعقدة والجميلة، وما كان لهذه المدارس أن تكون بهذا الحسن لو لا مرورها بمرحلة التَّضُجِّ العَمَرَانِيِّ الموحدِيِّ⁴.

نصل إلى القول أنَّ العمارة الدينية في العهدين المرابطي والموحددي شهدت تطويراً تاريخياً للهندسة المعمارية الإسلامية، إذ نلاحظ عملية التَّطْوُر المعماري من حقبة إلى أخرى وهذا ما انعكس على واقع البناء الإسلامي في منطقة المغرب والأندلس، حيث نجد أنَّ عمارة المرابطين تميّزت ببساطة الوظيفية، في حين كانت عمارة الموحدين أكثر تطويراً خاصةً فيما يخص الجانب الزَّخرفي والتَّصاميسي، مما أضافَ إليها الطَّابع الجمالي مع وجود تعقيّدات هندسية دقيقة

¹ الحسن علي حسن، المرجع السابق، ص 401.

² المرجع نفسه، ص 401.

³ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 209.

⁴ صلاح أَحمد بْهَنْسِي، المرجع السابق، ص 163-164.

لا تكاد توجد في العمارة الدينية المرابطية، وهو ما يعكس التّفاعل مع الثقافة المحلية وما قدّمه
التّعافية الوافدة خاصّة خلال الفترة الموحّدية ونقصد بها الانفتاح على التأثيرات الأندلسي

خلاصة:

يستنتج من خلال هذا الفصل أهميّة المنشآت الدينية في المغرب الإسلامي عهدي المرابطين
والموحّدين لما لها من أهميّة كبيرة على الحياة الدينية والثقافية وتأثيرها الاجتماعي لذلك لاحظنا
ازدهاراً معمارياً ملحوظاً في فترة المرابطين مثلّته بناء المساجد والتّي عبرت عن القيم الروحية
والثقافية للدولة، أمّا في الفترة الموحّدية فقد بلغت العمارة الدينية أوجَ ذروتها من حيث الإتساع
والتّناسق والتّ زيادات في المرافق كالماذن والرّخارف المتّوّعة.

الفصل الثالث: العمارة المدنية في المغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين

أولاً: العمارة المدنية في عهد المرابطين

ثانياً: العمارة المدنية في عهد الموحدين

**ثالثاً: المرافق العامة في المغرب
الإسلامي في عهدي المرابطين
والموحدين**

رابعاً: دراسة مقارنة

-تمهيد:

إهتم كل من المرابطين والموحدين بحركة البناء والتشييد وحرصوا على استخدام المواد التي تحقق الصلاة وتقاوم مختلف العوامل الطبيعية والمناخية فانعكس ذلك على عمارتهم المدنية بشكل واضح وجلّكما أسلهم ذلك في تجسيد مظاهر الهوية الحضارية والسياسية للدولتين وأكّد على سلطتهم التي شملت مناطق واسعة في بلاد المغرب الإسلامي، فالعمران دليل مادي وشاهد أثري على آثار السّابقين وقد عمرت العمارة المدنية المرابطية والموحدية قرона من الزّمن وهو خير دليل على ما بلغته الدولتين من نبوغ في فنون العمران.

ويُقصد بالعمارة المدنية تشييد المدن والمباني والسكنات والقصور والدور وغيرها من المنشآت التي كانت تمارس فيها الحياة اليومية، حيث حرص الحكام على العمارة المدنية كبناء المدن وبالأخصّ العاصمة وتعميرها مادياً وبشرياً بمختلف المرافق والمرافق التي تتعلق بالأمراء وحاشياتهم وجذب العناصر السكّانية إليها، والتي كانت لها إسهام في تشييد هذه المنشآت مثل المنازل والحمامات والبيمارستان والتي تعرف اليوم بالمستشفيات وغيرها من المرافق لإعطاء صورة للمدن والحضارة.

وكان تشييد هذه المنشآت له أهداف وغايات اجتماعية وسياسية، ذلك أنَّ الحكام لا يبنون عبئاً فالملوك تبني على قدرها من الأقدر¹ فغالباً ما كان القصد وراء التشييد والتعمير هو رغبة السلطان في ترسیخ سلطته وإظهار هيبة دولته وكسب دعم العامة وإظهار الحاكم كراعٍ ومسؤول عن رعيته، سناحول في هذا الفصل إبراز ذلك مع تفصيل لأوجه التشابه والاختلاف بين العمارة المدنية المرابطية والموحدية.

أولاً: العمارة المدنية في عهد المرابطين:

أشرنا في الفصل الأول إلى سبب قصور البربر في بناء المدن والمعايير حسب نظرية ابن خلدون وسننطلق من هذه الفرضية بخصوص قلة المدن عند البربر ونحاول أن نفك لغز هذه الإشكالية وأنّ عكس النّظرية الممارسة تثبت أنَّ المرابطين والموحدين كانوا بُناة مُدن.

¹ - ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، 86.

أ: بناء المدن في المغرب الأقصى:

-مدينة أرتنى:

كان بناء مدينة أرتنى بأمرٍ من عبد الله بن ياسين بعد غزو الملثمين لقبيلة لمتونة وتقوّفهم عليها، حيث أمرهم ببناء مدينة لهم سُمِّيت أرتنى كما حرص أن لا يشف بناء بعضهم على بعض^١، فقد سعى عبد الله بن ياسين على تحقيق المساواة بينهم عن طريق تَبَعَّ عملية البناء، وأمر أن تكون أَسْقُف البيوت متساوية في الْعُلُوِّ وأن لا يكشف بناء بعضهم على بعض وبهذا فقد قام بدور الإشراف على البناء، ولم تكن مهمته سهلة خاصة وأنّ هذه القبائل الصحراوية لم تتعمّق في فهم الإسلام، لكنه استطاع بدهائه إثبات نفسه وساعده في ذلك صلاحه وابتعاده عن ملذات الدنيا وإسهاماته الفعالة في حل مشاكلهم^٢ التي واجهتهم فقد أورد البكري أنه سافر مرة فانقطع عنهم الماء فشكوا ذلك إليه فقال: بأنّ الله سيجعل لهم من أمرهم فرجا وبعد مدة قصيرة أمرهم بحفر بئر فلما فعلوا وجدوا الماء بأدنى حفر فشربوا واستقوا^٣، فزادت مكانة عبد الله بن ياسين في أنفسهم، غير أنّ البعض لم يُرقه الأمر وخاصة أولي الأمر منهم^٤، الذين أصبح يُشكّل خطراً على مصالحهم فقد اشتَدَّ في الوعظ وإقامة حدود الشرع لذلك تم إلصاق بعض النّهم إليه ومضاييقه وهدم داره ونهبها من الأثاث فقرر الخروج من المدينة غير أنّ أجاج بن زلو منعه ووعده بنصرته وأمره بالرجوع إليهم^٥، ليتوجّه بعهدها رفقه أتباعه الذين بلغ عددهم حوالي ألف رجل إلى

^١ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 859.

^٢ الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 11.

^٣ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 863.

^٤ منهم الجوهر ابن سكم ورجلين من أهل الرأي والمشورة أحدهما يُسمى أياز والأخر اينتكوا ينظر: البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 859.

^٥ البكري، ج 2، المصدر نفسه، ص 860. ينظر أيضاً: خير الدين الزركلي، ج 4، المصدر السابق، ص 144.

جزيرة صغيرة ومهجورة يُرجح أنها في منحنى نهر النّيجر بالقرب من تمبكتو¹، وبهذا كانت عمارة مدينة أرتوني أول خطوة لعمارة المدن عند المرابطين.

ـ مدينة أزوكي :

يعود إنشاء هذا الموقع إلى أبي بكر ابن عمر الذي جعله قاعدة ومركزا له بعد عودته من غزواته التي غزتها ضد المصامدة وبلاد السوس في ربيع الثاني سنة (448هـ/1156م) حيث تمكّن من فتح مدينة ماسة ورودانة وجعل في مقدمة جيشه ابن عمّه يوسف بن تاشفين الذي استطاع القضاء على مخالفيهم من الشّيعة البجليين²، وانتقلَّ بعدها إلى أغمات وضيقاً عليها الحصار فوقعت تحت حكمهم سنة (449هـ/1157م)، بعد فرار حاكمها لقطط ابن يوسف المغراوي إلى تادلا فتتبعه يوسف بن تاشفين بأمر من أبي بكر واستطاع فتح مدينة تادلا والقضاء على قبائل بني يفرن وظفر بلقطط المغراوي وقتلها³.

تقع هذه المدينة بالقرب من جبل لمتونة، تحديداً على بعد حوالي ثمانية كيلومتر من مدينة أطار بدولة موريتانيا الحالية، وقد لعبت دوراً كبيراً من الناحية السياسية والاقتصادية في بداية حركة المرابطين نظراً لموقعها الاستراتيجي حتى أطلق عليها قلعة المرابطين، كما استخدموها المرابطون كقاعدة لتحسين توسيعاتهم نحو جنوب الصحراء وتعزيز علاقاتهم التجارية، وهناك بقايا أسوار المدينة اكتشفها الباحث موني (mauny) سنة (1374هـ/1955م)، وتقع تحديداً في

¹ عبد الله عنان، ج 2، المرجع السابق، ص 302.

² البجليين: وهو الشّيعة الرافضة وكان موطنهم مدينة تارودانت قاعدة السوس ويطلق عليهم البجلية نسبة إلى عبد الله البجلي الرافضي الذي تمكّن من نشر المذهب الشيعي في بلاد السوس أيام حكم العبيديين ثم توارثوا هذا المذهب إلى أن تم القضاء عليهم من طرف المرابطين، ينظر: لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحرير، أحمد المختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964، ص 229.

³ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 129.

السهيل وهو مستطيل الشكل مع وجود أبراج موزعة على طول السور على شكل نصف دائرة ويبعد أن لهذا السور مدخلان من الجهة الشرقية يتصل بعض المبني كما توجد به نقاط للمراقبة.¹

-مدينة تببالة:

تقع مدينة تببالة في الصحراء جنوب حاسي تاشنفيت، وكانت تتوسط أهم المدن حيث يحدها شرقاً توات وتمنطيط أما غرباً فتحدها مدينة فجيج وسجلماسة ومن ناحية الجنوب مدينة تغاري وتاوديني، تحديد تاريخ تأسيس المدينة يكتنفه الغموض لعدة أسباب منها غموض تاريخها وعدم تعمق المصادر التاريخية التي تناولت تأسيسها إلا عرضاً، ومن جهة أخرى قلة الدراسات الحديثة التي اهتمت بتاريخ المدينة ويشير الباحث صالح بن قربة أنَّ أقدم التصوص التاريخية حول المدينة تُرجع تشييدها إلى القرن الثالث الهجري وتحديداً في فترة الأمير محمد ابن ميمون ابن تقية الذي حكم دولة بني مدرار²، كما أشار إليها حسن الوزان باختصار عند حديثه عن المدن التي ينمو فيها النخيل، حيث ذكر مدينة تببالت وأنَّ أهلها يملكون واحات كثيرة مما جعلهم في رغد من العيش³، مما لا يدع مجالاً للشك أنَّها مدينة صحراوية غير أنه لم يحدد تاريخ بنائها إطلاقاً.

غير أنَّ بعض الباحثين يرجع تأسيسها إلى الصراع المرابطي مع قبائل زناتة حيث جعلوها قاعدة لهم في فتح بلاد المغرب⁴، كما أنَّ السبب الاقتصادي لعب دوراً مهماً في تأسيس المدينة كونَ قبيلة زناتة كانت تحكر تجارة بلاد المغرب وتحكم في طرق القوافل التجارية المارة إلى

¹ عبدوني حسينة، الحياة العمرانية في عهد الدولة المرابطية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير، إشراف لقبلة موسى، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2003/2002، ص 82.

² صالح بن قربة، "أهمية تببالة في تجارة المغرب وببلاد السودان خلال العصر الوسيط"، مجلة دراسات إنسانية، الجزائر، العدد الأول، 2001، (111-91)، ص 97-100.

³ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 32-54.

⁴ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 170.

الجنوب¹، فعمدَ المرابطون إلى انتزاع إقليم الواحات من زناتة حتى تعود فوائد التجارة الصحراوية إلى الملثمين، وفي فترة وجيزة أصبحت هذه المدينة من أهم الموانئ الصحراوية التي تُنقل إليها التجارة القادمة من بلاد المغرب إلى السودان وكذلك صادرات السودان نحو موانئ البحر الأبيض المتوسط، وقد أضحت في فترة وجiza نقطة ارتكاز بين بلاد السودان والمغرب كما زادت أهميتها بعد الغزو الهلالي للمنطقة الشرقية للمغرب، حيث تدهورت الطرق التجارية للناحية الشرقية فقد دمر العرب الهلاليون أهم المراكز الحضارية وأصبحت الطرق التجارية تعاني من الفوضى واللصوصية، و كنتيجة لذلك تحولت التجارة و الطرق الصحراوية نحو الجهة الغربية مما انعكس إيجاباً على المرابطين الذين سعوا إلى الدفع بالحركة التجارية، فقد تحولت أغمات إلى عاصمة تجارية مع بلاد السودان وقد استفادت مدينة تبلاطة من هذه الحركة التجارية فأصبحت مركزاً عمرانياً له دور في التحّكم في تجارة المغرب نحو السودان، وقد استمر ذلك حتى الفترة الموحدية الذين ضمنوا سير التجارة على هذا المحور².

أسهمت القوافل التجارية في ظهور مدينة تبلاطة وكنتيجة للدور الاقتصادي الذي أدته المدينة لا يُستبعد وجود عمارة المنازل والقصور والفنادق، وذلك نتيجة ازدهار الحركة التجارية التي شهدتها المنطقة إلى جانب العمارة الحربية بحكم قربها من القبائل الصحراوية التي عادها عبد الله ابن ياسين وبالتالي لا يستبعد وجود عمارة الأسوار التي فرضته المعطيات السياسية غير أنَّ قلة المصادر والمراجع التي اهتمت بهذه المدينة يجعل من الصعب تتبع مراحل تطورها العمراني.

- المرابطون واختيار العاصمة مراكش:

اختار المرابطون موقع مراكش³، لتأسيس مدينة تكون عاصمة لدولتهم، وقد تتوّعت أسباب بناء المدينة ولعل من أبرزها رغبة المرابطين في حماية كيانهم حديث التأسيس من المخاوف التي قد

¹ صالح بن قرية، تبلاطة، المرجع السابق، ص 99.

² صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 94.

³ مراكش: كلمة مركبة تتكون من كلمتين هما "مر" وكلمة "كش" وختلف المؤرخون في معناها وأرجعوا البعض إلى لغة قبائل المصامدة وتعني "مر" وانصرف مسرعاً أو "اعبر مسرعاً وانتبه" لأنَّ المنطقة كانت معروفة باللصوصية وقطعَ الطريق على القوافل التجارية المارة كما قيل أنَّ مراكش يقصد بها "أمور آكوش" والتي تتطق

تصدر عن أهل الأطلس الكبير الغربي، فالمنطقة قريبة من قبائل المصامدة وهو ما أكدته ابن خلدون في قوله: " جعل يوسف مدينة مراكش لنزله ولعصره وللتّمرّس بقبائل المصامدة"¹، لذلك تم اختيار المكان بجوارهم لسهولة مراقبة تحركاتهم وفي نفس الوقت قربها من صحراء لمتونة مما يُسهل وصول الإمدادات العسكرية، وهو سبب رئيسي حسب صاحب كتاب المعجب فهي ليست خيرا من فاس في شيء، ولكن سبب اختيارها كعاصمة قربها من جبال المصامدة وصحراء لمتونة، وهذا السبب لأنّها تكون كرسي المملكة حسب وصفه².

وهناك من يُرجع سبب بناء مدينة مراكش إلى ازدحام مدينة أغمات³، بقبائل المرابطين النازلين بها من الأعيان والتجار كونها دار تجهيز للصحراء وما تميّزت به من الاتساع والرخاء⁴، في حين يذكر السلاوي أنّ سبب بناء مدينة مراكش يعود إلى استفحال أمر يوسف بن تاشفين ورسوخ قدمه في الملك وكثرة جنوده وعيشه فـسـمـت هـمـتـه لـبنـاء مـديـنـة تكون حصـنـا له ولـأـهـل دـولـتـه⁵،

بالأمازيغية "أموراكس" وتعني أرض الله، في حين ذهب البعض أنها مشتقة من اسم قديم يدعى آكس، الذي يطلق على الرّبّ عند الأمازيغ وذهب البعض أنها تخفيف لكلمة مراكش من فعل أركس والتي تعني المهالك اشتراق مراكش، بناها يوسف بن تاشفين سنة (459هـ-1067م) وقيل سنة (470هـ-1077م) وجعلها عاصمة للدولة المرابطية ينظر: مجھول، الاستبصار، ج 1، المصدر السابق ص 210.- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 540.- محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 33.

¹ ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 245.

² عبد الواحد المرّاكشي، المصدر السابق، ص 257.

³ أغمات: بفتح الألف وسكون الغين وتعني ألغ بلسان قبائل مصمودة اتخذها الملّمون قاعدة لهم قبل بناء مدينة مراكش وكان في عهد الموحدين بها ستة آلاف كانوا وتقع بميل عن شرقها وهم مدینتان سهليتان إحداهما تسمى بأغمات إيلان تقع في أسفل جبل درن والأخرى تُعرف بـأغمات وريكة وبينهما ثمانية أميال ولهم نهر لطيف تألفه الزّروع والبساتين، وفي عهد يوسف بن تاشفين اتخذت مقراً لإقامة ملوك الطوائف ونفيهم بعد توحيد عدوة الأندلس وأشهرهم المعتمد بن عباد وبها كانت وفاته، لقيت بمراكش الثانية في عهد الموحدين نظراً للتحضر الذي بلغته ينظر: البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 843.- الفتح بن خاقان، قلائد العقيان في محسان الأعيان، تح حسين يوسف خريوش، ط 1، الأردن، مكتبة المنار، 1989م، ص 94-96.- أبو الفدا عماد الدين، تقويم البلدان، دار صادر ، بيروت دت ، ص 135.- الفلقشندی، المصدر السابق، ج 2، ص 166،..- 136.- أبو العباس السماللي، الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام ، ج 1، ط 2، الرباط، المطبعة الملكية، 1993 ، ص 100.- ابن دحية، المطربي في أشعار أهل المغرب ، تح إبراهيم الأبياري و آخرون، دار العلم للجميع، بيروت، دت ، ص 119.

⁴ مجھول، الاستبصار، ج 1، ص 207.

⁵ السلاوي، ج 2، المرجع السابق، ص 24.

بالإضافة إلى وجود المؤشرات الاقتصادية التي اشتهرت بها المنطقة كنطاق رعوي¹، يتناسب مع قبائل الملثمين، غير أنه في الواقع تتكامل جميع هذه الأسباب وتتلخص في حاجة المرابطين لإنشاء مدينة جديدة، يعود ذلك لازدحام مدينة أغمات، وتزايد نفوذ يوسف بن تاشفين، إضافة إلى رغبتهما في مراقبة قبائل المصامدة، بناءً على ذلك نشأة فكرة البحث عن مدينة تكون عاصمة للدولة.

وتختلف المصادر في تحديد السنة التي بدأ فيها المرابطون تأسيس عاصمتهم، حيث يرى البعض أنَّ الأمير أبا بكر بن عمر المُمتوبي هو من بدأ في بنائها عام (1079هـ/461م)²، من جهة أخرى يرى صاحب الحل الموسوية أنَّ ذلك كان في سنة (1080هـ/462م)³، في حين يرى البعض أنَّ يوسف بن تاشفين هو من أمر بخطيط المدينة واتخاذها داراً لملكه ومقر سكنه⁴ في سنة (1087هـ/465م)، وكانت قبل ذلك مكاناً للصوص وحولها جبال على فراسخ منها⁵، بالمقابل نكر ياقوت الحموي أنَّ بناءها كان في سنة (1077هـ/470م)⁶، بينما حدد أغلب المؤرخين سنة (1062هـ/454م)⁷ أي السنة الثانية من توليه يوسف بن تاشفين أمور بلاد المغرب لتكون قاعدة لملكه ومنطقاً لفتحاته وأتم بناءها في حوالي سنة (1066هـ/459م)، وهو التاريخ الذي أورده صاحب كتاب الاستبصار⁸، وقد كان بناؤها في أرض صحراوية داخلية مما ترتب عنه مضاعفات سلبية على الساكنة، أبرزها اختلال التوازن بين السهل والجبل⁹، فجاجيات

¹ محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 26.

² ابن عذاري، ج 1، المصدر السابق، ص 300.

³ مجهول، الحل الموسوية، المصدر السابق، ص 15-16.

⁴ التويري، ج 24، المصدر السابق، ص 262.

⁵ الذهبي، ج 34، المصدر السابق، ص 331.

⁶ ياقوت الحموي، ج 5، المصدر السابق، ص 94.

⁷ ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 245. ينظر أيضاً: السلاوي، ج 2، المرجع السابق، ص 24

⁸ مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 208.

⁹ لعبت الثنائيَّة الجغرافية (السهُل والجَبَل) والقبليَّة (صَنْهَاجَة وَمَصْمُودَة) دوراً في تصعيد الخلاف السياسي المرابطي الموحدي، فقد استولى المرابطون على المجال الخصب لمصمودة وبالتالي كان هناك تصادم بين القبائل الواقفة ضد القبائل المستقرة وهو ما ركز عليه ابن تومرت كون المصامدة كانوا يتحيَّنون الفرصة للقضاء على المرابطين ينظر: حيدري الحسين، دور الثنائيَّة الجغرافية والقبليَّة في تأجيِّج الصراع المرابطي الموحدي، دورية كان التَّارِيخِيَّة، 2020، ص 71-80. - حيدر علي حول، المرجع السابق، ص 153.

سكن الجبل كان قسم منها يؤمّنه سهل الحوز كونه مجالاً حيوياً لسكن الواجهة الشمالية من الأطلس الغربي¹.

من جانب آخر فهذا الإنجاز العمراني كان قراراً سياسياً له غaiات أمنية ووسيلة للتوسيع والتعزيز وهو ما يؤكّد لنا صاحب الاستبصار بقوله: "إِنَّمَا بناهَا وَاضْعُهَا لِيُمْلِكَ مِنْهَا جَبَلَ دَرْنَ وَذَلِكَ لِكُثْرَةِ مَنْ يَعْمَرُهُ"²، فالجوانب الأمنية كانت حاضرة بشكل جليّ جعل الوظيفة الاستراتيجية تغطي على الوظيفة السياسية كعاصمة، واختيار كان مكلاً لأنّه أسهم في تقوية عناصر التشويش الذي حاول المرابطون تجنبه قبل وقوعه³.

وما يُهمّنا هنا أنّ بناء المدينة العاصمة وتعزيزها كان بناءً على عدة مؤشرات أمنية وأخرى اقتصادية، وبشرية فصاحب قرار اختيار موقع التأسيس، أخذ في حسابه القيمة الاقتصادية أيضاً، وهو ما أشارت إليه المصادر التاريخية رغم وجود مشكلة المياه والتي عمل المرابطون على إيجاد حلول لها ذكرها الشريف الإدريسي بقوله: "وَمَأْوَاهَا الَّذِي تَسْقَى بِهِ الْبَسَاتِينَ مُسْتَخْرِجٌ بِصَنْعَةِ هَنْدِسِيَّةِ حَسَنَةٍ"⁴.

ويضيف الإدريسي أنّ صاحب هذه الطريقة البارعة هو المهندس عبيد الله ابن يونس الذي قدم إلى مراكش مع بداية بنائها وليس بها إلا بستان واحد كان لأبي الفضل أمير المسلمين، فحفر بيّراً مربعاً كبيرة التّربع ثمّ احتقر ساقية مُتّصلة بالحفر من أعلى إلى أخفض منطقة حتّى وصل الماء إلى البساتين فاستعمل في مصادر السّقي مع عدم توقيفه وضياعه⁵، وعرفت هذه الآلة باسم الخطارة⁶، وإن لم يذكرها الإدريسي بهذا الاسم فقد أشار إليها صاحب نفح الطيب⁷، وقد

¹ محمد رابطة الدين، المرجع السابق، ج 1، ص 25.

² الاستبصار، المصدر السابق، ج 1، ص 209.

³ محمد رابطة الدين، المرجع السابق، ج 1، ص 37.

⁴ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 1، ط 1، بيروت، عالم الكتب، 1409هـ، ص 233.

⁵ الإدريسي، المصدر نفسه، ج 1، ص 233

⁶ محمد رابطة الدين، المرجع السابق، ج 1، ص 184.

⁷ الخطارة: دولاب خفيف يستعمل للسقي استعلن به أهل المغرب والأندلس في رفع الماء من الأودية وأكثرها في واد الشبيبية، ينظر: المقري التلمساني، ج 3، المصدر السابق، ص 454.

أسهمت هذه التقنية بحل مشكلة المياه وإيصالها من مصدرها إلى قلب المدينة وبذلك كانت سبباً في اتساع عمران المدينة.

يتبيّن إدّاً من خلال ما سبق استفادة المرابطين من العنصر الأجنبي في حركة التّعمير ونقصد به المهندس عبيد الله ابن يونس، وهو من الخبراء الذين استعانت بهم السّلطة المرابطية، وحسب جورج كولان Georges colin وبول بسكون Paul pascon أنّ دخول هذا المهندس إلى مراكش تمّ في زمن حكم علي ابن يوسف، خالفهما الباحث محمد رابطة الدين كون أن النّصّا الإدريسي الذي استخلص منه الباحثان دخول المهندس المذكور لا يدلّ بصراحة عن الإطار الزّماني، كما يتّمس حضور الخبرات الأجنبية عن صنهاجة والتّي لها دراية وخبرة في صناعة البناء في بناء سور مراكش¹، حيث كان من تأشير ومبادرة ابن رشد الجّد وتحديداً سنة (523هـ/1129م) فبناء علي ابن يوسف وأنفق فيه سبعين ألف دينار².

وقد أسنّت عملية تصميم بناء مراكش لمهندسين بارعين وصنّاع ماهرين في وسط إقليم خال فبنيت المساجد والقصور الحصينة وأبنية أخرى وسرعان ما زاد عدد سكّانها إذ بلغ في عهد يوسف بن تاشفين ما يزيد عن مائة ألف كانون³، كما وجّب التّوبيه أنّ المصادر التّاريخية تتّسب إلى كلّ سلطان ما أنجز في عصره دون ذكر مُؤَصل لأهل البناء والصناعة ومهندسي التّعمير⁴، لا من حيث علاقتهم بالسلطان ولا أجورهم ولا طرق معاملاتهم، اللّهم إلّا بعض الشّذرات والتّي لا تكفي لإزالة الغموض عن هذه الفئة التّي كان لها دور كبير في العمارة.

¹-محمد رابطة الدين، المرجع السابق، ص 184-187.

²-ابن عذاري، ج 1، المصدر السابق، ص 310.

³-حسن الوزان، المصدر السابق، ص 127.- ينظر أيضاً: يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدّين، ج 1، تر وتع محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996، ص 71.

⁴-حسب الباحث إبراهيم القادي بوتشيش أنّ سبب ذلك هو عجز مؤرخي العصر الوسيط عن روّيّتهم الواقعية لحركة مسار التاريخ الاجتماعي، والنظر للتّاريخ أنه تراكم للأشخاص والدول دون إدراكي للتفاعلات المتبادلة لذلك تم إهمال دور العوام في عملية بناء مدينة مراكش والتّي كان لهم الدور الظّلائي فيه وأطلق عليهم اسم الخدمة في المقابل نجد حضور إسهامات الأمراء المرابطين حاضرة كإسهام يوسف بن تاشفين في عملية خلط الطّين وتم تسجيلها حسنة من حسناته. ينظر: إبراهيم القادي بوتشيش، المُهتمّون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية تطبيقية في التاريخ المنظور من أسفل، ط 1، القاهرة، 2014، ص 231-232.

-مدينة بنى تاود :

لم يتوقف النشاط العمراني للمرابطين على مدينة مراكش فقط، بل امتد اهتمامهم إلى مدن أخرى شهدت توسيعاً وتجديداً، مثل مدينة بنى تاودا الواقعة على طريق فاس حيث تبعد عنها مرحلتان وقد أكد الإدريسي أنَّ الملَّم بناها وأنَّها مدينة قائمة بذاتها لما عُرف عنها من كثرة الزروع والمحاصيل وكثرة الأسواق جعل منها مدينة غزيرة الخيرات، وقد أسمَّم موقعها القريب من جبل غمارة في جعلها شبه ثغر وسداً مانعاً ضد القبائل المعارضة الساكنة بهذه المنطقة¹، كما وصفها صاحب كتاب الاستبصار بالمدينة الكبيرة وقد سكنها ولادة المرابطين وجنودهم فعرفت تعميراً وتتوّعاً في المباني الحسان من قصور ودور وقد ساعدها في ذلك وجود قبائل حواليها²، مما يزيد من فرضية الهجرة إليها وتعميرها لما عُرفت به من بسط في الخيرات، غير أنَّه لم يبق من آثارها إلَّا أجزاء قليلة لما عرفته من تخريب ودمار من قبل قبائل المصاومة فقد هدموا الأسوار وصيرواها أرضاً ولم يبق منها إلَّا مكانها حتى سكنها نحو مئة رجل فأعادوا تعميرها وزراعتها لطيب تربتها وجودة زروعها³.

ب : بناء المدن المرابطية في المغرب الأوسط:

-مدينة تافرت:

يبدأ تاريخ هذه المدينة عندما أرسل يوسف بن تاشفين قائد مزدلي بجيش كبير نحو تلمسان سنة (472هـ/1080م) وكان أمير تلمسان آنذاك بختي من ولد يعلي، ولما وصل المرابطون أحواز تلمسان وقعت بين الطرفان معارك عاد الانتصار فيها للملَّمين وقتل مزدلي أمير تلمسان وعاد إلى حضرة مراكش مُبشراً يوسف بن تاشفين⁴، ويُتضح من خلال عودة المرابطين السريعة إلى بلاد المغرب الأقصى أنَّه لم يكن الهدف منها التمركز بقدر ما هو تأديب

¹الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 249.- ينظر أيضاً: عبدوني حسينة، المرجع السابق، ص 97.

²مجهول، ج 1، الاستبصار..، المصدر السابق، ص 190.

³الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 249.

⁴ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 62.- ينظر أيضاً: عبدوني حسينة، المرجع السابق، ص 99.

للقبائل الزناتية¹، التي كانت تهدّد الوجود المرابطي ولها عداء تاريخي لقبائل صنهاجة وبطونها كقبائل مغراوة² وبني يفرن³، لذلك لم يقم المرابطون بأي أعمال عمرانية كون هذه الحملة كانت استطلاعية وتأديبية للقبائل المعارضة.

غير أن يوسف بن تاشفين وبعد أشهر قليلة قاد حملة جديدة بنفسه نحو تلمسان سنة 473هـ/1081م) فافتتحها وملك أمصارها وعيّن عليها عامله محمد ابن تين عمر المسوفي⁴، وأمر ببناء معسكر كبير سماه تاقرارت والتي تعني المحلّة أو المعسكر، كان بنائها إذانا باستقرار المرابطين بالمدينة وجعلها عاصمة إقليمية للدولة⁵، ويشير بعض الباحثين إلى أنّ مدينة تاقررت قد أقيمت على أنقاض الموقع الروماني بوماريا⁶ ومع ذلك فقد اختلفت المصادر في هذا الشأن ولم تحسم النّصوص التّاريخية هذا الأمر بشكل قاطع، ما يهمّنا في هذا السّياق هو أنّ مدينة

¹ قبيلة زناتة: لم يعرف أشتقاق الكلمة عند المؤرخين القدماء من يونان وروماني وبيزنطيين، أما في العهد الإسلامي فقد أصبح هذا اللّفظ معروفاً وحسب ابن خلدون فأصل الكلمة تعود إلى زانا ابن جانا وهو الجد الأول للقبيلة وقد أطلقت هذه التّسمية على الجيل كله، كما أنها واحدة من أكثر القبائل البربرية عدداً وهي من فرع البتر أسهمت في بناء المغرب الإسلامي تتواجد أكثر بطنونها في بلاد المغرب الأوسط وتحديداً القبائل ووادي الشّلف ونهر ملوية ولها حضور كبير حتّى أنه لينتسب إليهم فيقال بلاد زناتة أو وطن زناتة ينظر: ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 10، ينظر محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 15-16، ينظر، مبارك مليي، ج 1، المرجع السابق، ص 109.

² مغراوة: من أكثر بطنون زناتة عدداً وينسبون إلى مغراو بن يصليتن وموظنه شمالي ونشريس ووادي الشّلف إلى البحر وينتهي وجودهم من النّاحية الشرقيّة عند وادي السّبت بالقرب من متّيجة ومن النّاحية الغربية عند البطحاء، كما ينتشرون بقسطنطينية وجبل عياض شرق مدينة المسيلة ولهم فروع عديدة أبرزها بنو سنجال وبنو غيار وبنو ريغة. ينظر: محمد بن عميرة المرجع السابق، ص 19، - مبارك مليي، ج 2، المرجع السابق، ص 467.

³ بنو يفرن: من بطنون زناتة أيضاً وهم عند نسبابة قبائل زناتة بنو يفرن بن يصليتن بن مسراً وحسب الباحث محمد بن عميرة أنّ يفري قد يكون جدهم الأول الذي ترأّس قبيلتهم ويفرن في لغة أهل البربر تعني الاستقرار وكانوا بعد الفتح الإسلامي يتواجدون بإفريقية وجبل أوراس بالمغرب الأوسط ثمّ انتشروا في النّاحية الغربية من بلاد المغرب بسبب زحف القبائل الطّرابلسية لواتة وهوارة المنتشرة بجنوب المغرب الأدنى وضواحي منطقة الأوراس ينظر: ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 15، محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 18.

⁴ ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 75.

⁵ مبارك مليي، ج 2، المرجع السابق، ص 293.

⁶ عبد العزيز فيلايلي، تلمسان في العهد الزّياني دراسة سياسية عمرانية اجتماعية وثقافية، الجزائر، ج 1، موفّ للنشر والتوزيع، 2002، ص ص 88-89.

تاقررت وتلمسان القديمة التي تعرف بأكادير أصبحتا فيما بعد تشكّلان مدينة تلمسان¹، وباستقرار المرابطين بالمدينة اتسع نطاق الحركة العمرانية نتيجة الازدهار الاقتصادي وزيادة التموي الديموغرافي بالمدينة حيث شيد المرابطون الدور والمنازل والمساجد²، كما أكد بعض الباحثين قيام يوسف بن تاشفين ببناء السور حول المدينة، والتي كانت مقراً وسكنًا لأصحاب السلطان والجند والعامة³.

-مدينة القصر:

وهي مدينة صغيرة تقع مابين طريق تاقررت والسوق القديمة على رمئي سهم، بناها أحد أمراء المرابطين وقام بتسويتها وبناء قصر بها لتكون له مقراً وسكنًا ولم تكن بها أسواق كثيرة⁴، يرجح ذلك لكونها مدينة أميرية أي كانت مخصصة للأمير وبني عمومته ولم يكن يُسمح لأي كان بالدخول إليها خاصة مع تأكيد الإدريسي بأن لها سورا.

-مدينة مشتى غانم:

وهي مدينة مستغانم وتتكوّن من كلمتين مشتة ومعناها مرسى السفن⁵ وغانم وتعني الغنى وتنسّم بالعربية مشتى غانم وهي مدينة ساحلية، أمّا عن تاريخ بناء المدينة وعميرها فلم ترد إشارات واضحة في المصادر التاريخية، إلا أن تأسيسها يعود إلى الوجود الروماني في المنطقة⁶، أمّا في الفترة الإسلامية فقد أشار إليها ابن خلدون إلى تبعيتها لقبيلة مغراوة البربرية⁷ التي سيطرت على أجزاء واسعة من الساحل وواد الشلف إلى حدود مناطق شرشال وماجاورها⁸، وحسب الباحث

¹ ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 62.

² بورويبة رشيد وأخرون، الحياة الفنية في عهد المرابطين والموحدين، الجزائر في التاريخ، ج 3، تع محمد بلقراد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 349.

³ محمد الطمار، المرجع السابق، ص 44.

⁴ الإدريسي، ج 6، المصدر السابق، ص 86.

⁵ رينهارتزوبي، ج 6، المرجع السابق، ص 249.

⁶ Belhamisi moulay, Histoire de Mostaganem des origines à nos jours, 2 edition, s n e d , Alger 1982, p 15.

⁷ ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 62.

⁸ عبدوني حسينة، المرجع السابق، ص 103.

هاینریش فون مالتسان أَنَّهَا لم تُؤسَّس إِلَّا في القرن السَّادس الهجري الثَّانِي عشر الميلادي (6هـ/12م)¹، من طرف المرابطين وقد بُنِيَ فيها يوسف بن تاشفين حصنًا منيعًا عُرِفَ بِمشتى غانم أو برج الأَمْحَال، حوله نشأت المدينة الَّتِي كانت في بدايتها عبارة عن حصن عسكري ثُمَّ تحولَت إلى مدينة كبيرة استقطبت قبائل المنطقة².

تمكَّنَ المرابطون من بناء بعض المدن أَبْرَزَهَا العاصِمة مراكش قاعدة دولتهم بالمغرب الأَصْسَى وتأكرت بالمغرب الأوسط الَّتِي لم تخلُ من القصور فقد كانت جزءًا لا يتجزأً من تخطيط المدن ونمَوْها.

ج: بناء القصور:

كانت القصور³، سمة من سمات الحكم لمختلف الملوك وأمراء الدول الَّتِي تعاقبَت على حكم بلاد المغرب الإسلامي لما تعكسه من هيبة للسلطان، فقد كانت مقراً لإقامةِهم وفيها يستقبل السُّفَرَاءُ والوزراءُ كما تُعقدُ فيها المعاهدات والاتفاقيات، وكان بناؤها في مختلف المدن وخاصة الحواضر الكبرى أو المدينة العاشرة، فقصر الحكم أو دار الإمارة غالباً ما يتم تخطيطه قرب المسجد الجامع، وقد ورثَ المرابطون عن ملوك الطوائف قصوراً باذخة أثداء توحيدِهم للعدوين منها قصراً الزهراء والزاهرة المنتهيان في الجاللة والفخامة⁴، كما أنَّ قصور الحكام كانت مركزاً

¹-هاینریش فون مالتسان، *ثلاث سنوات في غرب شمال أفريقيا*، ج 1، ط 1، الجزائر، دار الأمة للنشر والطباعة، 2008، ص 253.

²-عبد الرحمن الجيلالي، *تاريخ الجزائر العام*، ج 1، ط 2، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، 1965، ص 411.

³-عرفت القصور قبل الإسلام في حضارات الشرق واليمن كقصر عمدان وعرف المسلمين ظهور القصور في الكوفة حيث بُنِيَ سعد بن أبي وقاص قصر الإمارة لتعرف رواجاً في عهد الخليفة الأموية أمّا في بلاد المغرب الإسلامي فليس من السهل تحديد تاريخ واضح لظهورها وذلك لقلة المصادر الّتِي تناولت الموضوع وقد أرجع الباحث مارتان martin، أنها تعود إلى القرن الأول الهجري السابع الميلادي أي مع بداية الفتح الإسلامي ينظر: صلاح الدين هدوش عبد الكامل عطيه، قراءة تحليلية في تشيد القصور من خلال كتاب "القسمة وأصول الأرضين" لأبي العباس أحمد الفسطائي، *مجلة العلوم الإنسانية الاجتماعية*، العدد 01، 2021، ص 369-

Alfred Georges Paul Martin, Quatre siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1894 à 1912, Paris, Librairie Félix Alcan, 1923, pp 80-83.

⁴-المقربي، ج 1، المصدر السابق، ص 526.

لتجمیع السلاح وتخزینه وكان ذلك بالأخص بعد احتکاك المرابطين بالأندلسیین¹ كقصور بني عباد بإشبيلیة حيث اشتهر قصر الإماراة وهو قصر المبارك وقصر الزاهی وغيرها من القصور التي خلّدتها التاریخ².

والجدير بالذكر أنّ قصور المرابطین كانت قریبة الشّبه للمدن الصّغری حيث اشتملت على المسجد و مجموعۃ من الدّور والسكنات فقد اشتمل قصر مقرار التحتانی قلعة الشیخ بوعمامۃ حالیاً³ والذی تمّ بناؤه قبل تسعۃ قرون مما يجعله معاصرًا لفترۃ المرابطین على ما يقارب ستین مسکناً وكان كلّ سکن يتواجد به حوالي خمسة وعشرون فرداً فيكون العدد الإجمالي لسكنی القصر ما يزيد عن ألف وخمسمائة شخص وتتکون القصور من مجموعۃ من الأبواب ويحيط جهاتها الأربع الشّرقیة والغربیة أبواباً خلفیة للنجدة، كما نجد بها عدّة دروب وأزقة سُمیت باسم شهر الأسر أو النّشاط الممارس فيها⁴ (الملحق رقم 13) كما تتوفّر على مرافق منها البساتین والحمامات وإسطبلات والمیاه وغيرها من المرافق التي يُحتاج إليها⁵، فعلى سبيل المثال مثل قصر الحجر الذي ابنته علی بن یوسف قرب المسجد الجامع بمراکش مدينة صغیرة للأمراء وذوی الوجاهة من الأسرة الحاكمة⁶، وقد أکد الإدريسي بأنّ المرابطین قد شیدوا عدید القصور فيذكر أنّ مدينة مراکش لوحدها احتوت على أعداد من القصور للكثیر من الأمراء وخاصة القوم⁷، كما لا يستبعد أن يكون المرابطون ونساؤهم قد أوقفوا قصوراً في العاصمة مراکش أو في أحوازها، وأنّ الموحدین قد قاموا بمصادرتها لاعتبارات سیاسیة ومذهبیة⁸، رغم عدم وجود عقود ملکیة أو وقیة تثبت ذلك على حدّ علمنا ولعلّ ذلك کون المرابطین منذ أن عاشوا في الصحراء

¹ خمیسی بولعراس، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصری المرابطین والموحدین، الجزائر، النشر الجامعي الجديد، 2018، ص 51.

² عبد الله عنان، ج 2، المرجع السابق، ص 55.

³ يقع قصر الشیخ بوعمامۃ في الجنوب الغربي الجزائري ببلدية مغار ولاية النعامة الجزائرية

⁴ لوحة إرشادات وزارة الثقافة، قصر مغار، النعامة، الجزائر، يوم 03، أفریل، 2025.

⁵ ابن فضل الله العمري، ج 4، المصدر السابق، ص 198.

⁶ محمد عبد الله عنان، ج 4، المرجع السابق، ص 143.

⁷ الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 234.

⁸ محمد ولد عمر، العمران الوقفي في المغرب الإسلامي بين القرنين (5-11ھـ-15م) دراسة من خلال التوازن والشواهد الأثرية، أطروحة دكتوراه، إشراف البشير غانیة، جامعة حمہ لحضر، الوادی، 2023، ص 167.

كانوا أهل ترحال وبداءة ولم تكن لديهم تعقيدات المدينة لذا اكتفوا غالباً إلى العرف الذي ضمن لهم حقوقهم.

ومن المهم الإشارة إلى أن القصور التي أنشئت خلال العهد المرابطي كانت دون مستوى قصور الموحدين وملوك الطوائف، فعلى الرغم من اهتمام المرابطين بتشييدها إلا أن اهتمامهم بزخرفة القصور وتزيينها لم يرق لمستوى قصور ملوك الطوائف التي عرفت بالفخامة والدقة والإسراف حد التبذير، مما جعل الباحث الإسباني توريس بالباس يرى أن القصور في هذه الفترة افتقدت إلى المتنانة والصخامة ولعل رأيه هذا بسبب استعمال الطابية والأجر في القصور المرابطية، في حين استعملت مادة الحجر والرخام في قصور الأندلس¹، ومن وجهة نظرنا أن هذا الرأي فيه تحامل كبير على عمارة القصور سواء في العهد المرابطي أم الموحدي لما يحمله من تصغير للإرث العماني الذي خلفته الدولتان.

ومن الملفت أن تشير إلى التجديد الذي عرفه خاصة في خطيط الأفنية التي تحمل أبهة كونها اختصت بالأمراء خاصة في الأندلس والتي اقتبست من بلاد المغرب، حيث نجدها واضحة المعالم في جامع القرقيبين بفاس، وفي بعض قصوربني مرين بمراكش ويتمثل هذا التجديد في البهو المستطيل الشكل يحيط بجنبه جوسقان مربعان بارزان، وداخل المستطيلات الأربعية أشجار البرتقال والليمون، وقد كانت الأفنية قبل عهد المرابطين تتوسطها برك تتصبب في أركانها أسود معنية، أو نافورة تحيط بها تماثيل للحيوانات كالطيور فتساب المياه من أفواهها كما هو الحال في قصرى طليطلة وقصر الزهراء².

د: المنازل:

عرف الإنسان السكن منذ العهد القديم كونها من حاجياته الضرورية فهي التي توفر له السكن والهدوء، كما أنها دليل مادي على الاست Bhar في العمران وقد كانت متعددة منها المنازل البسيطة والقصور التي اختصت بالأمراء والمباني العظيمة التي شيدتها بعض الخلفاء، وقد وجدت هذه الدور في المدن المرابطية والمحمدية على اختلاف أنواعها.

¹ ليوبولدو توريس بالباس، المرجع السابق، ص 28

² السيد عبد العزيز سالم، العمارة، المرجع السابق، ص 101-102.

أنواع المنازل:

الدور العامة: تُشكّل هذه الدور غالبية الوحدات المكونة للنسيج العمراني¹، أعدّت للسكن كما هو معلوم وقد أوضحت كتب النوازل أنّه كان منها المخصص لعائلة واحدة أو لساكنين يتقاسمانها الأول له الطّابق السّفلي والآخر يسكن الطّابق العلوي وكلّ مدخله وأحياناً يكون مشتركاً²، كما أنّ المنطق التّاريخي يجعلنا نسلّم أنّ هناك فرق بين الدور الخاصة بالتجّار وخاصة المجتمع والطبقة العامة، إلّا أنها في جميعها تسهم في تشكيل تصوّر للحاضرة الإسلامية وقد بلغ عدد الدور السكنية في مدينة فاس خلال الفترة المدروسة ما يزيد عن تسعه وثمانين ألف ومتّعين وستة وثلاثين داراً³.

ومن المنازل الباقيّة إلى اليوم التي تعود لفترة المرابطين منزلين بمدينة ندوة بتلمسان ويقعان في الجهة الشرقيّة من المدينة وتحديداً بحي الخربة وحسب الباحث محمد راجح فيسه فإنّ منزل دار زرهوني (الملحق رقم 14) ومنزل دار الفتوح (الملحق رقم 15)، يعود بناؤهما إلى فترة المرابطين استناداً إلى مواد البناء المتمثّلة في الحجارة والخشب ومادة الطّابية التي غلت على جلّ المسكنين⁴.

بـ المنزل الريفي:

ويتواجد غالباً بالقرى التي تعرف بصغر مساحتها وقلّة المنازل الموجودة بها، حيث كان يتراوح عدد المنازل بين اثني عشر وثلاثين منزلاً، فكثيراً ما كانت ترد أسئلة في كتب النوازل عن القرى التي تجب فيها صلاة الجمعة منها ما ورد عن ابن رشد الجدّ عن عدد من تجب عليهم الجمعة، هل يكون عدد البيوت أم عدد الرجال، وهل غياب بعض أهل البيوت يوجب الجمعة على من بقي وهل تكون الجمعة مخصوصة على عدد معين من الرجال ولا معنى للبيوت، إذ المراد من البيوت الرجال فأجاب ابن رشد إلى أنّ هناك من أوجب وجود ثلاثين رجالاً حتّى تجب عليهم

¹ محمدو ولد عمر، المرجع السابق، ص 153.

² الونشريسي، ج 8، المصدر السابق، ص 440.

³ الجنائي، المصدر السابق، ص 44.

⁴ محمد راجح فيسه، المرجع السابق، ص 178-190.

الصّلاة، كما أشار إلى أنَّ مالك رحمه الله لم يحد في ذلك حَدًّا وإنما أجاب أنَّ الجمعة لا تجب إلَّا في القرية الكبيرة المتصلة الْبُنْيَانَ التَّيْ فِيهَا الأَسْوَاقُ وقد سكت مرَّةً عن شرط وجود الأسواق¹.

أماكنها:

بُنيت المنازل داخل سور المدينة كما وُجِد بعضها خارج السور والبعض منها كان مُعدًا للكراء ومنها ما استعمل كفنادق وهذا لا يكون إلَّا في المدن الكبرى كثيرة السُّكَان المزدهرة كمراكش وفاس وتلمسان، وأخرى مخصصة للحبس وهي متعلقة بالمساجد حيث خصصت للإمام ومساعده القييم أو كانت تكري للضعفاء، وقد عُرف عنها الانتظام في شوارع ودورب².

كما بيَّنت كتب التَّوازُل أنَّ العَامَةَ كانت تلجأ إلى ترميم المنازل وصيانتها وإن تطلب الأمر اللجوء إلى الاستدانة، فقد وردت عند الفقيه المازري نازلة حول شخص اشتري منزلاً لزوجته وأخيه واستدان من صهره مالاً لترميم هذا المنزل، كما كان يُلْجأ إلى الاستدانة بالتقسيط في بعض الحالات لشراء المنازل، حيث أشارت بعض التَّوازُل أنَّ رجلاً اشتري منزلاً بثمن مُقْسَط على أن تتم عملية التَّسْدِيد على مدار ثلث سنوات³.

بيع الدُّور وكراؤها:

عرفت أسعار العقار في الفترة المرابطية تزايداً مُستمراً ووفقاً لأجوبة أبي إسحاق اليهودي تراوح ثمن شراء منزل ما بين 160 و 280 ديناراً، بينما تم شراء المنازل صغيرة المساحة بـ 50 إلى 60 ديناراً، أمّا بالنسبة للإيجار فكانت قيمته دوماً في تصاعد حيث اكتفى ابن قزمان دويرة صغيرة بربع مثقال مرابطي، وطلب منه مالك الدار زيادة ثلاثة أثمان مثقال، وقد اكتفى أحد العلماء منزلاً بعشرة أواق للسنة الواحدة حتَّى بلغ مجموع ما أنفقه على الكراء مائتي أوقية في مدة

¹ ابن رشد الجَّدِّ ج 2، المصدر السابق، ص 895.

² الونشريسي، ج 8، المصدر السابق، ص 267-268. ينظر أيضاً: بن حمو محمد، العمران، المرجع السابق، ص ص 45 - 46.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، دار الطَّليعة للطباعة والنشر، 2006، ص 36-38.

عشرين سنة، بالمقابل كانت تعرف انخفاضاً كبيراً في أوقات الأزمات الاقتصادية كالمجاعات والحروب حيث وصلت إلى 80 ديناً في فترات المجاعة¹.

- مشاكل أسرية بسبب الدور:

وقدت عديد المشاكل بسبب الأبواب وذلك لأنَّ فتحها وغلقها يؤدّي إلى ضرر ويؤدّي إلى كشف العورات وتأديٰ الجيران لذلك كان يتدخل القضاة لفك التزاع² كما أنَّ عرفاء البناء منعوا تقابل الأبواب وأمروا باستخدام التكيب³، ويكون ذلك أكثر في الأزقة الضيقة التي لا منفذ فيها بخلاف إذا كان الرِّزقان واسعاً فإنَّ الأبواب المتقابلة لا ضرر فيها لاتساع الشارع وقد فصل العلماء في هذا الأمر حيث سئل ابن الحاج عن شارع نافذ أراد أحدهم أن يفتح فيه باباً يقابل باب جاره فأجاب بأنَّ يفتح في الرِّزقان النافذ ما شاء بخلاف إذا كان الرِّزقان ضيقاً فليس له ذلك⁴.

- مكونات المنازل:

- الحجرات:

تختلف عدد حجرات المنازل تبعاً للوضعية الاقتصادية لمالكها وكانت في العموم تتكون من أربع غرف إلى ثمان كما هو حال دار الفتوح بمدينة ندرورة التي يعود بناؤها للفترة المرابطية حيث تتوزَّع غرف المنزل حول فناء من جهاته الأربع وبه ستة غرف، الغرفة الأولى تقع في

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، *مباحثي التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس*، بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر، 1998، ص 212.

² عيسى بن سهل، *وثائق في شؤون العمران في الأندلس المساجد والدور*، تحرير محمد عبد الوهاب خلاف، ط 1، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، 1983م، ص 24.

³ التكيب: يُقال نكبه أي عدل عنه والمقصود هنا تجنب مقابلة باب الجار لمن أراد أن يفتح باباً في زقاق ضيق فيُعمد إلى التكيب إنْ أمكنه ذلك وإنْ تعذر التكيب لم يمنع من الفتح وإنْ تأدى جاره. ينظر: عيسى بن سهل، *الإعلام بنوازل الأحكام* وقطر من سير الأحكام، القاهرة، دار الحديث، 2007، ص 659. -الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج 10، ط 1، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1999، ص 6752، -بن حمو محمد، المرجع السابق، ص 46.

⁴ الونشريسي، ج 9، المصدر السابق، ص 21-20. ينظر أيضاً: بن حمو محمد، *العمان*، المراجع السابقة، ص 47.

الجهة الغربية محاذية للمرحاض، أما عن الغرفة الثانية والثالثة فلهمَا ممرٌ واحد أي أنَّ الداخِل الثالثة لابد وأن يمر على الغرفة الثانية ومقاسهما 2.40×1.44 م.

والغرفة الرابعة تقع في الجهة الجنوبية للمنزل ومقاسها هو الأكبر في حين احتلت الغرفة الخامسة الناحية الشرقية للمنزل، وفي الجهة الشمالية نجد الغرفة السادسة ولها مدخل خاص اتساع فتحته 1.00 م ويُعتقد أنها خصّصت للضيوف.¹

-السُّطوح:

تعتبر من العناصر المهمة في البيوت لإمكانية استغلالها في أغراض متعددة كنشر الزرع، والجلوس في المساء خاصة في الأماكن الحارة كما تقي في فصل الشتاء من الأمطار كما كانت تُبني عليها أمكنة للتخيرين، ونظراً لأنَّ السطح قد يكشف عن الجيران فيتسبب في ضرر يستلزم بناء السُّتر²، وقد أورد الونشريسي أنه إذا كان بناؤها ينفع به كلا الجارين فتصبح واجبة على كليهما ويغير من أبي على ذلك، وذلك كون المنفعة مشتركة بينهما ولو أدى ذلك إلى منع ضوء الشمس والريح، لأنَّ تقدير الفقهاء منع كشف الضُّرر والسُّتر أولى من منفعة الشمس، وقد ذهب بعض الفقهاء أنَّ الجار إذا لم يسمم في عملية البناء فإنه يُمنع من الصعود إلى السطح³، ويبدو أنَّها كانت تصنع من الطين والخشب لتوفير البرودة كما كانت تعزل مياه الأمطار.

-المرحاض:

اختلفت أشكالها حسب الطبقة الاجتماعية ومكان تواجدها بالريف والمدينة حيث كانت تُبني في الأرياف منفصلة عن المنزل بينما في المدينة نجد تواجد أكثر من مرحاض في بيت واحد مثل دار زرهوني بمدينة ندرومة التي يعود بناؤها لفترة المرابطين حيث كشفت الأبحاث

¹ محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 193-197.

² السُّترة: ستر يُستَر فهو ساتر مفردها ستة يقال ستر الشيء أي غطاء أو حجبه واستتر الإنسان أي أخفى أثره وأختباً والمقصود هنا بسترة السطح أي تغطيته عبر بناء جدار يحيط به فيصبح متوارياً، ينظر: ينْظَر ابن الرامي، المصدر السابق، ص 39.-أحمد مختار عمر، ج 2، المرجع السابق، ص 1032.-

³ ينظر: الونشريسي، ج 8، المصدر السابق، ص 444. - ينظر أيضاً: بن حمو محمد، العمارة، المرجع السابق، ص 55.

الأثرية أنه تم تخصيص مرحاض للطابق السفلي وأخر للطابق العلوي وتصل بينهما قناء¹ وغالبا ما كانت متصلة بالمياه الجارية وقد بين فقهاء المالكية حكمها فقد وردت نازلة للإمام المازري أن رجلا اشتري دارا بشرط عدم وجود مرحاض الجار فيها، فلما تم البيع وجد أن فيه ضررا فكان يرجع ما يخرج من المرحاض فأنكر الجار على المشتري، فأجاب أن البائع إذا ملك المرحاض ملكا تماما فمن حقه على المشتري فعله وإذا لم يملكه فإن كان في بقائه ضرر على رب الدار لرأحته وقدارته وجوب إزالته²، وما يستنتج أنه إذا كان الحق لمنتفع فإنه يزول ما لم يكن له ملكا خاصة مع وجود الضرر.

ومن الأضرار التي أحدثتها المراحيس ببنائها خارج الحائط تضييق الطريق خاصة إذا كان الزقاق غير متسع، أما إذا كانت في شارع واسع حيث إن خروج بنائها لا يضر بالساكنين فلا حرج في ذلك، أما المياه القدرة للمراحيس فقد كانت تؤجّه إلى بئر تحفر داخل الدار، وإنما عبر ربطها بنظام الصرف الصحي، والذي هو عبارة عن مجاري كبير خارج الدار مخصص لهذا الغرض³.

-المطامير:

مكان مخصص لحفظ الحبوب والميرة، وقد تتابع استعمالها إلى عهد قريب، وقد ورد في كتاب المعيار أن رجلا اكتري دارا وفيها مطامير لم يذكرها صاحب الدار ولا المكتري عند بداية عقد الكراء، وأراد صاحب الدار بعد مدة أن يُطمر فيها طعامه، غير أن المكتري أبى عليه، واحتج بأن له حرية التصرف في المطمر كونه تابع للدار التي اكتراها فأجاب أهل العلم أن المكتري إن عرف بوجود المطامير قبل الكراء فليس لصاحب الدار فيها حق ما لم يشترطها عند الكراء وإن كان لم يعرف أن في الدار مطامير فإنما له ما ظهر عند الكراء ولا يحق له الاختلاف إلا بما يرضي المكتري وذلك لحرمة المنزل⁴.

¹ محمد راجح فيسة، المرجع السابق، ص 187.

² الونشريسي، ج 8، المصدر السابق، ص 456 - 457.

³ بن حمو محمد، العمran، المرجع نفسه، ص 57.

⁴ الونشريسي، ج 8، المصدر السابق، ص 268.

الإسطبل:

الإسطبل بالسَّيْن أو الإِصْطَبْل بالصَّاد وجمعه إِسْطَبَلَات أو إِصْطَبَلَات وهي مأوى الخيول والأنعام ويقصد به في المصطلح الأثري المعماري للدلالة على المكان المخصص لرعاية الخيول والدَّوَابَ وتأمين مبيتها^١ فقد سخرها الله تعالى للإنسان وجعل له فيها مأرب عَدَة كما ورد عن المولى عَزَّ وجلَّ في قوله تعالى: {وَالآنُعُمْ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} (٥) ولَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْيُحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ^٢، فكانت رمزاً للفروسية وتستعمل في الحروب والتَّقْلُل ، لذلك كان تخصيص مكان لها لإيوائها ضرورياً باعتبار منفعتها الكبيرة وكان كُبراء القوم يُخَصِّصُونَ لها رواة^٣.

وللإسطبل أهمية كبيرة حيث كانت لاتخلو المساكن من هذا العنصر في الفترة المرابطية خاصة وأنهم أهل بداوة وامتلكوا مختلف الدَّوَابَ واستعملوها في تنقلهم وحروبهم فلا غرابة أن يختصوا أقساماً من منازلهم لرعاية الأنعام وحفظها وسلامتها وقت الحر والبرد ولم تشر الدراسات إلى هذا العنصر المعماري وذلك لتهدمه واندثاره إلا أنه قد شَكَّل جزءاً من أقسام المنزل وكان قريباً من المدخل الرئيسي له.^٤

وكانت أحياناً تتسبّب في أضرار للجيران فقد نقل الونشريسي نازلة وردت على أحد القضاة بإزالة الرواء بسبب الضَّرر الذي لحق بالجار، لكنَّ صاحب الدَّابَة قد تبريراً أنه لا غنى عنه لدَابَّته لحاجته لها في معاشِه، فبحث القاضي عن حلٍّ عند عرفاء البناء فأشاروا عليه بأنَّ يُحفر في الأرض أساساً وينزل قدر قامة الدَّابَة وبهذا يكون تحت الأرض، وبيني من تحت الأرض بناءً يصل به إلى منتهي السَّقوف، فلما فعل صاحب الدَّابَة ذلك انقطع الضَّرر على الجيران^٥، وهو نفس الرأي الذي أبداه ابن الرَّامي في قضية مشابهة غير أنه أمر بحفر أساس

^١ محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 15.

^٢ القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 5-6.

^٣ الرواء: حبل من الحال الغليظة، يروى به على البعير لمسك المتعاع كما تُشدَّ به الدَّوَابَ، وقد تعارف الناس في المغرب الإسلامي أنه المكان المخصص للدواوب، ينظر: ابن منظور، ج 14، المصدر السابق، ص 348. - الونشريسي، ج 9، المصدر السابق، ص 8.

^٤ محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 185-186.

^٥ الونشريسي، ج 9، المصدر السابق، ص 8.

على قدر القامة خلف الحائط وأن تكون الجدران أبعد عن بعضها، كما أمر أن يكون عرض الحائط خمسة أشبار، وعرض الحائط شبرين، ويجعل بينه وبين الحائط الذي هو صدر البين نصف شبر للترويج¹.

-الماجل

وهو خزان مائي تواجد في أغلب المنازل وكان يُملأ من ماء المطر، وموضعه يكون تحت الأرض أو يُبنى في الطابق الأرضي حيث ينزل عليه ماء المطر عبر الطابق العلوي عن طريق مجار خاصة، وكان له دوراً مهماً في تخزين المياه واستعمالها أوقات الجفاف أو من طرف المسافرين لذلك كان بناؤه في المدن والقرى والمساجد وقد وردت عديد النوازل توضح ماء المطر المتواجد بالمواجل الدور المكتراة لمن هو وكان أهل العلم يجيبون بما جرت عليه العادة².

- الكوى³

عبارة عن فتحات أو نوافذ صغيرة تم استخدامها في المنازل لعدة أمور منها التهوية والإضاءة خاصة إذا كان المنزل صغيراً وليس به ساحة فتصبح حينئذ ضرورية، أما عن أماكن وضعها فنجدتها في أعلى الحائط لإبعاد الضرر المتعلق بالكشف، كما وضعت في وسط الحائط وبالتالي نتج عنها ضرراً مما جعل الجيران يلجؤون إلى الفقهاء لإظهار الحكم فيها، ومنها ما كان يوضع في جدار السطح وبالتالي نتج عنها ضرراً أكبر كونها تقابل ساحة الجيران مباشرة، كما استخدمت بشكل واسع في المساجد لتوفير الإضاءة الطبيعية⁴.

هـ: الأسواق

¹ ابن الرامي، الإعلان بأحكام البناء، تحرير عبد الله بن سليمان، مركز النشر الجامعي، 1999، ص 65.

² ابن الرامي، المصدر السابق، 140، ينظر أيضاً: 140النشرسي، ج 8، المصدر السابق، ص 429-430.

³ الكوى: مفرد كُوة وكوى الثياب أي نظمها، والمكوجي مهنة للتكتّب بتبييض الثياب عن طريق تنظيفها وصقلها، أما ما يقصد بها في التاحية العمرينية فهي ما يتقد في البيت قصد دخول الصّوء والمهوء، ينظر: أحمد تيمور باشا، ج 5، المصدر السابق، ص 268. - أيضاً: بن حمو محمد، العمارة المرجع السابق، ص 50.

⁴ بن حمو محمد، العمارة، المرجع السابق، ص 50.

تُعدُّ الأسواق¹ من المنشآت العمرانية المهمة ومركزاً فعالاً في المعاملات التجارية، فهي بمثابة القلب النابض للمدينة وغالباً ما كانت قريبة من المساجد، وكانت مكاناً يجتمع فيه العامة من مختلف الفئات للتبادل التجاري واقتضاء احتياجاتهم كما تتيح للسلطة فرصة الإشراف على عمليات التبادل التجاري والاستفادة منها خاصةً في المدن، وبحكم هذه الأهمية فقد انتشرت الأسواق في كافة أنحاء بلاد المغرب في المدن والأرياف والقرى والحسون وعرفت تنظيماً جيداً حيث كانت تخضع للرقابة والتنظيم، ولا تكاد تخلو مدينة من سوق يلبي حاجيات سكانها.

تشابهت الأسواق في معظم أمكنة بلاد المغرب الإسلامي الوسيط، فنجد ما يسمى بالقيسارية التي كانت تختص في بيع الملابس والمصنوعات والمصوغات الذهبية والفضية وهناك أسواق أخرى تخصصت في بيع ما تعلق بالحبوب والزيوت والعسل والزبد وغيرها من مواد الأطعمة والأشربة.²

وما يهمنا هو عمارة الأسواق التي يصعب تتبعها نظراً لنقص المادة الخبرية المتعلقة بذكر عمارتها، فجل ما تم ذكره عنها أنها أسواق عامرة ونافقة وغيرها من الأوصاف التي تذكر حال ما بها من سلع³، ونفس الأمر ينطبق على بداية ظهور النمط العمراني فليس هناك دلائل ثابتة ببداية هذا العمل، فقد ذكر ابن عذاري أنَّ يزيد بن حاتم لما افتتح إفريقية عمل على إصلاح أسوارها وترتيبها عن طريق تنظيم أماكن الصناعة والبيع في أماكن مخصصة ولاشك في أنها الأسواق، ونستشف من ذلك أنها لم تكن منظمة قبل وصول المسلمين إلى القiron، أو أنها انتقلت مع وصول المسلمين إلى بلاد المغرب حيث أصبحت أكثر تنظيماً في العهد الرستمي والعلوي⁴.

¹- الأسواق: هي المكان الذي تُساق إليها الأشياء قصد البيع والشراء في المدينة وإليه تقصد التجارات من مختلف الأماكن فهي مركز لتجمّع أصحاب التجارة والصناعة وأرباب الحرف ويرجع بعض الباحثين أنها أصل لظهور بعض المدن واستقرار العمران ينظر: الصاحب بن عباد، *المحيط في اللغة*، ج 5، تحرير محمد حسن آل ياسين، ط 1، بيروت، عالم الكتب، 1994، ص 447. - محمود ولد عمر، المرجع السابق، ص 167.

²- مسعود كربوع، *النظام المالي في المغرب الإسلامي*، (15-19هـ/8-12م) دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، دار أجيال الرقمي، الجزائر، 2023، ص 650-651.

³- المقدسي، المصدر السابق، ص 278. - ينظر أيضاً: البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 736. - الإدريسي، ج 2، المصدر السابق، ص 858.

⁴- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 78. - ينظر أيضاً: البلاذري، المصدر السابق، ص 230.

وبمرور الزمن أصبحت أكثر تنظيماً فمع بداية القرن الثالث الهجري أصبح لها مكان خاص بها وقار عبر بنائه وتشييده، والحرص على نظافته وتهئته وهي الفترة التي بلغت التأثيرات المشرقة المغربية مداها وقمتها، فأصبحت الأسواق جزءاً مهماً من التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية¹، وفي القرن الخامس الهجري أصبحت الأسواق أكثر تنظيماً وترتيباً حيث قامت الدولة المرابطية بضبط الأسواق وجعل أهل الصنائع في حي واحد، فأصبحت لكل صنعة سوق أو حي خاص بها يسمى باسمها مثل سوق الطوابين والعطارين والفخاريين والصباباغيين والرجاجيين وغيرها من الصناعات، وكُلف المحاسب بالتدخل في رقابتها وفق ما حدّه الفقهاء، فكانت تحت خضوعه لذلك تم وضع مجموعة من الشروط لمنصب المحاسب منها درايته وحذقه في مهنته، كما وضع المرابطون نظماً لتنظيم الصناع فنجد على كل رأس مهنة رئيساً أو مقدماً أو أميناً أو عريفاً²، ولا يُستبعد أن يكون هناك عرفاء البناء الذين احتضنوا بمتابعة ومراقبة البنائيين.

و: الفنادق:

تعددت الأسماء التي أطلقت على هذه المنشآت التي كانت تُعدّ خصيصاً لاستقبال المسافرين والتجار والغرباء³، وجمع الفندق الفنادق ويطلق عليه أيضاً الفنيدق للتصغير ويحمل أنّ عدد غرفه قليلة، وقد ورد في الأبيات المشهورة في القرابة وعظمها يا صاح سكن الفنادق⁴، والفندق بضم الفاء وسكون النون وفتح الدال وهو تعbir خطأ إنما هو فندق بضم الفاء والدال والفندق بلغة أهل الشام الخان وجمعه خانات فهو المكان الذي ينزل به الناس والتجار والمسافرون وغيرهم سواءً أكان مكانه في الطرق أم المدن⁵، وهو كلمة فارسية الأصل تعني المنزل المؤثث أو النزل المفروش الذي أُعد لاستقبال المسافرين من تجاري وحجاج وغيرهم وتكون الإقامة فيه

¹ عمر بلوط، المرجع السابق، ص 88.

² هناء محمد عبد الحميد الفقي، المرجع السابق، ص 93-94.

³ أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، ج 3، المرجع السابق، ص 155.

⁴ محمد مرتضى الحسيني الربيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، ج 26، د ط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001، ص 316.

⁵ أبو علي القالي، *البارك في اللغة*، تحقيق هشام الطعن، ط 1، بيروت، دار الحضارة العربية، 1975، ص 557.

للاستراحة نظير أجر معلوم¹ ويطلق مصطلح الفندق على نوعين من المنشآت يختلفان في الموقع ويشابهان في تكوينهما المعماري.

النوع الأول: يسمى بخان الريف يكون موقعه خارج المدن في الأراضي والضواحي، وغالباً ما يتم بناؤه قرب الطرق الرئيسية المهمة تكون المسافة بينه وبين خان آخر حوالي مسافة سير يوم واحد وُجدت هذه الخانات كنتيجة حتمية لتوفير المياه والغذاء والأمن بصفة عامة، وكان التكوين المعماري لهذا الخان يضمّ مستودعات لحفظ البضائع التجارية كما يتوفّر به أمكنته مخصصة للحيوانات وعدة مراافق لراحة المسافرين كالحمامات وغيرها.²

أما النوع الثاني: شكل جزءاً منها للتسريح العماني ويتوارد عادة داخل المدن وفي وسطها لذلك تمت تسميته بخان المدينة وغالباً ما يتكون من طابقين إلى ثلاثة، يختصّ الصัص الأعلى لدوره الرئيسي المتمثل في مبيت المسافرين بينما الطابق الأرضي كان به مخازن لحفظ سلع التجار وأمكنته للحيوانات، ونظراً لموقعه في قلب المدن وقرب الأسواق فقد لعب دوراً مهماً في الترويج لسلع التجار وقد عرف تطويراً كبيراً بعد القرن (7هـ/13م)³، وحسب ما ورد في نوازل ابن رشد الذي كان معاصرًا لدولة المرابطين أنّ الفنادق التي تتكون من طابقين كانت أكثر انتشاراً في هذه الفترة.⁴.

أما فيما يخصّ مسألة العدد يصعب معرفة وحصر أرقام الفنادق في الفترة المدروسة بالرغم من وجود إشارات عديدة في المصادر التاريخية للفنادق التي تعود نشأتها إلى الفترة المرابطية، ومنها فندق لبيب بمراكش أشار إليه صاحب الإحاطة عند حديثه عن الكتاب والشعراء في هذه الفترة وذكر أنّ الفتح ابن علي ابن أحمد ابن عبيد الله المعروف بابن خاقان⁵ توفي

¹- زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ط5، بيروت، الدار التّمونجية، 1420هـ/1999م، ص 308.

²- عمر بلوط، المرجع السابق، ص ص 70-71.

³- محمد بن ساعو، العمارة التجارية في المغرب الأوسط خلال العهد الرياني من خلال مصنفات النوازل والحسبة 07-09هـ/13-15م)، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد 01، ج 11، (ص-ص 07-42)، 2015، ص .28

⁴- ابن رشد، ج 2، المصدر السابق، ص 1143

⁵- الفتح بن محمد بين عبيد الله، الإشبيلي، كاتب فصيح وبارع عرف عنه قوته في قرض الشعر وله عدة مصنفات أشهرها قلائد العقيان، ومطعم الأنفس وحدائق المأثر، ينظر: الفتح بن خاقان، مطعم الأنفس ومسرح التأنس في

بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم من عام تسعه وعشرين وخمسماة حيث وجد قتيلاً بيت من بيوت فندق لبيب¹.

وظائف الفندق:

من المعلومات أنّ وظيفة الفندق تمثل في الإيواء لكن يبدو أنها لم تؤدّ هذه الوظيفة فقط بناءً على ما ورد عند عبد الواحد المراكشي بأنّ مجموعة من الأسرى جيء بهم إلى مدينة مراكش "فاما النساء فدخل بهن ليلاً فجعلن في بعض الخانات إلى أن نفذ الأمر بالمن عليهم وإطلاقهن وتزويج من تحتاج إلى التزويج منهن وتجهيزها بمال، وأما الرجال فلم يزالوا في الحبس"²، يُفهم من وضع النساء الأسيرات في بعض فنادق المدينة أنّ بعضها أدى مهام السجن الخاص بالنساء وهي مسألة لا يمكن الجزم بها هل كانت هذه المهمة دائمة أم ظرفية، وقد رجح بعض الباحثين بظرفيتها لأنّ نفس الوظيفة الأمنية أدتها وحدات معمارية بالمدينة لا علاقة لها بذلك مثل المسجد³.

بالإضافة إلى أنّ الفنادق قد استخدمت في الدور التجاري ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، فكانت كوحدات تجارية تستقبل وتخزن السلع حيث ارتبط العديد منها بوظائف اقتصادية مهمة، فأصبحت هذه الفنادق جزءاً من الوحدات المعمارية المخصصة للتجارة في المدينة الإسلامية، كما أنّ مبيت التجار الغرباء فيها يزيد من احتمال أنها كانت تستقبل بضائعهم القادمة من مختلف المدن وفيها تتم عملية المبادرات والتخزين، وهو ما أكدته الرحالة ابن حوقل بأنّ الفنادق يسكنها التجار بالتجارات للبيع والشراء فيقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب على أهله التجارة كما قدم لنا إشارة تقيد بوجود صنفين من الفنادق، أحدها يسكنه الأغنياء أصحاب الأموال والأرزاق الكبيرة وتقع عموماً في الطرق الرئيسية من التجارة تمرّ من خلالها البضائع الكبار

¹ ملح أهل الأندلس، تح محمد علي شوابكة، ط1، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1983م، ص 1-464.- ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكميل لكتابي المسؤول والصلة*، ج 2، ط1، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2012، ص 444.- ابن خلكان، ج 2، المصدر السابق، ص 429.

² لسان الدين بن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، ج 2، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ، ص 208-212.

³ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 231.

³ محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 253-254.

والأموال نظراً لكونها أكثر أماناً، والصنف الثاني لغير الميسير يقصدها أصحاب الحرف وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصنايع كالأساكفة والخرزين والحبالين وغيرها من أصحاب الحرف وعامة الناس¹.

كما أن عبد الواحد المراكشي صاحب كتاب المعجب الذي ألفه في الشرق كان على دراية تامة بالوظائف التي كانت تؤدي في الخان، ولو كان هناك في مراكش ما يخالف ذلك لأشار إليه نظراً لما عُرف عنه من شدة ودقة في الملاحظة²، بناءً على ذلك فمن المحتمل أن تكون الفنادق قد جمعت بين وظيفتي الإيواء والتجارة، والأمن كون معظمها كان يُبنى داخل سور المدينة مما وفر بيئة آمنة ومُربحة للتجار.

وفي هذا المنحى فإن ازدهار العلاقات التجارية أسهم في حركة العمران والتَّوسيع في المبادرات التجارية خلال العهد المرابطي، مما استدعي زيادة الاهتمام بهذه المؤسسات كونها مكاناً لالتقاء أكابر التجار وتحفظ سلعهم، وهو ما وقع في مدينة مراكش حيث بُنيت بها عديد الفنادق³، ونفس الأمر يُلاحظ على مدينة فاس في نفس الفترة إذ أن معظم الفنادق التي بُنيت فيها كانت في أماكن تجارية وكانت هذه الفنادق قريبة من بعضها وتحيط بالمدينة، مما زاد من قوة الحركة التجارية والاقتصادية ومن أشهر هذه الفنادق فندق الشّماع بمدينة فاس وتحديداً في الشمال الغربي لمسجد القرويين، بالقرب من باب الشمال، ويُعد من أشهر الفنادق التي بناها المرابطون وتُمَتَّ تسميتها بهذا الاسم لكثره ممارسة حرفة صناعة الشمع بالقرب منه⁴، مما لا شك فيه أنها كانت عاملاً مهماً في تحقيق الثراء والرخاء الاقتصادي مما جعلها محل اهتمام الحكام وأكابر التجار.

كما نوهت المصادر إلى ضرورة بناء الفنادق داخل سور المدن لتوفير الحماية والأمن مع وجوب التأكيد على أن يكون الجدار سميكاً وأن تكون مواد بنائه من المواد الجيدة كالحجر والأجر، وغالباً ما كان له باب واحد يتميز بالصلابة ويؤدي مدخل هذا الباب إلى ساحة كبيرة بها

¹ ابن حوقل، ج 2، المصدر السابق، ص 432.

² محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 254.

³ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 642.

⁴ عمر بلوط، المرجع السابق، ص 91-92.

عديد الممرات تضم مجموعة من الغرف وال محلات الخاصة بالتجار، ونظراً لكون السور ضرورة أساسية لبناء الفنادق، نجد إشارات ذلك في بعض الاتفاقيات مثل اتفاقية مملكة أرغون مع تونس حيث جاء في بند الاتفاقية أن تكون الأسوار في فنادق تونس وتحديداً فندق الصقلين، حيث لا يمكن الدخول إليه إلا من بوابة الرئيسية، كما أن ما تضمنته الوثائق الأرشيفية للعلاقات بين ضفتي البحر المتوسط قد بيّنت مدى تأثير المعاهدات التجارية المبرمة بين دول المغرب الإسلامي والممالك المسيحية على تصاميم المعمارية للفنادق رغم أن الشكل الهندسي لهذه المؤسسة العمرانية غير معروف بدقة في هذه الفترة ولكن من خلال رصد بعض المؤشرات التي وردت في المصادر التاريخية المتداولة يمكن تثبت أن الفنادق كبنيات ذات تصاميم عمرانية لم تختلف عن بعضها كثيراً، غالباً ما كانت تأخذ شكل بناء دائري أو مستطيل له باب رئيسي للدخول والخروج ويبدو أنه كان لكل جالية وجماعة مقيمة فندق خاص، و كنتيجة لذلك نصت بعض المعاهدات على امتلاك كل جالية مسيحية لفندق خاص بها¹.

وقد كانت الفنادق ضرورية في المدن الإسلامية لكنها في بعض الأحيان كانت تتسبّب في إزعاج وأضرار للجيران ومن ذلك ما ورد في نوازل الونشريسي حول مسألة في ثلاثة جيران بني اثنان منهمما في منزليهما فنادقين للمسافرين فوقع ضرر للجار الثالث جراء ذلك كون المنازل الثلاثة تقع في زنقة ضيقة وليس بين أبواب الفنادق والمنزل إلا نحو ثلاثة أذرع²، نظراً لكثرة الوارد، فأجاب أهل العلم أن له القيام إذا كان الضّرر بشرط إذا لم يمض من ذلك من الأمد ما تكون فيه الحياة إلى مثله وهو ساكت لا يغير فيلزم بذلك ولا قيام له بعد هذا إذا لم يكن لذلك الأمد اليسير³.

يتبيّن إذن من خلال ما سبق ذكره أن مؤسسة الفندق قد أدّت عدّة وظائف، مما جعل نمطها العماني مميّزاً يعكس الفهم العميق لاحتياجات المجتمع الاجتماعية والاقتصادية وقد أدى ذلك إلى ظهور نمط عماني خاص ببلاد المغرب وفقاً لمتطلبات المجتمع.

¹ مسعود كريوع، المرجع السابق، ص 645-648.

² الأذرع، جمعها أذرع وهي ما بين طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى، ينظر: ابن منظور، ج 8، المصدر السابق، ص 93.

³ الونشريسي، ج 9، المصدر السابق، ص 41-42.

و: القنطر والسدود:

شكل بناء القنطر والسدود المائية أهمية بالغة في بلاد المغرب الإسلامي منذ القدم نظراً لكون هذه المنشآت من المرافق الحيوية المشتركة بين أفراد المجتمع، كونها جسوراً تسهم في تسهيل الحركة كما أسهمت السدود في التخزين والحفظ على المياه وللحاجة الماسة إليها في الزراعة خاصة وأنَّ بلاد المغرب الإسلامي تُعرف بتنبذب عملية تساقط الأمطار وعدم انتظامها لعدة اعتبارات، ولم يقتصر دور هذه المنشآت في الوظائف العملية بل عكست التطور العمراني الذي بلغه المغرب الإسلامي خلال الفترة المدرستة.

كما لا يمكن فصل موضوع المياه عن المناخ وعن العمران بالمغرب الإسلامي فال المياه تقل في المناطق الجافة مما يسبب الخصومة والمشاكل التي تتعلق بتوزيعه بين العامة في البوادي والمدن، فأهل البوادي حاجتهم له في السقي بينما أهل المدن استعمالهم له في الشرب والصناعة لذلك وفر تشييد هذه المنشآت حل عديد المشاكل الاجتماعية، والمأثور منذ القدم أنَّ البناء والتعهير يتواتر حيث توفر المياه لذلك كان بناء المنشآت المائية يسهم في التحكم في المياه وتخزينها واستغلالها حسب الحاجة وقد اكتسب المرابطون خبرة كبيرة في تشييد هذه المنشآت دفعت بها حاجتهم إلى المياه ودرء أخطار الفيضانات¹، ونظير أهمية هذه المنشآت في الحفاظ على العمران من الخراب وتسهيل حركة المرور بين العامة، كما تسهم في تنشيط الحركة الاقتصادية لذلك عمد المرابطون لتشييد مجموعة من القنطر بالمغرب الإسلامي أبرزها قنطرة وادي تانسيفت على بعد أربعة أميال من مراكش وصفها صاحب المعجب بالقنطرة العظيمة²، وذلك ربما لشدة تماسكها وقوتها تدفق المياه الجارية تحت القنطرة مما يعكس استقرارها ودورها في الرابط بين ضفتى النهر.

¹ سامي محمد نوار، *المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي* دراسة أثرية معمارية، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 1999، ص 8- ينظر أيضاً: محمد السيد أبو رحاب، *العمائر الدينية والجنازية بالمغرب في عصر الأشرف السعديين* دراسة أثرية معمارية، ط١، القاهرة ، دار الأزهر، 2008، ص 218-219.

² عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 262.

والجدير بالذكر أنّ فترة بناها كان في عهد علي بن يوسف حيث بلغ طولها 400 متر ترتكز على واحد وعشرين قوساً مبنية بمادة الأجر والجير ولم تتمكن من الصمود لفيضان النهر حيث تهدمت وأعيد تجديدها في العهد الموحدي وتحديداً سنة (566 هـ - 1170 م) في فترة حكم يعقوب المنصور¹.

ثانياً: العمارة المدنية في عهد الموحدين

أ: بناء المدن:

قام الموحدون بتأسيس عديد المدن المستحدثة وتطوير بعض المدن القائمة وخاصة المدن التي لعبت دوراً حضارياً مهماً في الفترة المرابطية، وكان ذلك تماشياً مع زيادة عدد السكان أو لتخليل أسماء السلاطين في التاريخ ومن المدن التي بناها واعتنى بها الموحدون نذكر :

مراكش:

حافظ الموحدون على العاصمة المرابطية مراكش كعاصمة لهم بعد حصارهم لها سنة (541 هـ - 1146 م) حيث تمكّنوا من دخولها، وقاموا بإضافة بعض البُنى التحتية التي لم تُعرف في الفترة المرابطية فقد استولى عبد المؤمن بن علي بجيشه على جبل إيجيلز الواقع غرب مراكش وبنى في أعلى قبة حمراء بنيت حولها مدينة كبيرة، فقد كان مولعاً بتشييد المباني الجديدة حيث أتمّ أشغال جلب الماء وصناعة السقايات بقرب دار الحجر²، وما يلاحظ أنّ عملية التخطيط تمت على عجل عقب دخول العاصمة مباشرة كما تمّ إعادة تشكيل الإطار البشري بوتيرة سريعة وتشجيع العناصر البشرية للاستقرار بالمدينة حيث وفدت مجموعات من المغرب الأوسط تتمثل تحديداً في وصول قبيلة كومية إلى مراكش واستوطنتها عام (557 هـ - 1162 م)، وفُدّر عدد عناصرها بأربعين ألف نسمة استدعاهم عبد المؤمن وأمرهم أن يركبوا كلّ من بلغ الحلم منهم

¹ إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص 225.

² ابن قنفـد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تـح محمد الشاذلي التـيفـر و عبد المجـيد التركـي، تـونـس، الدـار التـونـسـية، 1968، ص 102. يـنـظـرـ أـيـضاً: محمد عبد الله عـنـانـ، جـ3ـ، المرـجـعـ السـابـقـ، صـصـ 260ـ267ـ، رـوـجـرـ ليـ تـورـنـوـ، المرـجـعـ السـابـقـ، صـصـ 64ـ65ـ.

ويأتونه في أحسن زَيْ وأكمل عَدَّة¹، وهو رقم كبير لاشك أنه أسمهم في الدفع بحركة التعمير في المدينة والتي وفت إليها أيضا قبائل المصامدة من الجنوب ومجموعة من المغرب الأدنى وأسر معروفة من المجال كأسرة ابن دافال الورديسي وأسرة الحُمسي من تلمسان والهمذاني من مدينة وهران².

وقد عنى الموحدون بمدينة مراكش وشيدوا بها عديد المباني كالقصور والبلاطات التي خصّصت للأمراء وخدمات الدولة، كما وصف الإدريسي أزقّتها بالاسّاع ومبانيها بالسمو وكثرة أسلوافها³، فقد بنى الموحدون عديد المرافق مما جعلها ثقباً ببغداد المغرب⁴ نظير تفرد بنياتها وقصورها وتصميم بساتينها الحسنة الموزعة على أرجاء المدينة زيادة على جودة مواد البناء المستعملة فيها والمجلوبة من جبل إيجيليز⁵، وقد ساعد على ذلك الظروف الاقتصادية الجيدة والتي دفعت الموحدين بعدم الاكتفاء بتتوسيع مراكش بل قاموا بتأسيس عديد المدن⁶، وخاصة في فترة ثالث خلفاء الموحدين أبي يوسف يعقوب المنصور فالرغم من قضاء معظم سنوات حكمه في الحروب إلا أنه ترك بصمة عمرانية عكست جهود الدولة في الاهتمام بالعمارة⁷.

وقد قدم لنا الجغرافي الحميري مقارنة بين مراكش المرابطين ومرّاكش زمن الموحدين بقوله وعظمت في الدولتين وتتفاضل فيها الساكنة في البناء وبنيت فيها الفنادق والحمامات وهي أكبر مدن بلاد المغرب في الجنان والبساتين وقد استخرجت المياه في العهد المرابطي وأنتم الموحدون جلبه وصنعوا منه سقايات مما دفع الناس للاهتمام بغرس الأشجار والبساتين وأكثراها الزيتون

¹-الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 142.

²-محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 54-55.

³-الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 234.

⁴-مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 4.

⁵-إبراهيم القادي بوتشيش، دور المصادر الدفيئة في كشف الجوانب الحضارية المنسية للمدينة المغربية- دراسة تطبيقية حول مدينة مراكش من التأسيس حتى أواخر عصر الموحدين، المدينة في تاريخ المغرب العربي، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أشغال الندوة المنظمة من 24-26 نوفمبر، 1988، ص 38.

⁶-عَزَّ الدين عمر موسى، الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 44.

⁷-روجر لي تورنو، المرجع السابق، ص 76-77.

فاستغنت عنه لكثرته، حتى صارت حاضرة المغرب وقاعدة البلاد ولازالت تزيد ضخامتها إلا أن اختلت أحوالها وفشا فيها الظلم والفساد بمقتل آخر ملوك الموحدين إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن المدعو بأبي دبوس سنة (1267هـ/666م)^١.

-مدينة جبل طارق:

كان موقع جبل طارق منطلق القائد طارق بن زياد نحو فتح الأندلس سنة (711هـ/92م) وهو عند الجزيرة الخضراء وسميت المنطقة باسمه^٢ وفي العهد الموحدي أمر عبد المؤمن بن علي وهو بالمغرب الأدنى ببناء مدينة بجبل الفتح وتحصينها وكان ابتداء البناء في التاسع من ربيع الأول (555هـ/1161م) وتم الانتهاء من البناء في ذي القعدة من نفس السنة^٣، وكان الهدف من بنائها حسب مؤرخ الموحدين ابن صاحب الصلاة أن تكون منزلاً للأمراء عند جواز الجيوش والعساكر ومقرًا عند تقدم الرّايات المُظفرة نحو بلاد الروم^٤، والموقع له أهمية حربية كبرى أدركها الموحدون ومكثتهم من الاحتفاظ ببلاد الأندلس لفترات طويلة.

حصلت مبالغ مالية كبيرة للبناء فتم انتداب خيرة البنائين والنجارين والمختصين بقطع الحجارة^٥، وقد أشرف أبو سعيد عثمان ابن الخليفة بنفسه على العملية حيث سافر من غرناطة إلى جبل طارق مع عساكره وطلبه إشبيلية، كما تم استشارة الشيخ أبي حفص وإسحاق بن بزار وال حاج يعيش المالقي والقائد عبد الله بن خيار عن مكان البناء^٦، وما يستنتج هو سرعة الاستعداد والاستفهام في عملية الإعداد لبدأ التشييد، فقد تضافرت الجهود في إحكام البناء من قصور مشيدة والدّور والأسوار العجيبة المرصدة بالأبواب وأشهرها باب الفتوح، استمرت عملية البناء شهوراً بعدهم مضاعفة حتى كملت عملية البناء على أحسن وجه ولم تتقطع المراسلات أثناء عملية البناء بين السيد أبي يعقوب وال الخليفة وتم الاتفاق على موعد قيوم الخليفة إلى المدينة وكان ذلك في

^١الحميري، الرّوض المعطار، المصدر السابق، ص ص 540-541.

^٢الحميري عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، تعليق ليافي بروفيسور ، دار الجيل، بيروت، 1988 ، ص 121.

^٣ السلاوي، ج 2، المرجع السابق، ص 140.

^٤ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامية تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تج عبد الهادي التازي، ط 3، دار الغرب الإسلامي، 1987 ، ص 84.

^٥ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 121.

^٦ ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 85.

شهر ذي القعدة من سنة (556هـ/1161م)¹، حيث كان يوماً مشهوداً احتشد فيه الناس لرؤيه الخليفة وظهر فيه من فخامة الملك² وقد استحسن الخليفة ما رأه من تمام البناء وأمر بالاحتفال والإلعام علي البنائين والصناع، كما وفد على الخليفة القضاة والخطباء والشعراء مُبَايِعِينَ وَمَهْنَئِينَ بهذا الإنجاز³.

-مدينة البطحاء :

تم بناء هذه المدينة من طرف عبد المؤمن بعد عودته من فتح المهدية سنة (555هـ/1159م)، وهي مدينة عظيمة ببلاد المغرب الأوسط بنواحي مدينة الشاف حالياً في وطأة من الأرض ويتطرق إليها مدينة السدر⁴، ويعود سبب بنائها إلى أنّ الموحدين لما طالت مدة إقامتهم بالشرق والتعرّب عن أوطانهم عزمت مجموعة منهم على التّل من عبد المؤمن وقتله في خبائه أثناء نومه فأطّلعت أحد الأشياخ عبد المؤمن بما دُبِّر له وطلب منه أن يقتده وأن يتركه ينام في فراشه، فإن فعلوا ما اتفقا عليه يكون قد فداه بنفسه فلما أصبح الصبح وجد الرجل مقتولاً، فأراد عبد المؤمن تكريمه لصنيع فعلته وحمله على ناقة لا يقودها أحد حتّى برّكت وحدها، وتم دفن الرجل في هذا المكان وبنّيت عليه قبة وبني بجوار القبة مسجداً ثم أمر عبد المؤمن ببناء مدينة حول المسجد وترك بها عشرة أهل بيت من كل قبيلة من قبائل المغرب⁵.

-مدينة تازة :

يعود تأسيس المدينة إلى سنة (529هـ/1135م) على يد عبد المؤمن بن علي وهي من أوائل المدن التي بناها الموحدون في الممر الواسع بين مدينة فاس والجانب الشرقي للمغرب الأقصى وبها عديد الآثار التي مازالت إلى اليوم⁶.

¹-الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 121. ينظر أيضاً: عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 381.

² ابن صاحب الصّلاة، المصدر السابق، ص 92.

³ عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 382.

⁴ مبارك الميلي، ج 2، المرجع السابق، ص 335.

⁵ السلاوي، ج 2، المرجع السابق، ص 140.

⁶ عثمان عثمان إسماعيل، ج 3، المرجع السابق، ص 151.

-مدينة المهدية:

بني الموحدون مدينة المهدية رباط الفتح في بداية دولتهم، وأنقذوا فيها البناء وجلبوا إليها الماء و تم بناء عديد القنطر بها ربطت بينها وبين مدينة سلا، وقد لاحظ عبد المؤمن تراجع أهمية رباط شالة بعد تمكّنه من القضاء على قبائل برغواطة، في حين استعاد رباط سلا أهميته كونه مكاناً مهماً لحشد جنود نحو عدوة الأندلس فأقام في هذا الرباط مدينة المهدية التي كانت عبارة عن معسكر للجنود وتحولت منذ سنة (545هـ/1150م) إلى مدينة نظراً لموقعها الاستراتيجي¹.

-مدينة رباط الفتح:

بني الموحدون مدينة رباط الفتح وقد كانت في الأصل عبارة عن رباط غير بعيد عن مدينة سلا التي كان يُعرف بها²، ويعود سبب تأسيس المدينة لرغبة الموحدون في تأسيس قاعدة للجيوش المارة نحو الأندلس شمالاً أو إفريقية شرقاً فوقع الاختيار على رباط الفتح الذي يمتاز بموضع استراتيجي مهم يحقق هذا الهدف بالإضافة إلى توسطها بين مراكش والأندلس³.

والجدير بالذكر أن عبد المؤمن قال لأتباعه يوماً أنكم ستبنون مدينة عظيمة ثم يضطرب أمركم ولا يبقى بين أيديكم إلا هذه المدينة التي تكون رباطاً وفتحاً للمصادمة⁴، وقد قام يوسف بن عبد المؤمن بخطيط المدينة ووضع نواتها الأولى سنة (545هـ/1150م) وأمر بعميرها ولكنه لم يكمل خططيتها، ولما تولى الخليفة يعقوب المنصور (593هـ/1197م) الحكم أمر بتسويتها وأنفق الأموال العظيمة على تعميرها حتى أصبحت تشبه الإسكندرية في اتساعها وحسن عمارتها⁵.

¹ عثمان عثمان إسماعيل، ج3، المرجع السابق، ص 150-151.

² السلاوي، ج2، المرجع السابق، ص 119.

³ عثمان عثمان إسماعيل، ج3، المرجع السابق، ص 171.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 257.

⁵ السلاوي، ج2، المرجع السابق، ص 195.

يمكن القول إنّ حُكام الموحدين اهتموا بشكل واضح بتشييد المدن وجعلوا ذلك أدلة لتبنيت سلطانهم، حيث اتبعوا نهجاً يجمع بين التوسيع الحضري والوظيفة السياسية والعسكرية وقد أكّد ذلك الباحثان الإسبانيان توريس بلباس وباسيليو بابون مالدونادو حيث أبدياً إعجابهما بإنجازات حُكام الموحدين الذين كانوا رعاة حقيقين لثقافة العمارة¹ ومن أهم إنجازاتهم القصور

ب: القصور:

يُعدّ بناء القصور في عهد الموحدين وتجهيزها من المعالم المهمة حيث عُنيت باهتمام خاص من طرف الحُكام كونها كانت تعكس قوّة الدولة وعظمتها²، ويبدو أنّ الموحدين قد اقتدوا بملوك الطوائف في العناية بالقصور والدور، فقد أورد ابن صاحب الصلاة حول بنائهم للقصور أنه لم يسبقهم في ذلك ملك من الطوائف أو من الخلفاء، منها قصور البحيرة خارج باب جوهر بمدينة إشبيلية³، ولم تكن قصور الأندلس أقلّ شأنًا من قصور مراكش وفاس وغرناطة⁴.

ويُعدّ عبد المؤمن أول من شرع في الاهتمام ببناء القصور بمراكش لتكون مقراً للحكام والأمراء، وفي عهد أبي يوسف يعقوب زاد الاهتمام بالبناء والتشييد، وفي هذا الصدد يشير صاحب الموجب أنه بعد انتصاره على الروم في مدينة شلب أمر أن يُبني له حصن على نهر إشبيلية يكون به عديد القصور والقباب، وطوال فترة حكمه لم يخل من قصر يستجده أو مدينة يأمر بعمارتها، وقد قام بزيادة عمران مدينة مراكش زيادة معتبرة فنمت له القصور على ما أراد وزيادة.⁵

وعن تصميمها المعماري فقد تأثرت بالطابع الأندلسي الذي يميل إلى الترف والاهتمام بالتفاصيل حيث نجد بها الحدائق والبرك المزخرفة، أيضاً ينتشر نظام البرطلات⁶ المطلة على البرك، ونظام

¹باسيليو بابون مالدونادو، عمارة المساجد في الأندلس غرناطة وبافي شبه الجزيرة الإيبيرية، تر، خالد بسطي، ط1، المسيلة، الجزائر، دار فيريرو للنشر والتوزيع، 2015م، ص34.

²حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 4، ط 14، دار الجبل بيروت، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1416هـ/1996م، ص 399-400.

³- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 272.

⁴-كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 152.

⁵-عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 153، 212.

⁶-البرطل: القلنسوة والبرطلة المطلة الصيفية وبرطل جعل أمام الحوض بربطيلا والبرطيل بالكسر حجر أو حديد والمقصود به هنا عبارة عن سقف يوضع أمام برك المياه. ينظر: الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 966.

القاعات المطلة على البحيرات مثل قصر البحيرة الذي بني في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بإشبيلية سنة (567هـ-1171م)^١، وما يلاحظ في الطراز المغربي كثرة الزخرفة حدة الإسراف، وتغطية المساحات بها، بشكل فني دقيق يجلب الانتباه والإعجاب لاسيما تلك الزخارف المحفورة في الجص والمصنوعة منه، كما كان للمقرنصات أهمية كبيرة في هذا الطراز^٢، وقد اندثرت قصور المرابطين مثل قصر دار الأمة الذي بناه يوسف بن تاشفين، ودار الحجر الذي بناه علي بن يوسف، وكذلك لم تبق قصور الموحدين واحتقت مثل قصر الخلافة وقصر أبي الربيع بمراكش وقصر عبد المؤمن بالرباط^٣.

ج: الدور:

تعتبر الدور النواة الأولى في بناء المدن، وعلى عكس المساجد التي تم هدمها ولم تُقام الصلاة فيها فقد سكن الموحدون ديار المرابطين وأمر عبد المؤمن بتوزيعها بعد سقوط مراكش^٤ وبنىت أخرى وقد اختلفت طريقة بنائها من مكان لآخر حسب الإمكانيات المادية والبشرية والاقتصادية، فخلال فترة حكم الخليفة أبي يعقوب عرفت المنازل أهمية متزايدة في مدينة مراكش العاصمة بلغت حد التشبع، وهو ما عبر عنه ابن عذاري بقوله: "فضاقت بالناس فلم يجدوا موضعًا للبناء ولا محلًا للسكنى"^٥، مما يظهر أن المدينة أصبحت محل جذب لمختلف القبائل وأصحاب الأموال الذين تفاخروا في سُكنها "وابتتوا بمراكش الديار العتيقة"^٦، أما في مدينة فاس فقد اشتهرت بكثرة تشييدها للمباني السامية والدور التي لاقت اهتماما كبيرا من طرف أهلها^٧.

أما في ما يخص العناصر المعمارية للدور، نجد أنها تمثلت في الباب الذي كان يمثل نقطة الفصل بين داخل الدار وخارجها والدهليز، وهو مدخل الدار ويُعرف أيضًا بالأسطوان ويصل بين الباب الخارجي للدار وبابها الداخلي الذي يؤدي مباشرة إلى الساحة أو مربعة الدار،

^١-السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 102.

^٢-كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 165.

^٣-عثمان عثمان إسماعيل، ج 3، المرجع السابق، ص 173.

^٤-مجهول، الحل الموسوية، ص 143.

^٥-ابن عذاري، المصدر السابق، ص 153.

^٦-ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 266.

^٧-الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 42.

وهي عبارة فناء مفتوح تشكل مركزاً للدار وهي في الغالب ذو شكل مربع أو مستطيل من أهم وظائفها الوظيفة الصحية حيث تتزود الدار بالقدر الكافي من الهواء والضوء وأشعة الشمس وكان اتساع مساحة فناء الدار ميزة للسكن الرّاقِي بالعاصمة الموحديّة^١، فقد كان في دار ابن جامع وهو أحد وزراء الموحدين ساحة تلعب فيها خمس مئة جارية^٢، وهو عدد كبير يعكس مدى اتساع هذه الدار وعدد الغرف المحتمل وجودها فإن كانت الغرفة تسع عشرة جوار فإنّ عدد الغرف سيفوق الخمسين غرفة وهو رقم كبير يعكس مدى التنافس في بناء الدور والتأخر بها.

وما يُلاحظ أنَّ معظم الدور كانت تتوفّر على المرافق الأساسية التي تتطلّبها مستلزمات الحياة وبالأخصّ وجود بئر والمطبخ والمرحاض والمخازن، أمّا المرافق الثانوية كالحمام والمكتبة والخزانة والبساتين فكانت محصورة في فئة الأغنياء والموسرين^٣.

د: الأسواق:

كانت الأسواق قبل العهد الموحدي تتّخذ أشكال دكاكين متلاصقة مُكونة شوارع يفصل بين الشارع والآخر ممرّ، وفي الفترة الموحديّة تحولت إلى إنجازات معماريّة أكثر تنظيماً في شكل أحياط أطلق عليها القيسارية^٤، والتي كانت عبارة عن مركز تجاري أكثر تخصيصاً وتنظيمياً وقد انعكس ذلك على مظهره العماني فقد كانت أسواق مدينة مراكش تجتمع في ترتيب متناسق مشكلة مظهراً عمرانياً حسناً، وكان بناؤها بالأجر الفخاري تكون غالباً مغطاة بالقصب والأخشاب،

^١ محمد رابطة الدين، ج 2، المرجع السابق، ص 22-24.

^٢ العمري، ج 4، مسالك الأبصار، ص 201.

^٣ محمد رابطة الدين، ج 2، المرجع السابق، ص 25.

^٤-القيسارية: كلمة من أصل يوناني أو لاتيني وجمعها قيساري، ويشير المصطلح إلى معنى السوق، وهي مستمدّة من مصطلح القيصرية بمعنى سوق القيصر فهي بالتالي خاضعة لحاكم، ويفسرها البعض بأنّها السوق ذات الطابع التجاري، وهي مؤسسة تجارية عامة تتكون من فناء تقام فيه الحوانيت والمصانع، توجد في وسط المدينة يوجد حولها سور، وأقدم القيساريّات الإسلاميّة هي تلك التي بناها الخليفة عبد العزيز بن مروان بالفسطاط مثل قيسارية العسل وقيسارية البز والقنايد وأصبحت في العهد الفاطمي من أهم عناصر التخطيط للمدينة الإسلاميّة. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 242.-عمر بلوط، المرجع السابق، ص 79.

وهو ما شهده أسواق مدينة فاس حيث أشار الوزان إلى أن سوق العطارين كان مغلقا من طرفيه ببابين جميلين لا تقل مسانتهما عن فخامتهما¹.

واعتمادا على ما ورد في جزئيات المصادر يتضح أنها كانت أسواقا متخصصة وقد تعددت واتسعت خريطة توزيعها مقارنة بما كان عليه الحال في زمن حكم المرابطين، مما يجسد رؤية الدولة الموحدية وتشجيعها لهذه المنشآت، وهو ما نوهت المصادر التاريخية به فقد كانت قيسارية مراكش من أعظم القيسariات، حيث قام الخليفة أبو يوسف المنصور ببناء الأسواق واستقدم التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبق في عمارة الأرض أعظم منها، وأمر بتشييدها مع بداية سنة 1189هـ/1211م².

ويبدو أن بناءها قد استغرق وقتا كبيرا نظرا لكبرها وتعذر مكوناتها المعمارية ومن ضمنها الأسواق، التي لم تحدد المصادر عددها أو اختصاصاتها وباستحضار أسواق قيسارية مدينة فاس المرينية الخمسة عشرة يبدو أن أسواق قيسارية مراكش كانت قريبة من هذا العدد³، مما جعلتها قيسارية عظيمة وفقا لابن عذاري بقوله: "كانت كالمرأة في وجه القصر تضي به من أكتافه"⁴.

كما أن قيمتها الاقتصادية كوحدة تجارية عكسه إحراقها عام 1211هـ/1211م⁵، حيث يقول ابن عذاري واصفا كيف آلت الأوضاع بعد إحراقها: "وافتقر فيها أمّة من ذوي اليسار، وأصبحوا يتکفّرون الناس حيال على الأقطار"⁶، فضلا عن ذلك اهتمام الحكام بها والسعى إلى تنشيطها عن طريق استقدام التجار إليها أو الإشراف على معالجة مشاكلها كما وقع في فترة الناصر حين احترقت دفع بالتجار إلى التنافس على الحصول على مكان فيها لإيداع الأموال فيها وتخزينها، ورغم تعرضها لحريق عام 1211هـ-1211م فقد أعيد بناؤها بأمر من الخليفة الناصر، ومن

¹- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 242.

²- مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 210.

³- ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 258. ينظر أيضا: محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 257.

⁴- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 258

⁵- محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 257.

⁶- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 258.

غير المستبعد أنها واصلت نشاطها بعد ذلك، حيث تم نهباً سنة (1211هـ-664م) من قبل قبائل هسکورة واستولوا على أغلى ما فيها وقاموا بحرقها وبذلك تم نهباً وتخريبها.¹

ويمكن تصنيف هذه القيسارية ضمن المنشآت التجارية التي أقامها الموحدون، وقد أرجع الباحث محمد رابطة الدين أنّ موقعها كان في شمال شرق تامراكتشت عند مكان التقاء تامراكتشت بجهة باب الصالحة، وهو موقع جغرافي يوفر جملة من الامتيازات للنشاط التجاري للقيسارية، من ذلك قربها من منفذين خارجيين لتسهيل التبادل مع خارج مدينة مراكش بما باب الصالحة وباب الرّبّ، إضافة إلى توفر الأمان بالمنطقة التي بُنيت بها، كما أنّ موقعها كان وسط ثلاثة تجمعات بشرية مهمة بمدينة مراكش العاشرة وهي تامراكتشت وحومة أكادير والمدينة المرابطية وهذا مازاد من قيمتها سواء ما تعلّق بتوفّر اليد العاملة أم الاستهلاك.²

وقد وفر التجار مكاسب كبيرة وراء هذه المؤسسات العمرانية ذات الطابع التجاري كما وضعت لها شروط للكراء والانتفاع بها، يبيّن أنّها كانت في مصلحة المالك أكثر من النّاجر والصانع، فكان مالكها يشترط على الصانع بناء ما يحتاجه المحلّ، فعلى سبيل المثال كان بناء الرّحى أو الحمام أو الفرن أو تصليح ما هو قائم من مهمّة المُكتري، كما اشترط في بعض الأحيان عدم المساس بالبناء القديم وتركه على حاله التي كان عليها عند بداية العقد وبهذا كان المالك يشترط شروطاً وفق ما يخدم مصلحته.³

وقد خصّص الموحدون مؤسسة إدارية⁴ يقوم عليها مشرفون⁵ لمتابعة ومراقبة الخلافات التي تقع بين الطرفين، فنجد لقب رئيس الصناعة عريفاً أو أميناً، والذي كان من مهامه أيضاً جمع

¹-محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 258.

²- المرجع نفسه، ص 256-257..

³هناه محمد عبد الحميد الفقي، المرجع السابق، ص 91.

⁴-ونقصد بها إدارة الحسبة وهي من الاختبار فيقال احتسبت فلان أي اختبرته واحتسب فلان أي أنكر ما قام به والنساء يحتسبن الرجال أي يخترونه ومنه كان المحاسب يراقب ويختبر التجار. ينظر: ابن منظور، ج 1، المصدر السابق، ص 317.

⁵-أطلق على من يتولى جهاز الحسبة المُحتسب قبل فترة الموحدين الذين أطلقوا عليه لقب أمين السوق، وأصل الحسبة شرعاً هو الاحتساب وطلب الأجر عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنظر في المظالم والوقوف ضد الغشاشين والمدلسين فيما يباع ويشترى، ورفع الضّرر عن الطرق بإزالة ما يعيق المارين وتنظيف

الصّرائب ثم يصل إلى مرتبة عريف العرفاء أو شيخ العرفاء، وقد لقب بها البناء الماهر شيخ عرفاء البناء الذي برع في صناعة البناء وكذلك العريف علي الغماري¹.

والجدير بالذكر أن المحتسب قد أُسندت إليه مهام كثيرة إضافة إلى مراقبة الأسواق، فكان يشرف على الصناع والحرفيين كما تم توكيله بتحكيم قانون العرض والطلب في المعاملات التجارية ومراقبة جودة الصناعة، فولاية الحسبة ولاية عامّة كولاية القضاء²، وقد فَصَلَ فيها الفقيه السقطي المالقي المعاصر للفترة المدروسة وأَلْفَ فيها كتاباً خاصاً بها، وقد ذكر في بداية كتابه أن ما دفعه لتأليف كتابه هو فساد الباعة والصناع في الأسواق ويبدو جلياً دور المحتسب في مجال العمارة، حيث ذكر أن محتسباً في الكوفة لم يترك مؤذناً يؤذن الآذان في منار المسجد إلا وهو معصوب العينين، من أجل حرمة ديار الناس وعدم اطلاعهم على خصوصيات المنازل، كما ذكر واقعة غريبة وقعت بمراكمش سببها أن مؤذناً رأى عند أدائه جواري أحد البيوت في الصحن يطفئ على مالكهم، فنادى غُدرتم يا مسلمين فتسابق الناس إلى الدار ووَقَعَتْ رجّة وهيشة عظيمة في المدينة بسبب اطلاع المؤذن الذي مكر بصاحب الدار³.

-أنواع الأسواق في الفترة الموحدية:

عرفت دولة الموحدين تنوعاً في الأسواق حيث أَدَّت دوراً مُهماً في حركة الاقتصاد يمكن تصنيفها حسب طبيعة النشاط الذي أَدَّته والتخصص الذي عرفت به:

الشوارع والأزقة ومنع البناء الذي فيه ضرر فالمحاسب كان له دور في تنظيم العمارة والكثير منهم كان متضلعماً في أحكام وفقه البناء، وقد جُعل جهاز الحسبة لما رفه عنه القضاة ولذلك كانت رتبة الحسبة أقل من رتبة رفع المظالم التي يتولّها جهاز القضاء ينظر: التوييري، ج 6، المصدر السابق، ص 291-295، - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 208.

¹ هناء محمد عبد الحميد الفقي، المرجع السابق، ص 95.

² محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج 2، تتح محمد الحبيب ابن الخوجة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004، ص 420.

³ السقطي المالقي، آداب الحسبة، تتح ليفي بروفنسال وكولان، باريس، إرنستو، 1931، ص 1-8.

- **أسواق ذات تجارة زراعية:** سيطرت عليها مجموعة من الشروط أهمّها القرب من مراكز الإنتاج¹، وهي بدورها يمكن تمييز نوعين منها هما:²

-**أسواق خارج أسوار المدينة، مثل سوق العوادين وسوق البقر والغنم.**

-**أسواق داخل سور المدينة مثل سوق الحبوب المعروف بالرحبة وسوق القشاشين.**

-**أسواق ذات تجارة حرفية:** من مميزاتها أنّ موقعها كان داخل سور المدينة وأغلبها كان في وسط المدينة ولعلّ ذلك إلى الجانب الأمني، وأيضا فالحرف تكون غالباً في المدينة لتوفير ما تحتاجه الرعية، كما تميّزت عن غيرها من الأسواق بالخُصُوص في الإنتاج مثل العطارين والصّباغين لبيع الحليّ وبيع التّروع ومختلف الأسلحة كالسهام والقسي وبيع مختلف الصناديق الخشبية والحرير والأواني النحاسية وكان فيها مكان للكعكين لبيع الحلوى وغيرها من مُجمل الحرف³.

-**أسواق الحومات:** وسمّيت أيضاً بالسوقة وهي تصغير لكلمة سوق، ومنها سوقة لبيب، عنصر من مكونات الحومة، وظيفتها اقتصادية، تهدف إلى تلبية حاجيات استهلاك الساكنة للحومة، من مميزاتها عدم التّخصُوص وجود أشياء متعددة بها⁴.

هـ- الفنادق:

شهد تخطيط الفنادق في بداية العهد الموحدي تشابهًا كبيرًا من حيث تصمييمها المعماري لفترة المرابطين وهي الفترة التي سبقت تأثير هذه المباني بالنّمط المعماري للفنادق الأوروبيّة حيث كان لاستقرار التجار المسيحيين بالمدن الساحلية للمغرب الإسلامي، واستثمارهم للأموال في تجارة المغرب والتي أكدتها المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين السّلطنة الموحدية والممالك المسيحية دوراً في هذا التّغيير، ففي فترة ما قبل الموحدين، لم يتأثر الفندق بشكل كبير بالنّمط الأوروبي، حيث لم يختلف تصميمه المعماري عن فنادق بلاد المشرق، فقد كان شكله مشابهًا لها

¹ محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 254-255.

² ابن عذاري، المصدر السابق، ص 320-326.

³ عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 155-156.

⁴ محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 256.

إذ يتكون من مبني مربع الشكل كبير الحجم يتألف غالباً من ثلاثة طوابق، تُخصّص الأرضية للدّكاكين وتخزين السلع والحمامات، إضافة إلى أماكن تواجد الحيوانات، كما وُجد بها الأفران، أمّا الطّابقان الثاني والثالث فيُخصّص للنّوم وراحة التجار حيث كان عدد الغرف يزيد عن مائة وعشرين غرفة وفي كل فندق صهريج وميضاة للاغتسال تستقرغ مياهها بطريقه حسنة عبر بالوعات متقدمة الصّنع¹، وهذا يعكس تقاليد العمارة المحليّة في منطقة المغرب الإسلامي خلال الفترة المدرستة.

وخلال عهد الموحدين، ارتبط بناء الفنادق بتطور العلاقات التجارية بين الموحدين والممالك المسيحية، فأصبحت الفنادق مؤسسات تمثل القنصلية للممالك المسيحية التي كانت تربطها علاقات تجارية مستمرة ببلاد المغرب، ولهذا جاءت معظم الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدت بين الطرفين على توفير مكان الإقامة لفترة محددة في المواسم التجارية والتمثيل القنصلي لتبادر منها إدارة شؤونها السياسيّة والاقتصاديّة، كما أنّ هذه الاتفاقيات والمعاهدات التجاريّة أسهمت في تنظيم شؤون الجالية المسيحية، وهو ما قد يكون سبباً في دخول النّمط العمراني الأوروبي ببلاد المغرب في فترته الوسيطية حيث عُرف بداية انتشار للتصاميم المعمارية الفندقية الأوروبيّة في أهم المدن الساحلية ببلاد المغرب منذ بداية القرن السادس الهجري، فالفندق المرتبط بالجالية المسيحية يعتبر مجالاً مشتركاً للسكن وقد بني خارج المدن الساحلية وله مواصفات عمرانية مختلفة عن فنادق المدن الدّاخليّة، إذ ينفتح على المدينة الإسلاميّة بباب وحيد منخفض، وهو بهذا التصميم المعماري يعتبر حصنًا يلجأ إليه التجار المسيحيون في فترات الاضطراب الأمني².

كما نصّت معظم الاتفاقيات والمعاهدات التجارية المنظّمة لحياة التجار على ضرورة التّمتع بالحرّية التّامة حيث نجد فيها فرن ومقبرة لدفن الموتى بالقرب من الفندق، حتّى لا يضطّروا للتّنقل بعيداً عن هذه المؤسسة، كما أوجّبت هذه الاتفاقيات على إلزامية بناء كنيسة لا تبعد عن الفندق كثيراً، كذلك ضمّت أماكن مُخصّصة لتنفيذ العقوبات التي كان يصدرها القنصل من حين لآخر بحق بعض التجار أو أعوانهم في حال ارتكابهم مخالفات ضد التنظيمات المعهود

¹ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 231.

² مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 644-649.

بها آنذاك، وبناءً على ما حملته المصادر في شقّها الوظيفي فإنّ الفنادق مثلت دوراً سياسياً ودبلوماسياً حيث كانت بعض الفنادق مقراً للقنصل وإدارته لعلاقات دولة ومصالحها عليه حملت تصاميمها المعمارية مقرّ سكن القنصل ومكان مباشرة أعماله، وبهذا يمكن القول إنّ هذه المؤسسة كانت بناءً متكاملاً، يوجد بالقرب منه كلّ المرافق الضرورية للحياة في حدود ما نصّت عليه الشريعة الإسلامية¹.

ونتيجة لممارسة الفنادق النشاط المالي والتجاري، أدى ذلك إلى زيادة الأرباح والمداخليل مما أسهم في انتشارها بشكلٍ واسع، هذا الانتشار ساعد بشكلٍ كبير في التطور العمراني، حيث بلغ عدد الفنادق في مدينة فاس وحدها في العهد الموحدي أربع مائة وسبعين وستين فندقاً وهو عدد كبير ومؤشر على عدم اقتصار هذه المؤسسات على الإيواء فقط كما أنّ ارتباطها بقوة النشاط التجاري وضعفه يظهر من خلال تقلّص أعدادها خلال ضعف النشاط التجاري وهو ما أكدّه الوزان حيث ذكر أنّ بمدينة فاس مئتي فندق².

الجدول رقم 02 : أهم الفنادق المشهورة في العهد الموحدي

الفترة الزمانية	الموقع	الفندق
الفترة الموحدية	مراكش	فندق السّكر
الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف	مراكش	فنادق
الفترة المرابطية والموحدية	مراكش	الفنادق

عن: المغربي التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تتح مصطفى السقا، ط 1، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م، ج 2، ص 373 و الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 541، بتصرّف

و-القناطر :

أدّت القناطر دوراً حيوياً في فترة الموحدين، فقد أولى حكام هذه الدولة اهتماماً كبيراً بتشييدها وترميمها حيث تم ترميم قنطرة تانسيفت التي بناها المرابطون لكنّها لم تُعمّر طويلاً بسبب قوّة سيل النهر، ولم يكتفوا بإصلاح ما أنجزه المرابطون بل قاموا ببناء عديد القناطر من بينها قنطرة

¹-محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص 29.

² الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 231.

في سلا مركبة على ثلات وعشرين معديةً فُرشت بالخشب، ودُعمت بالألواح حتى لا تتأثر بمرور الناس والدواب عليها، كما استخدمت في اصطياد أنواع السمك منها الشابل وغيره¹، كانت هذه القنطرة تصل بين مدینتي سلا ومدينة السيد مخلوف وقد دعمت مراكب الخشب ببناء وثيق محكم، كان عرضها حينئذ يبلغ عشرة أمتار في عهد يعقوب المنصور وامتدت إلى الجانب الجنوبي لسور سلا حيث تم فتح باب جديد أطلق عليه باب الريح²، بالإضافة إلى عديد القناطر التي شيدوها في بلاد الأندلس أبرزها القنطرة العظيمة بطريانة التي شيدت في عهد أبي يعقوب³ كذلك ذكر صاحب كتاب الاستبصار قنطرة مدينة فاس ووصفها بالكثرة ويدو أنه تم تشييد عديد القناطر فيها كون أن المدينة بها مدینتان كبيرتان يشقهما وادي فاس فتم ربط المدينتين بالقناطر لتسهيل حركة مرور الناس⁴.

ثالثاً: المرافق العامة في المغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين

تنوعت المرافق العامة في حواضر المغرب الإسلامي خلال عهد المرابطين والموحدين، وكانت تحت رعاية السلطة التي أوكلت كلّا من المحاسب وصاحب المدينة للإشراف عليها، كما أسهمت بعض الأسر الغنية في تشييدها وقد تمثلت في السقايات والحمامات والبيمارستانات وكذلك السجون وشبكة المياه ومرافق أخرى تشتراك فيها العامة وقد نصّ الشارع الحكيم على وجوب المحافظة عليها والحرص على حرمتها وشراكتها بين الناس مثل الطرق والحمامات والبساتين، وما يميّزها جمِيعاً أن ملكيتها تعود للسلطة وقد تكون ذات ذات طابع خاصّ ففي هذه الحالة تكون ملكيتها خاصة ولا تشتراك فيها العامة ونسعى إلى إبراز مدى اهتمام كلّ من المرابطين والموحدين بهذه المنشآت.

أ- السقايات والبساتين:

¹ الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 319.

² إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص 347-348.

³ محمد عبد الله عنان، ج 4، المرجع السابق، ص 72.

⁴ مجهول ، ج 1، الاستبصار ، المصدر السابق، ص 180.

بُنيت السقايات والتي تُعتبر من المنشآت المائية لتوفير مياه الشرب وسقي الحيوانات والبساتين وتخزين الماء الظاهر للشرب والاغتسال في الطرق العامة والدور والمساجد والمدارس، وقد برع المرابطون في إنشائها وأطلق عليها اسم "الخطاطير"¹، بال مقابل أبدع الموحدون في استخراج المياه وإصالها إلى المراكز العمرانية، فكان تزويد المدن بالمياه من القضايا المهمة التي حرص حكام دولة الموحدين على إيجاد حلول لها²، ففي العهد الموحدي كان في مدينة فاس لوحدها ما يزيد عن ثمانين سقاية³، وصفت إحداها والتي تقع في منطقة الجوف بالقرب من الوادي بالإتقان في البناء وكانت تملأ من الوادي كما تم جلب مائها المعروف بشدة البرودة صيفاً والدافئ في أيام البرودة، كما عرف في العهد الموحدي كثرة السقايات بالقرب من المساجد مثل سقاية جامع القرويين التي عرفت بالإتقان⁴، وقد كان وجودها بالقرب من المساجد يُسَهِّلُ لهم في الحفاظ على نظافة المسجد وتلبية حاجات المصليين من وضوء وشرب المياه في الأيام الحارة.

إلى جانب هذه السقايات كانت تتوارد البساتين لسقيها والاعتناء بها ففي فترة الموحدين قام الخليفة عبد المؤمن بغرس بستان في مخرج مدينة مراكش طوله وعرضه ثلاثة أميال فيه من كل أنواع الفواكه والأشجار وقام باستخراج عيون كثيرة لكن لكثره أشجار البستان يبدو أنها لم تف بالحاجة مما جعل عبد المؤمن يأمر ببناء سقايات لجلب الماء من مدينة أغمات⁵

ب: الحمامات

¹-الخطاطير: عبارة عن آلية وتقنية لرفع وإصال المياه إلى البساتين والدور تصنع من الخشب وتُشد بالحبال وقد أشارت المصادر بحقوق المرابطين في هذا المجال منها ماذكره الإدريسي بقوله "وماؤها مستخرج بصنعة هندسية حسنة"، وأكد ذلك ابن سعيد المغربي بقوله "وحلب إليها الماء وأكثر الناس فيها من البساتين" ويقصد يوسف بن تاشفينيننظر: القاضي عياض، التبيهات المستتبطة على الكتب المدونة والمختلطة، ج 2، تج، محمد الوثيق، الدكتور عبد النعيم حميتي، ط 1، بيروت، دار ابن حزم، 2011، ص 415. الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 233، ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تج، إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 125.

²-إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص 349.

³-الجزنائي، المصدر السابق، ص 44.

⁴-مجهول، الاستبصار، ج 1، المصدر السابق، ص 181.

⁵-مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 145.

تُعد الحمامات¹ من المنشآت المعمارية العمومية التي تقصّدُها مختلف شرائح المجتمع لذلك اهتم بها المسلمون في مدن بلاد المغرب الإسلامي ول حاجتها الوظيفية المرتبطة بدعوة الإسلام الذي دعى إلى الاهتمام بالنّظافة الشخصيّة والتّطهير ولعدم استطاعة العامة جمِيعاً على تضمين منازلهم حمامات خاصة ولما تدرّب به من أموال على مُنشئها لشدة الطلب عليها، وقد كان هذا سبباً في زيادة عددها مما استدعى تدخل السلطة لتنظيمها والحرص على تزويدها بالمياه وقنوات الصرف²، غير أنّ المصادر التاريخية لا تقينا كثيراً عن الحمامات في العصر المرابطي سواء من حيث العدد أم الوضع المعماري مع عدم وجود بقايا أثرية لهذا النوع من المنشآت ويبدو أنها كانت خاصة بالملوك والأمراء، فقد أمر يوسف بن تاشفين ببناء الحمامات عندما دخل مدينة فاس³، كما أرجع بعض الباحثين أنّ الحمام البالي (الملحق رقم 16) الواقع بالجهة الجنوبية للمسجد الجامع بمدينة ندرومة قد بني في عهد الدولة المرابطية في الفترة ما بين 488هـ-542هـ (1095-1147م)⁴، خاصة وأنّ التقنية التي بني الحمام وهندسته وتيجان أعمدته ومكان بنائه المحاذي والمقابل لمسجد ندرومة لا يُستبعد أنّه ملحق من ملاحق المسجد وبني في نفس الفترة مع المسجد⁵.

على عكس فترة المرابطين انتشرت الحمامات العامة في الفترة الموحدية انتشاراً كبيراً في المدن والضواحي فقد بلغت بناياتها في عهد الناصر الموحد (595هـ/1198م) ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وهو رقم كبير لا يخلو من المبالغة، وفي مدينة مكناسة كان عدد الحمامات في عهد الموحدين ثلاثة حمامات⁶، يبدو أنها كانت تؤدي وظيفة اجتماعية حيث كانت أماكن التقاء شرائح المجتمع

¹ الحمامات: من المؤسسات العامة التي ظهرت مبكراً في الحضارة الإسلامية نظراً لحثّ الإسلام على العسل والوضوء والنّظافة فقد بنيت في عهد الصحابة في العراق رغم أنّ هذه المنشأة لم تُعرف عند العرب في الجاهلية وربما ذلك راجع لقلة المياه في بلاد الحجاز ذي المناخ الصحراوي، ينظر: أنس ابن عادل اليتامي، *منية الساجد بشرح بداية العابد وكفاية الزاهد*، ط١، الكويت، دار ركائز للنشر والتوزيع، 2018، ص 62.

² محمد عبد السنّار عثمان، المرجع السابق، ص 221.

³ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 402-404.

⁴ محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 203.

⁵ لوحة إرشادات وزارة الثقافة الجزائرية عند مدخل الحمام بمدينة ندرومة يوم 2 شوال 1446 الموافق لـ 01 أفريل 2025، وهو من الآثار المصنفة وطنياً منذ سنة 1992.

⁶ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 402-404.

إذ يلتقي فيها العلماء والقضاة والأميون على السواء، حيث إنّ قاضي المرية أبا الحسن مختار ابن عبد الرحمن ابن سهر الرعيني دخل حماما فضايقه شخص من الجهل وأساء الأدب فأنسد يقول¹:

ألا لعن الحمام دار فإنه ...سواء به ذو الجهل والعلم في القدر

تضع به الآداب حتى كأنها ... مصابيح لم تتفق على طلعة الفجر.

وعن التخطيط المعماري فقد اتّبع بناء الحمامات نمطاً معمارياً كان في الغالب يحتوي على رواق يؤدي إلى ثلاث حجرات، حجرة المدخل لخلع الملابس وحفظها وحجرة ثانية تسمى بالحجرة الباردة مزودة بأحواض الماء والهواء الساخن الذي يمُرُّ عبر أنابيب الفخار وحجرة ثالثة هي بيت الحرارة أو الحجرة الساخنة يبلغ فيها الماء أقصى درجة حرارة يمكن تحملها، كانت الأرضية غالباً ما تُعرش بالرخام ليسهل تنظيفها أمّا السقف ففيه فتحات تتغشّها قطع الزجاج التي تسمح بمرور الضوء، كذلك استخدم كلّ من الآجر والحجر والرخام في بناء حيطان الحمامات نظراً لتحملها للمياه.²

على غرار ذلك كان هناك نظاماً مُتبَعاً في تنظيم الغرف حيث نجد في الغرفة الأولى مبرداً رطباً وفي الثانية مسخناً للاسترخاء وفي الثالثة يوجد مسخن مجفف ويكون الانتقال بينهما بالدرج وقد ضمن ذلك الاستحمام الآمن للأفراد حيث تمنع المستحم من التعرّض للبرد عند خروجه من غرفة التي درجة حرارتها مرتفعة، وهذا دليل على ما وصلت إليه درجة الرّقي في المجتمعين المرابطي والمُوحدي، والجدير بالذكر أنّ بناء ها كان في وسط المدينة بالقرب من المساجد والأسواق كما لجأ العامة إلى بناها في الدور والمنازل الخاصة، إلا أنّ هذا لم يتوفّر للجميع وذلك لكلفتها وعدم توفر المياه للجميع³.

ج: السجون:

¹ ابن سعيد المغربي، المغرب في حل المغارب، ج 2، تج، شوقي ضيف، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1955، ص 207-208.

² محمد عبد السنّار عثمان، المرجع السابق، ص ص 221-222.

³ محمدو ولد عمر، المرجع السابق، ص 180.

بُنيت السجون في الفترة المرابطية والموحدية كمؤسسات عقابية لحبس المخالفين والمعارضين، وقد أحجبت المصادر التاريخية عن الحديث عنها رغم وجود إشارات عديدة إلى تعرّض أشخاص للسجن لفترات طويلة، ومن أشهر السجون في الفترة المرابطية سجن قرقين بمراكش كان به أطباق مسقفة، ولم تذكر المصادر أيّ معلومات عنه هل حافظ عليه الموحدون أم لا¹.

أوكل الموحدون الأمور التنظيمية للسجون لقاضي الجماعة، حيث كان الخليفة المنصور يؤكّد على القاضي محمد ابن علي ابن مروان ابن جبل الهمذاني على تفقد السجناء والتّنّظر في أحوالهم وتعاهدهم بالصدقات المخصصة لهم، غير أنّه قصر في ذلك فلما وصل الأمر إلى الخليفة باحتاج السجناء وطلّبهم منه إنصافهم أمر بسجن القاضي في بيته وإعفائه من مهمّته وذلك في سنة (592هـ/1196م) وقدم بدلّه القاضي أبو القاسم ابن بقي².

إلى جانب السجون استعمل المرابطون والموحدون أحياناً أماكن أخرى لسجن الناس أو لفرض حصار عليهم كما وقع مع العالم أبي يعزى يلنور بصومعة جامع مراكش لفترة ثم تم العفو عنه، وكان بعض العلماء يمنعون من مغادرة بيوتهم ولو إلى المساجد³.

د: البيمارستانات:

ظهرت هذه المنشآت العلاجية في وقت مبكر في العالم الإسلامي متماشية مع التّطور الذي شهدته المدينة الإسلامية، حيث ظهرت في المشرق الإسلامي منذ القرن الأول الهجري عندما قام الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة (706-88هـ) ببناء بيمارستان⁴ بهدف تقديم خدمات

¹ محمد المغراوي، المرجع السابق، ص 86.

² ابن عبد الملك المراكشي، ج 5، المصدر السابق، ص 237.

³ محمد المغراوي، المرجع السابق، ص 87.

⁴ البيمارستان: بفتح الزاء والعامّة تكسرها وهي كلمة فارسية دخلة تتكون من كلمتين بيّمار بمعنى المريض وستان بمعنى دار فيكون المعنى دار المرضى أو مكان معالجتهم ينظر: صلاح الدين الصّفدي، تصحيح التّصحيف وتحريف التّحرير، ط 1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1987، ص 461.- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط 2، بيروت، دار الزاند العربي، 1981، ص 4.

علاجية وطبية لسكان المدينة، ويبدو أنه تم تخصيص أقسام وأجنحة خاصة للعلاج حيث كان هناك أمكنة للمجذومين والعميان وغيرها من الأمراض.¹

أما في المغرب الإسلامي فلم تظهر البيمارستانات مبكراً فقد قام إبراهيم ابن الأغلب ببناء بيمارستان في طرف القironان وأولى عناية خاصة للمرضى بجلب الأطباء والكتب وأطلق عليه الدمنة أو دار الحذاوى²، وفي فترة المرابطين بُرِزَ أطباء مشهورون منهم أبو مروان عبد الملك ابن أبي العلاء ابن زهر الذي لم يكن في زمانه أعلم منه في مجال الطب وقد خدم المرابطين³ سوى ذلك لم نجد ذكراً لأسماء بيمارستانات حسب ما أطلعنا عليه تم بناؤها في بلاد المغرب الإسلامي في عهدهم.

على العكس من ذلك أولت الدولة الموحدية اهتماماً كبيراً بها⁴، إذ ارتبط تاريخ البيمارستانات بحكام هذه الدولة فقد أنشأ الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور (580هـ-1184هـ) بيمارستانًا مُميّزاً في مراكش أجرى فيه المياه وغرس فيه الأشجار وقام بتزيينه بزخارف جميلة، كما خصّص له ميزانية للأدوية قدرت بثلاثين ديناراً وجعل يوم الجمعة يوماً يُزار فيه المرضى وكان يتقدّم أحوالهم بنفسه⁵، وصفه صاحب المعجب بأنه لا نظير له في الدنيا نظراً لحسن اختيار موضع بنائه ووجود ساحة فسيحة به، ومما زاد في جماله إتقان المُشيدين وحرصهم على إحكام بنائه حيث زخرف بالنقوش البديعة المحكمة مع كثرة المغروسات من الأشجار والمَشْمُومات ووفرة المياه التي ساعدت في بناء أربع برک بالرخام الأبيض، كما تم تقریش أرضيته بأجود أنواع الصوف والكتان والحرير، وكان يُعدّ للمرضى ثياباً خاصة تُستبدل بالليل والنهار⁶، من خلال هذا الوصف يتبيّن بوضوح أنَّ بيمارستان أبي يوسف يُعدّ من أهم المنشآت الصحّية

¹ محمد عبد السّtar، المرجع السابق، ص 224.

² محمود ولد عمر، المرجع السابق، ص 187.

³ ابن أبي أصيبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تتح نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت، دت، ص 519-520.

⁴ إبراهيم حرّكات، ج 2، المرجع السابق، ص 246.

⁵ الصّفدي، الوفي بالوفيات، ج 28، تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى بيروت، دار الإحياء، 2000م، ص 98.

⁶ ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 209.- ليوبولد نوريس بالباس، المرجع السابق، ص 34.

التي شيدت في بلاد المغرب الإسلامي، مما يعكس مدى الاهتمام الذي أولته السلطة الموحدية للبنى ذات الطابع الصحي من حيث تجهيزها وجلب الأطباء لها.

وفي حصاد هذا المبحث يستنتج قيمة تلك المدن المستحدثة سواء في الفترة المرابطية أم الممدوحة والتي رافقتها منشآت ومرافق ضرورية كان بناؤها غالباً يتم كتعبير عن انتصارات عسكرية¹، كما يفهم من ذلك العلاقة الوثيقة بين السلطة السياسية والعمaran وهي علاقة تأثير وتأثير كلما ارتفع خطأدهما أثر في الآخر إيجاباً، وكلما مال أحدهما إلى الانحدار مال ونزل الآخر ولاشك أن تطور العمران يكون بالاستقرار السياسي فالاستقرار عامل مهم لنمو العمران حيث تسعى السلطة لتأكيد وجودها وتثبيت انتصارات العسكرية².

رابعاً: دراسة مقارنة

أسهمت العمارة المدنية في توفير الاستقرار والمأوى للمجتمع وكانت العنصر الأول في التشييد، فكان تخطيط المدن وبناء الدور والقصور يتم قبل بناء المساجد والمرافق الأخرى، كما كانت أكثر ارتباطاً بالحياة اليومية للعامة وفيما يلي مقارنة حول أوجه التشابه والاختلاف بين العهدين المرابطي والممودي.

أوجه التشابه :

مما سبق ذكره يتبيّن بأنَّ كلاً من المرابطين والموحدين أولاً جانياً كبيراً في الاعتناء بالبناء وتشييد المآثر العمرانية المدنية والتي تتوجّع بين بناء المدن والقصور والدور وتدعمها بالمرافق والمنشآت المستلزمة للحياة اليومية كتوفير المياه وشق الطرق وبناء المستشفيات.

اهتمَّ المرابطون ببناء المدن حيث تم تأسيس مدينة أرتوني وموقع أزوكي ومدينة تبلالة والعاصمة مراكش بالمغرب الأقصى في حين تم تأسيس مدينة تاقررت ومدينة القصر ومشتى غانم بالمغرب الأوسط .

¹ عبد الهادي التازى، تصميم المدينة من خلال المصادر العربية والأجنبية، المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب الدار البيضاء، 1988، ص 18.

² سناء عطابي، المرجع السابق، ص 129-130.

أما في ما يخص الموحدين فكان لهم دوراً كبيراً في تخطيط وبناء المدن المستحدثة واقتصرت في أغلبها على بلاد المغرب الأقصى مثل مدينة رباط الفتح ومدينة البطحاء والمنصورة كما حافظوا على العاصمة المرابطية مراكش كعاصمة لهم لتتوفر مجالها على مؤهلات أمنية واقتصادية ومؤهلات طبيعية مناسبة، فعلى عكس التجارب السياسية التي سبقت الموحدين في المغرب الإسلامي والتي حرصت على تأسيس عواصم لها استقرّ الموحدون على كرسي ملکهم الذي كان عاصمة للدولة التي سبقتهم.

وبمجرد نزول جيش الموحدين على مراكش في شهر محرم سنة (146هـ-1146م) احتلّ عبد المؤمن بقواته جبل إيجليز الواقع غرب مراكش، وجعل في أعلىه قبة حمراء، بنيت من حولها مدينة كبيرة يتواصّلها مسجد وصومعة عالية، تشرف على المدينة، نزلت بها عديد القبائل، كل قبيلة حدد لها موضع خاص بها، وفيهم من إسكان كل قبيلة على حدة تجنّباً للصراعات التي قد تحدث، ومعرفة كل قبيلة لعناصرها.

تجلّى سياسة المرابطين والموحدين في بناء المدن المستحدثة أو التوسيع فيها من خلال الزيادات في المرافق العامة التي تحتاجها المدن، مثل ما لاحظناه في مدينة مراكش سواء في الفترة المرابطية أم الموحديّة من بناء القصور والدور والصهاريج، وجود الأسواق والفنادق التي كانت منتشرة في المدن الكبرى مثل مراكش وتلمسان وفاس، كما انتشرت الحمامات والفنادق لخدمة العامة.

ارتبط بناء المدن في العهد المرابطي والمُوحدي بِهِمَّةِ الحاكم، وكان للظروف الاقتصادية ووفرة الأموال والثروة دافع كبير نحو كثرة الإعمار ونشاط البناء، حيث كان للمرابطين والموحدين خزائن مالية معتبرة أسهمت في الدفع بحركة التوسيع والعمارة وكان ذلك تحديداً في فترة حكم يوسف بن تاشفين وابنه علي بالنسبة للمرابطين، أما الموحدون فكان ذلك خلال فترة خلافة عبد المؤمن ويُوسُف وبِعْقُوب المنصوري وأكثر خلافة الناصر¹، فقد وظّف الموحدون عائدات وغنائم الانتصارات العسكرية في مجال بناء وتشييد المباني الصخمة فأبو يوسف يعقوب قد قضى كل سنوات حكمه في ساحات الوجى إلا أن هذا لم يمنعه أن يكون رجلاً متقدماً ورعايا للأمور الفكرية

¹-مجهول، الحل المoshiي، المصدر السابق، ص 144.

والعمرانية فقد قام بتشييد المباني الصخمة ففي مراكش بنى مدينة خاصة لإيواء بلاطه عرفت باسم القصبة وبني بها مسجداً عظيماً وأمر بتسوير حصن مدينة الرباط وغيرها من الأعمال العمرانية التي اتسمت بالجلال والروعه والضخامة وخروجاً عن المألوف.

وقد أشار عبد الرحمن بن خلدون إلى أهمية المال في ازدهار العمران بقوله : " لا قوام للشريعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل"¹ فالثراء والغنى سواء في العهد المرابطي أم الموحدي انعكس إيجاباً على النشاط العماني، بالمقابل نجد أن تراجع التعمير واتساع دائرة التخريب أثناء اضطراب الأوضاع الأمنية كان مفارقة ثابتة أثناء العهد المرابطي والموحدي أو غيرهما من الدول الإسلامية المتعاقبة على المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وبالتالي فاستقرار الأوضاع وازدياد حياة الترف انعكس على التطور الحضاري والعماني الذي صاحب دولة المرابطين وأكملته دولة الموحدين فاتسع نطاق العمران في المغرب الإسلامي.

-القصور:

تأثر المرابطون بتوجههم الديني وقد أثر ذلك في نمط عمرانهم ورغم ذلك بنوا بعض القصور كمراكز لحكمهم في مدنهم الكبرى كمراكش وفاس كما ورثوا قصوراً فخمة عن ملوك الطوائف أثناء مرورهم للأندلس، وكانت هذه القصور تتتوفر على جميع المرافق الضرورية للحياة مثل قصر الحجر بمراكش، وكذلك أظهر الموحدون اهتماماً كبيراً بالقصور وجعلوها رمزاً لقوتهم السياسية وهيئتهم السلطانية بدءاً بعد المؤمن الذي كان أول من شرع في بنائها بالعاصمة مراكش.

-المنازل:

تشابهت الأسس العامة للدور المرابطية والموحدية حيث كانت متشابهة في التصميم وت تكون غالباً من طابق أو طابقين كما توفرت على مكونات متشابهة مثل السطوح والدهليز والمراحيض والمطامير لتخزين المؤونة كما يستنتج توفر بعض الدور على الآبار.

¹- ابن خلدون، العبر، ج 1، المصدر السابق، ص 354.

الفنادق:

يمكن تصنيفها ضمن المراكز التجارية للمدن في عهد المرابطين والموحدين وقد أدى تزايد النشاط التجاري في العهد المرابطي والموحدi إلى بناء عدد كبير من الفنادق، فمن خلال تتبع ما أمكن الوقوف عليه في المصادر التاريخية يصعب تحديد عدد الفنادق سواء في الفترة المرابطية أو الموحدية، كما يلاحظ غلبة صيغة الجمع في الإخبار عن الفنادق في الفترتين باستثناء بعض الإشارات في بعض المصادر مثل ما ذكره الإدريسي عن فنادق مدينة المرية في العهد المرابطي، فبعد ذكره للصناعات الغريبة بالمدينة من طرز الحرير الذي كان به ثمان مائة طراز والصناعات النحاسية والحديد وغيرها من الصناعات وبها أسواق عامة يقصدها التجار والمسافرون حدد عدد فنادقها بـ 970 فندقاً بقوله "أخذها عند الديوان في التعريب ألف فندق إلا

¹ ثلاثة فنادق"

ومنه كان اهتمام حكام بلاد المغرب عموماً وحكام المرابطين والموحدين خصوصاً بالفنادق لارتباطها بمختلف التطورات المالية للدولة من معاملات وأنشطة تجارية فهي مكان تجمع التجار وأصحاب الأموال علاوة أنها استخدمت كمخازن لمختلف السلع التي تحتاجها العامة والخاصة.

2/أوجه الاختلاف بين سياسة المرابطين والموحدين العمرانية في بلاد المغرب الإسلامي:**أ-سياسة المرابطين العمرانية وجهودها في البناء والتعهير:**

ليس من السهل الحكم على وجود خطة عمرانية متبعة أو عدم وجودها، سواء في الفترة المرابطية أم المحمدية، لكن من خلال تتبع الجزئيات المتناثرة في المصادر التاريخية، يمكن لنا رصد مجموعة من المؤشرات منها:

أن السلطة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي عرفت باهتمامها بالبناء وال عمران منذ القديم وكان العمران سواء المدني أم الديني أم الثقافي أم العسكري وسيلة للسلطان لتتوسيع الملك وهو ما أشار إليه ابن خلدون عن عدم إمكانية تطور أحد هما دون الآخر إذ يقول في هذا الصدد

¹ الإدريسي، ج 2، المصدر السابق، ص 562-563.

فالدّولة دون العمران لا تتطور والعمران دون الدولة والملك متعدّر فهما لا ينفصلان واحتلال أحدهما مؤثّر في احتلال الآخر¹.

فالعلاقة بين السّلطة السياسيّة والعمaran علاقه وثيقة فالسلطة هي من توفر الأمان الذي بدوره له تأثير مباشر في العمran، كما أنّ السّلطة السياسيّة هي من تخطّط وتتنظم المجال العمراني وتسعى لتأكيد وجودها وثبتت الانتصارات العسكريّة، كما أنّه نتيجة لثمرات الملك في تحصيل المبني والمساكن وقد أخضع الباحث مصطفى أحمد بن حموش ثنائية العمran والسلطان ويرى أن هناك تلازم اطّرادي بينهما²، فالسلطان يسعى للبناء والتشييد فيزدهر العمran بعده وعلى العكس من ذلك فإنّ نشوب الحروب أو وجود تهديدات أو ظلم السلطان وتعسّفه مؤذن بخراب العمran، وقلة الإنتاج في المجال الفقي خاصّة المعماري³، وما يمكن ملاحظته بالنسبة لحكّام المرابطين أنّهم أرادوا إثبات هيبتهم وسلطتهم من خلال الاهتمام بالعمارة والتشييد، غير أنّهم كانوا أدّة للتنفيذ دون مبادرة أو تعديل للاقترابات المقّدمة وذلك لحضور الطرف المرابطي والطرف الثاني العنصر الأجنبي عن صنهاجة، والذي كان دائمًا مصدر الاجتهاد والاقتراح فعلى سبيل المثال كان اختيار موقع بناء مدينة مرّاكش من طرف أشياخ أوريكة وهيلانة، وبناء سور المدينة من طرف ابن رشد الجد وإدخال الخطارات كان من صنع عبيد الله ابن يونس، على عكس أعدائهم الموحدين الذين كانت لهم المبادرة في التنفيذ فالمصادر التي أرخت للتعمير في عهدهم أوضحت أنّ الطرف الموحدي كان صاحب الاجتهاد والمعنى معًا ولا وجود لطرف آخر وإن وُجد فدوره ثانوي ومن مؤشرات ذلك ما ورد في بعض النّصوص التي أرخت لعملية البناء والتعمير منها ما أشار إليه صاحب كتاب الاستبصار "زاد فيها الخليفة الإمام وخليفته" و "بني فيها" و "ثم زاد فيه مثله أو أكثر" وجلب الخليفة الإمام المياه"⁴.

¹ ابن خلدون، المقدّمة، ج 1، المصدر السابق، ص 471.

² مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام نموذج الجزائر في العهد العثماني، ط 1، دبي، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، 1999، ص 21.

³ ابن خلدون، المقدّمة، ج 1، المصدر السابق، ص 353.

⁴ مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 209.

كان تخطيط المدن المرابطية أقل تنظيماً من المدن الموحدية خاصة فيما تعلق بالمرافق العامة التي لم نجد معلومات دقيقة حولها في الفترة المرابطية عكس عهد الموحدين أين أشارت المصادر إلى التطور الكبير في مجال تخطيط المدن وحضور المرافق العامة مثل الساحات الواسعة والبيمارستانات والحدائق والبساتين.

تميزت الأسواق الموحدية عن الأسواق المرابطية بالتنظيم المحكم مع تقسيم الأنشطة الاقتصادية.

بـ- سياسة الموحدين العمرانية وجهودها في البناء والتعهير:

اهتم الأمراء الموحدون بالعمران وأولوه شأنًا كبيراً ويظهر ذلك من خلال ما أمكن الوقوف عليه من النصوص التي أرخت للأخبار المتعلقة بذلك فبعد المؤمن بن علي كان مولعاً بتشييد المباني الجديدة كالمدن والقصور في تازة وتتمل ومراكش، فلم يكن مجرد سياسي عظيم بل كان مبدعاً ومحياً لطراز معماريًّاً أصيلاً.

وقد سار خلفاء بنى عبد المؤمن على نهجه في مجال العمران عندما تولوا الحكم حيث كانت لهم رعاية خاصة ببناء المدن والقصور سواء في المغرب الإسلامي أم الأندلس، فقد ذكر صاحب الاستبصار بعض الأعمال التي قاموا بها من ذلك على سبيل المثال هذا النص: "ومدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالاً بما زاد فيها الخليفة الإمام وخليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف"¹.

وتتجلى مؤشرات السياسة العمرانية للخلفاء الموحدين من خلال الإشارات التي وردت في المصادر منها ما أورده صاحب كتاب الاستبصار بقوله: "بما زاد فيها الخليفة الإمام" ثم يضيف أنَّ هذا: "الخليفة بنى جاماً فريداً من خلال زياداته لمساحته التي بلغت حجمه أو أكثر من ذلك ورفع فيه مناراً لم يشيد في تاريخ المسلمين مثله، ليكمل هذا المنار الابن والخليفة أبو يعقوب، كما بني فيها صهريجين عظيمين كان الناس يسبحون فيهما فلا يكاد الرجل القوي يقطع الصهريج".² وهذا دليل على كبر مساحة هذا الصهريج، كما قام بزيادة حصن للمدينة، أكمله ابنه

¹ الاستبصار، المصدر السابق، ج 1، ص 209.

² مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 209-210.

أبو يوسف كما زاد عليه مدينة أخرى بها من القصور والجوامع والأسواق والفنادق جعل من مراكش مركز جذب للتجار والساكنة لما بها من المرافق العمرانية، والازدهار الاقتصادي، فتحولت المدينة من رمضاء يكاد الطائر يسقط حولها إلى أكثر المدن عمارة وبناءً بها من الجنات والبساتين ما تستغنى بها عن غيرها.

يُفهم مما سبق أهمية المنجزات المعمارية سواء تلك المتعلقة بالزيادات في توسيع مساحات المدن، وامتداد مجال السكن بها أو المنشآت المعمارية الفلاحية الصخمة كالصهاريج لتخزين المياه وممالها من أهمية في زيادة الإنتاج الفلاحي، وهو ما جعل عبد الرحمن بن خلون يثني عليهم ثناءً عظيمًا ويرر ذلك بما أنجزوه من معالم عمرانية اصطبغت بالصيغة الدولية.

ومن هذه الأعمال تلك المدن المستحدثة والمستبورة في العمران والتي رافقتها منشآت ومرافق عامة مثل البيمارستانات والحدائق والقصور والتي كان بناؤها في غالب الأحيان يتم بعد الانتصارات العسكرية كتعبير عن التفوق الحضاري للدولة.

وهو ما أكدّه الباحثان الإسبانيان ليوبولدو تورييس بلباس وباسيليو بابون مالدونادو حيث أكدّا على أنَّ الحكام الموحدين كانوا رعاة حقيقين لثقافة العمارة وسخروا كل جهودهم وقوتهم لهذه الثقافة، وقد نالوا من خلال ذلك أن أتمّهم الأيدي العاملة من كل الاتجاهات والإثنيات، وهذه الأيدي حملت جمالاً تراشياً فنياً تجسد في العمارة الموحدية في المغرب الإسلامي والأندلس، وهو ما أكدّته معظم المصادر التي اهتمّت بشأن العمارة في العهد الموحد.

فقد كان الخليفة أبو يعقوب يكلف نفسه بتشييد المشاريع العمرانية العظيمة والصرح الجليلة التي أرخت لها عديد النصوص وجعلته أحد أبرز خلفاء الموحدين الذين اهتموا بالعمارة، ومن أبرز ما قام به إنشاء عديد القنطر في سلا و طريانة وفي فترة حكمه توافد عليه العرفاء والباحثون من أهل إشبيلية ومن كل مكان من قواعد الأندلس، ولاسيما من مراكش وفاس، واجتمع أمهر العمال من مختلف الحرف المطلوبة، كما قام بإمداد إشبيلية بالماء وجدد أسوارها وأنشأ قصبة بطليوس الشهيرة وقام بتوسعة مدينة مراكش وتزيينها، وما يستخرج من ذلك قدرة الحكام الموحدين على جلب الأيدي العاملة الماهرة وتوفير الظروف الملائمة لها ما مكّن للإبداع العماني والفتى والذي أصبح عراناً عالمياً.

- القصور:

يتضُّح مِمَّا سبق ذكره عناية كل من المرابطين و الموحدين ببناء القصور غير أنَّ قصور الموحدين جمعت بين الفخامة والروعَة أين عكست اهتمامهم أكثر من المباني الأخرى كونها تخلَّد ذكرَاهُم ومجدَهم، فعلى عكس المرابطين الذين لم يهتموا بزخرفة القصور وكانوا أكثر تقشفاً فإنَّ الموحدين بالغوا في الاهتمام بتصاميمها حتَّى فاقت قصور ملوك الطوائف وكانت أهمَّ المراكز الفنية قصور مرَاكش وفاس، وإشبيلية وغرناطة، غير أنَّ ما يؤسف له أنَّه لم يبق منها في المغرب الإسلامي إلَّا أثراً قليلاً¹.

الدور: كانت الدور في العهدين تتَّبع نمطاً متشابهاً غير أنَّ المنازل الموحدية شهدت تحسينات في التخطيط والبناء، فكانت أكثر اتساعاً مثل ما رأينا مع منزل الوزير ابن جامع فضلاً عن بعض المواد المستعملة.

- الحمامات:

مِمَّا سبق ذكره حول عناية الدولتين ببناء الحمامات فقد كانت عنصراً أساسياً في النسيج العمراني غير أنَّ الموحدين كانوا أكثر اهتماماً من المرابطين بهذه المرافق والعناية باختيار أماكنها الملائمة والإشراف عليها وتخصيص ميزانية خاصة لها.

- البيمارستانات:

أولى الموحَّدون عناية خاصة لهذه المؤسسات الاستشفائية عكس المرابطين الذين لم تصلنا معلومات عن اهتمامهم ببيمارستان، وتمثلَّ أهمَّ بيمارستان في بلاد المغرب الإسلامي ذلك الذي بُني في عهد المنصور الموحد.

¹ من هذه الآثار ماتم اكتشافه خلال التقييمات التي تمت قرب مسجد الكتبين بمراكش حيث تم العثور على بعض بقايا الجناح العائلي من قصر علي بن يوسف الذي شرع في بنائه سنة (526-531هـ/1132-1137م) بينما لم يتم العثور على بقايا قصور الموحدين نهائياً رغم كثرتها ينظر: توسيس بالباس، المرجع السابق، ص 30-31.

عرفت العمارة المدنية في العهدين المرابطي والموّحدي تطّورات ملحوظة بالمغرب الإسلامي، وتميّز كل عهد بأسلوبه المعماري الخاصّ مع تطّور ملحوظ في المرافق العامة من العهد المرابطي إلى العهد الموّحدي.

خلاصة:

يسنتج من هذا الفصل أنّ العمارة المدنية مثّلت انعكاساً للمجتمع المرابطي والمودي من الناحية الحضارية والثقافية، وقد اشتركت الدولتين في بعض الأمور كالاهتمام ببناء المدن والقصور والدور، غير أنّهما اختلفا في خصوصية التعبير المعماري حيث تميّزت العمارة المرابطية بالبساطة والوظيفية، بينما كانت العمارة الموحدية أكثر افتتاحاً وحضوراً واهتممت بالجانب الجمالي خاصّة متعلّق بالقصور والدور والمدارس والفنادق والحمامات.

الفصل الرابع: العمارة الحربية في المغرب الإسلامي في عهد المغاربة والموحدين

أولاً: العمارة الحربية في عهد المغاربة

ثانياً: العمارة الحربية في عهد الموحدين

ثالثاً: التأثيرات الأندلسية في العمارة المغاربية والمحمدية

رابعاً: دراسة مقارنة

تمهيد:

كان لموقع المغرب الإسلامي الذي يشرف على البحر الأبيض المتوسط بمساحة معتبرة دوراً كبيراً في انتشار العمارة الحربية منذ القديم، ولم تكن فترة دولتي المرابطين والموحدين استثناءً من هذه القاعدة، حيث أولت كلتا الدولتين اهتماماً بالغاً بقضايا الجهاد، مما أدى إلى التركيز على تحصين التغور الساحلية والداخلية وحمايتها من المعتدين، وهناك العديد من أشكال العمارت العسكرية وهي في الغالب الحصون¹ والقصاب² والأسوار المدعمة بالأبراج لحماية المدن والقصور والمحارس، أمّا الأبواب فتعُد جزءاً أساسياً من الأسوار تُستخدم في الدفاع والهجوم نظراً لوجود فتوحات لرمي السوائل ومزاغل لرمي التهام على المعتدين، بالإضافة إلى ذلك هناك الأبراج³ التي تعُد مبانٍ حربية قد تكون مربعة أو مستديرة، وتكون في مواضع بارزة فوق الأسوار وغيرها من المنشآت الحربية التي تُسهم في الحفاظ على الأمان وصدّ الخطر الخارجي.

وقد اعتبر الإسلام بناء الأسوار والأبراج والقصون والقلاع من الوسائل التي تساعد في حفظ النفس والمال والعرض، وهي من مقاصد الإسلام، ولهذا السبب صنفها الفقهاء ضمن البناء الواجب، خاصة إذا كانت الحاجة إليها ملحة لاستعمالها في الدفاع عن حرمات المسلمين⁴، لذلك عرفت اهتماماً كبيراً من قبل النساء وكافة أفراد المجتمع.

والجدير بالذكر أن تشييد الحصون والمحارس على حدود الدولتين المرابطية والموحدية ارتبط بمفهوم الجهاد والمرابطة في سبيل الله سواء في المناطق الساحلية أم الداخلية، لذلك ثلاحت

¹القصون: مفرد حصن، وحصن المكان أي صار حصيناً والحصن كل موضع محمي ومنيع لا يوصل إلى ما بجوفه إلا بقتال يحتمي به الناس لمناعته وعلوه يقال حصن حصين تعبيراً عن المبالغة في الحصانة والصيادي الحصون، والجوسوق شبه الحصن ينظر: ابن منظور، ج 3، المصدر السابق، ص 119. -أحمد مختار عمر، ج 1، المرجع السابق، ص 510.- كراع التمل، المنتخب من كلام العرب، تحرير محمد بن أحمد العمري، ط 1، جامعة أم القرى، 1979، ص 406.

²القصاب: مفردتها قصبة وهي جوف الحصن وقصبة البلاد مدینتها الوسطى التي توسيعها وقصبة القرية أو سطحها والقصبة في بلاد المغرب الحصن المنبع ينظر: مرتضى الربيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ج 4، ص 43.

³البرج: بناء مرتفع يعتبر عنصراً دفاعياً ملحقاً بسور المدينة كما يستخدم لدعم البناء الذي يقام فيه ينظر: محمد عبد الشّهار عثمان، المرجع السابق، ص 124.

⁴محمد عبد الشّهار عثمان، المرجع السابق، ص 121.

تدخلًّا في استخدام المصطلحات التي تشير إلى تلك المبني والمعلم المنشأ لهذا الغرض، ومن بين هذه المصطلحات: الرباط، الحصن، القلعة، القصر، المنظر، السور وغيرها من المصطلحات التي لم تفرق المصادر التاريخية غالباً بينها.

فالبكري يُسمّي المحارس رباطاً وحصوناً وقلاعاً¹، والفرق بينهما أنَّ الرباط عادة ما يكون في التّغور بينما الحصن نجده في أماكن قرب المدن وبعيداً عنها، وأحياناً يتتطور موقع الحصن إلى مدينة²، كما ذكر الفيروز آبادي أنَّ القصور هي البروج³، وهو اختلاف تنوّع أي إنَّ كلَّ واحد عَبر عن المراد بتعبير مغاير لِذِي سبقه وإنْ كان المعنيان متغييران فهما لا يتتفافيان⁴، وإنْ كانت الحصون عموماً تبني في أماكن خالية لا يتواجد بها العامة بل قد يلتجؤن إليها وقت الخطر عكس القلعة التي يسكنها الناس، كما أنَّ الحصن هو أكبر العوامل الحربية استحكاماً، وقد عرفت أسوار المدن بالحصانة مثل أسوار القиروان وفاس وقرطبة وتلمسان وغيرها من المدن في المغرب الإسلامي⁵.

وعلى الرّغم من عدم معرفتنا الدّقيقة بعدد المنشآت العسكرية الدّفاعية التي أقيمت في المغرب الإسلامي خلال فترتي المرابطين والموحدين، سواءً في المناطق الخاضعة لسيطرتهم بصفة خاصة أم بشكل عام لإعراض المصادر عن ذكرها سوى بعض الإشارات غير الدّقيقة مثل: بَنَى المرابطون أو الموحدون حصناً أو قلعة أو سورة ، فإنّا سنحاول تتبع هذه المنشآت كما ذكرتها المصادر التاريخية مع التّنبيه إلى ندرة الإحصائيات والأرقام في المصادر الوسيطية المتعلقة بالعمران خلال هذه الفترة، وذلك لعدة أسباب من بينها: الأضرار الكبيرة التي لحقت بالبنية العمّرانية نتيجة عمليات الهدم والتّخريب التي طالتها في الفترات اللاحقة، فكلما جاءت أمة إلّا ولعنت أختها، بالإضافة إلى العوامل الطّبيعية.

¹ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 691، ينظر أيضاً: محمد عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 81.

² محمد عبد السنّار عثمان، المرجع السابق، ص 106-109.

³ الفيروز آبادي، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج 2، تج، محمد علي التجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، 1996، ص 234.

⁴ مساعد الطّيّار، فصول في أصول التّفسير، ط 2، دار ابن الجوزي، 1423هـ، ص 80.

⁵ رزق عاصم محمد، المرجع السابق، ص 81.

أولاً: العمارة الحربية في عهد المرابطين:

تعتبر العمارة الحربية من العناصر المهمة لقيام الدول في الفترة الوسيطية، حيث مثّل إحدى العوامل التي ساعدت على حفظ الأمن والاستقرار، فكان بناؤها لعدة اعتبارات منها: الأمنية والدينية فلها دور كبير في استمرار وجود الدولة، كما تعكس مكانة وهيبة السلطة الحاكمة.

وقد كان المرابطون على بُيُوتِهَا بهذا الدور نظراً لاقتران قيام هذه الدولة بالغزو والجهاد، وهو ما جعلها عرضة للأخطار، ولعل هذا ما دفعهم للحرص منذ بداية عهدهم على توفير الأمن لدولتهم بتشييد هذه المنشآت والتي تمثلت في: العمارة الحربية المتشكّلة من القلاع والحسون والأسوار وغيرها.

أ: القلاع والحسون في المغرب الأقصى والأوسط

كان لقيام دولة المرابطين أثر كبير في النظام الحربي، لقيامها على بنية عسكرية فرضها المعطى الديني المتمثل في الجهاد¹، بالإضافة إلى ما عُرف من بأس وشدة القبائل الملتحمين كونهم شعباً محارباً من الترجة الأولى، وهذا ما انعكس على تشييد وبناء المنشآت الحربية التي لعبت دوراً في الحفاظ على الأمن والاستقرار.

لكن تجدر الإشارة أنَّ المرابطين في بداية تشَكُّل دولتهم لم تكن لهم دراية بفنون الحصار، نظراً لطبيعتهم البدوية وبيئةِهم الصحراوية، وكانوا يعتمدون على الإبل كحصون ويُسوقونها معهم في حروبهم²، لذلك تخلّوا أول الأمر عن بناء الحصون والأسوار، وقد أرجع بعض الباحثين سبب ذلك للاستقرار الداخلي الذي عرفته الدولة قبل ظهور دولة الموحدين، لكن سرعان ما تداركوا الأمر عندما وجدوا مراكز القوى بالأندلس عبارة عن قلاع وحصون³، فقد تمكّنوا من بناء هذه المنشآت في أماكن متفرقة في بلاد المغرب الإسلامي بهدف المراقبة والدفاع، و كنتيجة لذلك فقد

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات، المرجع السابق، ص 16.

² يوسف زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين المغرب والأندلس، ط 1، القاهرة، دار التَّوزيع والتَّشْرِيفِ الإسلاميَّة، 2005، ص 181.

³ عثمان عثمان إسماعيل، ج 2، المرجع السابق، ص 115، ينظر أيضاً: إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص 225.

بلغ عدد الحصون في جبل درن¹ أكثر من سبعين حصناً بهدف مراقبة المَصَامدة الذين كانوا يشَّكلُون الغالبية العظمى للسَاكِنة².

بالإضافة إلى ذلك تجنب أي خطر قد تشكّله بقية القبائل المعارضة للدولة كقبائل: بنو مراسن³ وزناتة⁴ ومصمودة⁵ وبرغواطة⁶، فهذه القبائل جعلت مهمة المرابطين صعبة في تحقيق السيطرة وفرض الأمن، مما استدعى زيادة حاجة المرابطين إلى هذه الحصون والقلاع، حيث أقام يوسف

¹ درن: جبل عظيم متصل بالعمارة ومبؤه من البحر المحيط في أقصى السوس وصولاً إلى جبل نفوسه وسمى بها أيضاً حيث يطلق عليه هناك جبل نفوسه، ويتصل بعدها بجبل طرابلس، وفيها ينقطع أثره، وفيه كل طريقة من الشمار وغرائب النباتات لوفرة المياه فيه وبجانبيه لكثره تساقط الثلوج عليه، مما جعل النبات دائم الخضرة ينظر، ينظر: الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 235، - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 113، -

عبد الرحمن بن خلون، ج 1، المصدر السابق، ص 76، - مبارك الميلي، ج 2، المرجع السابق، ص 238.

² محمود مقديش، كتاب نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج 1، تح على الزاوي، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988 ص 58.

³ بنو مراسن: تمكّن يوسف بن تاشفين من فتح بلادهم والقضاء على أميرهم يعلى ابن يوسف سنة (456 هـ/1064م)، ينظر: ابن خلون، ج 6، المصدر السابق، ص 246. - الناصري، ج 2، المرجع السابق، 29.

⁴ زناتة: تعد أحد أعظم قبائل البربر وهم من ولد جانا وينظر ابن خلون في العبر أنّ بطونهم كثيرة وكلها ترجع إلى ورسيك وفرني والديرت، كما تعتبر أكثر القبائل تعريبًا لاحتياكها بالعرب، ينظر، ابن خلون، ج 7، المصدر السابق، ص 7-8.

⁵ مصمودة: بفتح الميم وسكون الصاد وضم الميم وفتح الدال وهو من فرع البرانس يتميّزون بوفرة العدد من بطونهم برغواطة وغامرة وبلاطم أقصاصي بلاد المغرب اتخذوا المعاقل وبنوا الحصون وشيدوا القصور والمباني وينتمي الموحّدون إليهم، بنظر: الفلقشندى، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزَّمَان، تح إبراهيم الإبّاري، ط 2، دار الكتاب المصري، 1406-1986، ص 169.

⁶ برغواطة، قبيلة بربرية وهم شعب من شعوب مصمودة ويفهم من الكلمة أنها ليست لها دلالة سلالية وإنما المقصود بها نحلة دينية أطلقت على القبائل التي اتبعت مؤسسها صالح ابن طريف أو يونس مُدعّي المهدوية ومؤسس فرقه برغواطة و ، ينظر: محمد سليمان الطيب، ج 3، المرجع السابق، ص 820.

بن تاشفين سلسلة من الحصون لتطويق قبائل مصمودة جنوباً وبلاد غمارة¹ شمالاً وزناته بال المغرب الأوسط وذلك لرصد تحركاتهم ومنع زعزعة الأمن².

يبدو إذاً أن بناء هذه الحصون كان نظاماً متبعاً في الدولة، ابتدأه يوسف بن تاشفين الذي بني العديد منها في بلاد المغرب وحتى الأندلس، وذلك في إطار عمليات الفتح والجهاد التي كان يقوم بها والتي أشادت بها مختلف المصادر، وأجمعوا على أنَّ الجهاد كان أساساً مهماً في قيام دولة المرابطين، وخير مثال على ذلك الرسالة التي حملها والد أبي بكر ابن العربي إلى الخليفة المستظاهر بالله والتي تُشيد بيوسف بن تاشفين وما حققه من انتصارات ضد النصارى³.

وقد قام يوسف بن تاشفين ببناء عدّة حصون من أهمّها: حصن المدينة الجديدة بتلمسان في المغرب الأوسط وسمّيت بتاڭرات وتعني في لغة البربر المَحْلَة أو المَعْسِكُ، ونفس الأمر قام به بمدينة مكناس حيث تمّ بناء حصن تاڭرات، كما قام ببناء حصن في مدينة مرّاكش يلْجأُ إليه عند ظهور أي خطر، بل إنَّ بناء مدينة مرّاكش كان لتحقيق أغراض حربية فكانت كالقيروان بُنيت لتكون معسراً للقوات الزاحفة ونقطة مراقبة أمامية على مشارف جبال الأطلس⁴

بشكل عامٍ حرص يوسف بن تاشفين على حشد إمكانيات كبيرة من الجنود والمؤمن في خدمة الحصون، مما شكل أرضية قوية للمنشآت الدفاعية، نظراً لحسن اختيار مواقعها فقد روّعي فيها عديد الشروط منها: الجانب الأمني حيث تم تشييدها قرب الجبال الممتنعة، كما كانت سواحل البحار والجزر مكاناً مناسباً مثل ما قام به عبد الله بن ياسين أثناء بنائه لرباطه المشهور إلى جانب مدينة أزوكي التي وصفها البكري بالحصن وأنَّ حوالها عشرين ألف نخلة⁵، وهو رقم مبالغ

¹-بلاد غمارة، جبال متصلة ببعضها تنتهي قرب مدينة فاس تقطنها إحدى أشهر قبائل البربر وهم مصمودة الشمال وتسمى باسم والدهم غمار ابن مصمود ويقال غمار ابن اصاد ابن مصمود. ينظر: الإدريسي، ج 2، المصدر السابق، ص 532. - محمد سليمان الطيب، ج 3، المرجع السابق، ص 832.

²-حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط 2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996، ص ص 346-348.

³- إبراهيم القادي بوتشيش، حلقات، ص ص 14-15.

⁴ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 346، ينظر أيضاً: إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص 225.

⁵ البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 861.

فيه وإن أثبتت التّقنيات الأثرية على وجود المياه ووجود بقايا أثرية على مبانٍ سكنية ودفاعية تعود لعصر المرابطين الذين أمضوا فيه مدة قصيرة.¹

كما يلاحظ أنَّ يوسف بن تاشفين لم يجد صعوبة كبيرة في فتح حصنون مدينة فاس، حيث تَفَحَّص منازلها وأقام في بعضها أياماً يَسْتَعْلِمُ عنها²، ليتمكن بعدها من إخضاع حصنون وطاط، وهذا دليل على براعته وقدرته على استغلال نقاط الضعف الموجودة بهذه الحصنون.

وقد زادت حاجة المرابطين إلى هذا النوع من المنشآت مع بداية ظهور دعوة المهدي بن تومرت وذلك لتوارد عدد كبير من القوات المرابطية للجهاد في الأندلس، فتزايَد بناء هذا النوع من هذه المنشآت وذلك بشهادة أعدائهم من الموحدين، فقد أحصى البيدق ما يزيد عن عشرين حصنًا منتشرة في المناطق الجبلية في الجنوب والشمال في المغرب الأقصى والأوسط، كما لا حظ على بن يوسف أنَّ الحصنون التي ابتنأها أبوه لم تعد تكفي لتحقيق الغرض المنشود، وأنَّها مِن القِلة بحيث لم تُحل دون وثوب الفتنة فاستعان ببعض الأندلسيين في إقامة سلسلة أخرى من هذه القلاع الحصينة.³

وقد ورد ذكر حصنِي أزكي ومدينة أودغشت⁵ اللذين اتَّخذهما الملثمون كقاعدة تتطلَّق منها الجيوش لنشر الإسلام وتأديب القبائل المعارضة، فحصن أزكي بناء المرابطون لإخضاع بعض

¹- محمدو ولد عمر، المرجع السابق، ص 244.

²- ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 246.

³- حصنون وطاط: حصنون بنيت في الجبال المطلة على وادي ملوية من جهة القبلة مابين مدينة تازى وفاس ويعود أصل بين وطاط إلى بني يربنيان وهم إخوة مغراوة وبني يفرن، ينظر: ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 66.

⁴- البيدق، المصدر السابق، ص 90-93. ينظر أيضًا: حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 348.

⁵- أودغشت : محطة رئيسية لقوافل الصحراء ومدينة تجارية مهمة للقبائل الصنهاجية نظراً لموقعها في وسط الصحراء فهي تربط بين شمال الصحراء وجنوبها اتَّخذها الملك تيولوتانابن تلاكاكين عاصمة له بعدما كانت تابعة لملك غانة الوثني وجعلها حاضرة لنشر الإسلام بين القبائل الزنجية بالسودان الغربي لكن مملكة غانة استطاعت أن تستعيدها بعد وفاة تيولوتان سنة (222هـ-836م) واحتضنت المدينة بقوتها كأعظم مملكة في السودان الغربي حتى قيام الحلف الصنهاجي الثاني سنة (426هـ-1035م) بقيادة أبي عبد الله ابن يتقاوت، وبها مبانٌ حسنة ورفيعة وأهلها أخلاقٌ من جميع الأمصار ينظر: الحميري، الرَّوض المغطار، المصدر السابق، ص 64، - عباس إبراهيم حمادي و عبد الحسن كاظم عناد، مملكة أودغشت الإسلامية دراسة في أحوالها العامة (62-

قبائل جدالة التي خالفت أوامر الجهاد لاسترداد مدينة سجلماسة التي تمرّد سكانها مما دفع بالمرابطين وعلى رأسهم قبيلة لمتونة وأميرها يحيى للتحصّن بالجبل المعروف بغزارة لما يتمتع به من مميزات دفاعية منها سهولة رصد تحركات هذه القبائل وصعوبة الوصول إليها.¹

والجدير بالذكر أنَّ الأمير تاشفين ابن علي عندما تمَّ تعينه من طرف أبيه قام ببناء حصن في مدينة وهران واهتمَّ بشؤون الأندلس²، فعنيَّ بإصلاح الحصون وتحصين التُّغور، وقد غزا عدَّة غزوات توجَّت معظمها بالظُّفر على التَّصاري، وافتتح عديد الحصون جعلت عديد المصادر تخلَّد ذكرها.³

وهكذا قام المرابطون بتشييد العديد من الحصون التي استخدمت مراكز دفاعية في كلٍّ من المغرب أو الأندلس، وقد بناوا سلسلة من الحصون في المناطق الجبلية المرتفعة لمراقبة أيِّ تهديد وخطر قد تشَّكلَه قبائل المَصَامدة ومن أبرز هذه الحصون حصن أمرجو⁴ على واد ورغبة وقصبة النَّصْراني على جبل زرهون وحسن تاسغيموت⁵ عند الأطلس الكبير، وقد استغلَّ

446-673هـ/1054م)، *مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية*، مجلد 23، العدد 1، 2012، ص 205-207.

¹ شوقي ضيف، ج 10، المرجع السابق، ص 544، ينظر أيضاً: عبدوني حسينة، المرجع السابق، ص 165.

² هناك تضارب في الآراء حول تاريخ توليه فهناك من يرى أنها في سنة (520هـ/1126م) وهو تاريخ عزل عمَّه تميم، وهناك من يقول أنها في سنة (522هـ/1128م)، لقيامه بعدة غزوات ضدَّ التَّصاري في هذا التاريخ، وهناك من يرى أنه ولَّى في سنة (526هـ/1132م)، ينظر: مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 132-133.-عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 132.

³-مجهول، الحل، المصدر السابق، ص ص 121-134.

⁴ أمرجو: حصن يقع في مكان مرتفع بالقرب من وادي ورغة الذي يتفرع من واد سبو جنوب قلعة بنى تاودا، وهو من أروع ما بناه المرابطون فيما يخص العمارة الحربية في بلاد المغرب الإسلامي تزوجت فيه التقاليد المحلية مع التأثيرات الوافدة من الأندلس، وكان بناؤه في عهد علي بن يوسف، ويبدو أنه كانت فيه لمسة لأسرى نصارى الأندلس وذلك لظهور الأبراج المستبردة الشَّكل في الأسوار الأمامية، ينظر: حمدي عبد المنعم محمد حسن، المرجع السابق، ص 378.

⁵ حصن تاسغيموت، من أعظم الحصون التي بناها المرابطون قام ببنائه ميمون ابن ياسين في عهد علي بن يوسف وقد أشرف على بنائه فلكيون أندلسيون، منهم شخص يعرف بالفلكي، عرف بمناعته لوقوعه في هضبة وعرة وأبوابه الكبيرة التي تمَّ تركيبها في تينمل وتعرف بباب الفَّخَارِين، شهد هذا الحصن معركة من خلالها تمكَّن الموحدون من الدُّخُول إليه سنة (517هـ/1123م) وقتله والي المرابطي أبا بكر ابن وارصو لالمطي بعد خيانة من داخل الحصن والتي لولاها لما تمكَّن الموحدون من اقتحامه نظراً لصعوبة تضاريسه وبساطة الحامية الموجودة به في الدَّفاع عنه،

المرابطون خبرة وتقنيات أسارى التّصارى في البناء مما أسمهم في جعل جدران الحصون تميّز بالقوّة والعلوّ كما تحتوي على أبراج نصف دائريّة للمراقبة¹.

والملاحظ أنّ بناء الحصون لم يقتصر على المناطق الساحلية والجبلية فقط، بل قام المرابطون ببناء البعض منها في المناطق الصحراوية، مثل حصن أودغشت. وعموماً كانت هذه الحصون تحتوي على حاميّات قويّة مزوّدة بمختلف المؤن والأسلحة والخيل، يتراوح عدد جنودها بين مائة وخمسمائة وأحياناً تجاوز بخندق².

وقد علّ البيدق بناء المرابطين للحصون لضعفهم وقلّة قوّتهم وعدم مقدرتهم على مواجهة الموحدين، وقد ذكر هذه الحصون في كتابه تحت عنوان: "الحصنون التي بناها المُجسّمون ليجعلوا فيها خيالهم ورجالهم ويتحصّنوا فيها فلم تتقدّم من أمر الله من شيء"، ويقصد بالمُجسّمون المرابطين كما ذكر مجموعة كبيرة من هذه الحصون، أولها هو حصن تاسغيومت، وحصن انسا بني إيمادين³، حصن تافر ككونت في كيك غيغرة⁴، الحصن المتواجد في ويركان وفيه كان المرابطون⁵، وكذلك الحصن الموجود بأسكابو⁶، حصن متاع تاسنولت⁷، آسكا، كمات⁸،

¹ ينظر: البيدق، المصدر السابق، ص 45.- محمد عبد الله عنان، ج 2، المرجع السابق، ص 225-226.- ليوبولد تورييس بالباس، المرجع السابق، ص 36.

² تورييس بالباس، المرجع السابق، ص 26.

³ إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص 225.

⁴ وقعت في هذا الحصن معركة دارت بين القوات المرابطية بقيادة عمر ابن ديان والقوات الموحدية بزعامة المهدي، انتصر فيها الموحدون وكانت في حوالي سنة 518هـ. ينظر: البيدق، المصدر السابق، ص 91.

⁵ شهد هذا الحصن معركة بين المرابطين وأعدائهم الموحدين، وانهزم المرابطون بقيادة عمر بن يندوك ينظر: البيدق، المصدر السابق، ص 91.-عبدوني حسينة ، المرجع السابق، 167.

⁶ البيدق، المصدر السابق، ص 91.

⁷ يقع في جبل تينغرم أو تينلوفيق، وفيه التقى جمع المرابطين مع الموحدين ودارت معركة لمدة ثلاثة أيام انتصر فيها الموحدون وغنموا غنائم كبيرة منها الأموال والأسرى وألف وخمسمائة امرأة، ينظر: المصدر نفسه، ص 91.

⁸ لا تزال بعض آثار هذا الحصن موجودة عند مصبّ وادي سوس في المحيط الأطلسي، ولّى رئاسته معاذ ابن موسى، وكان حصناً يتواجد به الكثير من الرجال والخيول، ينظر: المصدر نفسه ، ص 92.

⁹ كان تحت إمرة القائد المرابطي إسحاق ابن ينتان الذي أبلى بلاءً حسناً عند حصار الموحدين لمراكش، ينظر: المصدر نفسه، ص 92.-عبدوني حسينة، المرجع السابق، ص 167.

تارولنت ، يكدميون¹ ، لجاغة² ، نفيس³ ، هيلانة ، هسکوره متابع آشبور ، تادلة و تاكزورت⁴ ، داي ، تاكرارت ، آصره متابع ابن عبدالله ، القلعة⁵ ، تاسغمارت⁶ ، الفلاج⁷ ، كرناطا⁸ ، تونكتايان⁹ ، الولجة¹⁰ والحسن الأخير الذي ذكره البيدق هو حصن تازغدرا متابع لجایة¹¹.

بشكل عام يؤكّد البيدق أنّه دخل بعض هذه الحصون وشارك في عملية اقتحامها من طرف الموحدين ، وبعض المصادر التاريخية كابن القطبان الذي يؤكّد وجود هذه الحصون وبالتالي كانت تابعة للقوات المرابطية¹² ، وبعد اقتحامها من قبل الموحدين أصبحت تحت سيطرتهم بِحُكم العَلَبة للأقوى ، وما يلاحظ أنّ معظمها قد بني في موقع جبلي يصعب على العدو الوصول إليها ، لذلك كانت عملية اقتحامها صعبة رغم وجود عدد قليل من الرجال فيها.

كما نلاحظ الجهد الكبير الذي بذله المرابطون في بناء هذه المنشآت العسكرية كونها دولة قائمة على قوى حربية وسياستها الاقتصادية معتمدة على الغزو والجهاد¹³ أكثر من القوى الاقتصادية الثابتة والتمثلة في الزراعة والصناعة والتجارة ، لذلك كان لزاماً عليهم إعداد هذه المنشآت والتي

¹ أوكل هذا الحصن إلى القائد المرابطي أبي بكر ابن عمر ابن ينتان . ينظر : **البيدق** ، المصدر السابق ، ص 92.

² تولى إدارته أبو بكر بن عمر المّطّي ينظر : المصدر نفسه ، ص 92.

³ كان يحرسه معاذ ابن ترونكا ويقع هذا الحصن فوق جبل نفيسة جنوب تتمال ينظر : المصدر نفسه ، ص 92.

⁴ يقعان بالقرب من قصبة تادلة الحالية وكان يشرف عليه يداليم في فترة علي بن يوسف ، ينظر : المصدر نفسه ، ص 92.

⁵ وتعرف أيضاً بقلعة المهدى وكان يشرف على هذا الحصن القائد يحيى ابن يسir ، ينظر ، **البيدق** ، المصدر نفسه ، ص 93.

⁶ كان يتزعّمه القائد المرابطي ميمون ابن صارة ، **البيدق** ، المصدر نفسه ، ص 93.

⁷ من الحصون التي ابتناها المرابطون بجنوب فاس وكان يشرف عليه مظكور ابن سلمان من بنى واريتن ينظر **البيدق** ، المصدر نفسه ، ص 93.

⁸ حصن مرابطي وكان فيه القائد المرابطي عبد الله ابن عاصمت ، ينظر ، **البيدق** ، المصدر نفسه ، ص 93.

⁹ ربما يكون الحصن الذي يحمل اسم قصبة التصراني في جبل زرهون ولا تزال فيه بعض الآثار ماثلة للعيانوكان تحت قيادة علي بن حيان ورجاله ، ينظر : المصدر نفسه ، ص 93.

¹⁰ وكان فيه القائد المرابطي محمد أكوناط ، ينظر : المصدر نفسه ، ص 93.

¹¹ من الحصون المرابطية وكان يشرف عليه القائدان الزنبريرابن عائشة ودافال ابن حوا ، ينظر : المصدر نفسه ، ص 93.

¹² ابن القطبان ، نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزَّمَان ، تتح محمد علي مكي ، ط2 ، دت ، ص 224.

¹³ إبراهيم القادي بوتشيش ، حلقات ، المرجع السابق ، ص 29.

تميّزت في الغالب بتعقيّدات عمرانية وسرعة في الإنجاز، جعل الموحدين وقادتهم في كثير من المواجهات يندهشون من قوّة المرابطين وصمود دفاعاتهم وهو ما حدث أثناء حصار الموحدين لمدينة فاس وانتزاعها من لدُن المرابطين، وكذلك أثناء حصار مدينة مكناة جعل بعض قادة الموحدين يصيّحون بكلمة "ذالمطيريا" وهي كلمة أمازيغية تعني الاندھاش من قوّة تنظيم الخصم ودقّته¹، و الملاحظة نفسها نستشفّها من رواية غازي في كتابه "الروض الھتون في أخبار مكناة الزّیتون" ، في أنّ المرابطين قاموا ببناء حصن في مدينة مكناة عندما رأوا اقتراب الموحدين منهم وأطلقوا عليه اسم تاکرارت، وكان استخدامه في التّحصين وقد ساعد هذا الحصن في عملية الدفاع حيث أبدى أصحابه جرأة وشجاعة منعدمة التّظير بزعامة يدر بن ولکوط، جعل الموحدين في حيرة من أمرهم وقاموا بحفر عدّة خنادق ليتحصّنوا بها خوفاً من معركة الهزيمة.²

من جهة أخرى هناك جوانب يجب التركيز عليها وهي مذكورة بناء هذا الحصن فحسب هذه الرواية انه شرع في بنائه عندما شعر المرابطون بدنو الخطر الموحدي وقد تم الإنتهاء منه واستخدامه في عملة الدفاع، وهذا يدل على مدى سرعة تأقلم المرابطين مع الظرف الطارئ الذي داهمهم كما يبدو أن لهم دراية ببناء هذه المنشآت الدفاعية، علاوة على ذلك فقد تم وضع مجموعة من الشروط لبناء الحصون من بينها حسن اختيار المكان وإمكانية تزويده بالمؤونة وما يحتاجه من إمدادات في حالة تعرضه للحصار.

كما تم وضع شروط خاصة للإشراف على هذه الحصون وقيادتها، منها إنشاء جيش ثابت فيها، بالإضافة إلى أن تكون القيادة العليا تحت زعامة أحد أفراد قبيلة لمتونة أو جدالة³، تجنبًا لوقوع

¹ إبراهيم القادي بوتشيش، المرجع السابق، ص 68.

² محمد ابن غازي العثماني، *الروض الھتون في أخبار مكناة الزّیتون*، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1988، ص 18-20.- إبراهيم القادي بوتشيش، حلقات، المرجع السابق، ص 69.

³ كانت المناصب العليا في الدولة المرابطية عموماً تُسند إلى القادة العسكريين وخير مثال على ذلك ما قام به يوسف بن تاشفين عندما اتّخذ من صهره القائد سير أبي بكر وزيراً له، كما أن جلّ عمال الأقاليم كانوا من القادة العسكريين، وقد وُظّف القائد العسكري أباً محمد مزلي نائب يوسف بن تاشفين على الأندلس بأنّه ظبة حسامه وسلك نظامه ولا شك في أن ذلك قد انعكس على قوّة الحصون المرابطية لخبرة القادة العسكريين واطلاعهم بمسؤوليات القيادة في الواقع التي أُسندت إليهم. ينظر: ابن بسام الشنترتي، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، ج5، تح إحسان عباس، ط1، ليبيا، تونس لدار العربية للكتاب، 1981، ص 101.- إبراهيم القادي بوتشيش، حلقات، المرجع السابق، ص ص 16-17.

الخيانة وتسليم الحصون إلى الأعداء، وهو ما اشترطه يوسف على ولده علي فيما يخص المنشآت المتواجدة في الأندلس¹، كما أن أمير المسلمين علي بن يوسف، لما ولّ ابنه تاشفين على الأندلس سنة ثلاثة وعشرين وخمسماة (523هـ/1129م) سرعان ما أمره بتنقية الحصون وسد الثغور وإنكاء العيون على أعدائه²، وأن يكون يقطا وحازما مستعدا لأي طارئ.

وعلي بن يوسف سرعان ما استجاب لقاضي قرطبة أبي الوليد ابن رشد، الذي انتقل إليه خصيصا إلى مراكش ليحثه على تجديد الحصون المحيطة بالمدن الأندلسية الكبرى، فأمر أمير المسلمين عمّاله بتعجيل إصلاح مراكز الدفاع، وقام بعزل الوالي تميم لقصديره وقلة خبرته وعيّن بدله عينعلو على غرناطة وسرعان ما أصلح الأسوار³.

-**القلاع:** أقام المرابطون سلسلة من القلاع في مواضع الجبال كجزء من استراتيجياتهم الدفاعية ومن أبرز هذه القلاع نذكر:

-**قلعة آمرجو:** وهي قلعة حصينة تحيط بها الجبال، تشرف على وادي ورغة جنوب قلعةبني تاودا ولها عديد الأضلاع تميل إلى الشكل المستطيل، يحتوي سورها على اثنى عشر برجاً نصف دائريّة ولها ثلاثة أبواب وفي الجهة الأمامية وضع برجان بينهما سور أمامي والقصبة الأصلية بها مستطيلة لها أيضاً أبراج نصف دائريّة.⁴.

-**قلعة بنى تاودا:** وقد بناها المرابطون وبينها وبين فاس مراحتان وجبل غمارة ليس ببعيد عنها وكانت بمثابة ثغراً وسداً منيعاً لقبائل غمارة ويشقّها واد يسمى بود سبو ولم يبق من آثارها شيئاً لتخريب المصامدة لأسوارها وتهدم ما كان قائماً بها وتركوه أرضاً ولم يبق منها إلاّ مكانها.⁵

¹ محمد عبد الله عنان، ج3، المرجع السابق، ص 46.

² ابن الخطيب، ج1، الإحاطة، المصدر السابق، ص 250.

³ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، بيروت، دار الثقافة، 1962، ص 30.

⁴ - ابن القطان، المصدر السابق، ص 224. ينظر أيضاً: عثمان عثمان إسماعيل، ج2، المرجع السابق، ص 121.

⁵ الإدريسي، ج2، المصدر السابق، ص 249.

- قلعة تاسغيموت: بُنيت جنوب شرق مراكش من طرف ميمون ابن ياسين¹، فوق هضبة عالية فاندمجت أساسات الأسوار مع حجارة الهضبة مما زاد من حصانتها، كما تشرف على واد أغمات وقد كانت سبب بنائها حماية العاصمة مراكش، كما تم تجهيزها بخزان كبير للمياه والمؤن ومتطلبات الحياة في حالة التعرض للحصار، تمكّن الموحدون من الإستيلاء عليها سنة (1132هـ/1132م) بعد توسيع حامية هزرجة المتواجدة داخل الحصن معهم عبر فتح الباب الحديدية ليلاً فوق ذلك ونقلت صفائح الحديد منها نحو تينمل².

- قصبة النصراني: كان بناؤها لتحقيق أهداف عسكرية، تقع فوق حافة صخرية في شرق جبل زرهون تحديداً شمال مدينة مكناس وبها أسوار ذات شكل مربع بنيت بحجارة الدبش meollons، وكان لقصبة باباً فقط تؤديان إلى الداخل وتعلوها أبراج مربعة موزعة على أركان الأسوار³.

لقد تأثر بناء القلاع والحسون بالظروف السياسية والعسكرية التي عاشتها المنطقة، حيث كان اضطراب الأوضاع الأمنية وانعدام الاستقرار بسبب الحروب المستمرة⁴، بالإضافة إلى الطبيعة العسكرية للدولة المرابطية نتيجة توجيه جل طاقاتها نحو الجهاد دافعاً نحو إنشاء الحسون والقلاع، التي استخدمت في الحراسة والدفاع وأماكن تخزين الأسلحة والأطعمة⁵.

إلى جانب الظروف السياسية والعسكرية لعب الوضع الاقتصادي دوراً محورياً في بناء هذه المنشآت الحربية، حيث سعت الدولة إلى تموين بناء هذه المنشآت عن طريق تخصيص

¹-البيدق، المصدر السابق، ص 45.

²-عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 226.

³-عثمان عثمان إسماعيل، ج 2، المرجع السابق، ص 122.

⁴-نقصد بها سلسلة المعارك بين الجانب المرابطي والمودي ورغم صعوبة جرد وحصر كل هذه العمليات العسكرية المتعلقة بالمواجهات بين الطرفين خلال الفترة الأخيرة للدولة المرابطية، إلا أن دراسة الأحداث تسمح بالخروج بانطباع يشير إلى كثافة تلك المواجهات، من خلال ملاحظة تكرار المبادرة الهجومية من الجانبين كليهما، وحجم القوى المشاركة وأهمية القيادات ووزنها وشدة الهجمات وسرعتها حيث في أقل من عشر سنوات وصلت إلى العاصمة مراكش. ينظر: محمد رابطة الدين، ج 1، المرجع السابق، ص 45-46.

⁵-إبراهيم القادي بوتشيش، حلقات، المرجع السابق، ص 17.

مُصادر تموينية وتحويل الاقتصاد من مدني إلى حربي وذلك بتعطيل بعض الخطط الاقتصادية المدنية وتوجيه الجانب المالي لخدمة السياسة الحربية.¹

والجدير بالذكر أن النّمط الاقتصادي الذي اعتمدته دولة المرابطين، كان قائماً على اقتصاد المغازي الذي يستند إلى ثلاثة موارد أساسية وهي الغنائم والضرائب والمصادرات وكلها موارد تعتمد على الحروب وغنائمها، وما يلاحظ على هذه الموارد هو عدم الاستمرارية حيث إنّها ترتكز على أسمٍ هشّة لا تسهم بشكل فعال في اقتصاد مستقرّ، حيث لا تكون فيه ركائز الاقتصاد الثابتة (الزراعة-الصناعة-تجارة) دوراً أساسياً في بناء الاقتصاد.

ولاشك أن ذلك قد أثر في بناء هذه المنشآت، ففي المرحلة الأولى لدولة المرابطين كانت هناك ثروات اقتصادية جاهزة سهلت من عملية البناء، أمّا في المرحلة الثانية حيث تم تأسيس الدولة واجه المرابطون مشكلة ارتفاع التّفقات المالية بشكل كبير لقمع الثورات الداخلية والتمرد ضد السّلطة بالإضافة إلى تفوق القوى المسيحية مما أسهم في مشكلة تزايد نضوب هذه الموارد، وجعل عملية تمويل بناء هذه المنشآت أكثر تعقيداً²، حيث كانت ترتفع الأسعار ارتفاعاً مهولاً نتيجة الحصار من طرف القوى النصرانية مثل ما وقع في مدينة بلنسية سنة (487هـ/1094م)، وقد انعكس ذلك على أسعار العقار التي عرفت أسعارها تزايداً مستمراً.³

من جهة أخرى يدل سقوط القلاع والمحصون المرابطية في أيدي الموحدين على رغبتهم الشديدة في تدمير المرابطين، خاصة بعد مغادرة عبد المؤمن لتممل بعد سنة (535هـ/1142م)، واتباعه لاستراتيجية حربية مُحكمة تتمثل في السيطرة على معظم هذه الحصون وإخضاعها له، خاصة بعد تزايد أتباعه حيث كان قبل ذلك يتحصّن في الجبال تجنّباً لمقابلة المرابطين في مواجهات مباشرة مخافة محاصرتهم في السهول كون قوّاته كانت قليلة مقارنة مع فرسان المرابطين.⁴

¹ لخميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 67.

² إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات، المرجع السابق، ص 30-21.

³ لخميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 73.-إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، المرجع السابق، ص 212.

⁴ غردانين مغنية، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة (5-11-13هـ/11-13م)

أطروحة دكتوراه، إشراف لحضرت عبدلي، جامعة تلمسان، (2015-2016)، ص 107.

وقد أتت هذه الاستراتيجية أكلها بترك عبد المؤمن الجبل والتزول بجموع الموحدين إلى السهل والمدن، حيث وجّهوا ضربات زعزعت أنقاض الدولة المرابطية وعجلت بسقوطها، وكان من ذلك عام الناظر حيث كان تاشفين يمشي بجيشه في الصحراء قبل عبد المؤمن الذي اختار جبل مزروح، وتاسفين في الوطأة وكان المرابطين يطاردون الموحدين دون قتال وقد انتظر عبد المؤمن سقوط الأمطار لكونه في أرض صلبة وتاسفين وجنه في أرض الوطأة، فلما توالت الأمطار صارت الأرض تغوص فيها الخيل وعجر المرابطون عن الحركة وانقطعت الطرق، فهلك عدد كبير من المرابطين بربادا وجوعاً وعبد المؤمن وأصحابه في مأمن¹.

وفي إحدى المعارك التي وقعت بالقرب من مراكش، قام عبد المؤمن ببناء حائط في موقع ضيق في أحد المضائق ليمعن المرابطين من المرور ويهلّكوا في الهضاب، فتقطّن تاشفين لذلك ففر نحو مراكش غير أنّ الموحدين رصدوا لهم الكمائن في الطريق فقتل عدد كبير من المرابطين، كما غنم الموحدون ثلاثة آلاف فارس وفر تاشفين إلى مراكش، مما جعل بعض القبائل تتخلّى عن دعم المرابطين وتنضمّ إلى الموحدين ومنها قبيلة جزولة². وبهذا فبناء السور كان جزءاً من التخطيط العماني العسكري رجح الفوز في المعركة لصالح الموحدين.

كان تفوق الموحدين العسكري واضح و بالأخص في فترة حكم عبد المؤمن الذي لم يترك تاسفين ابن أمير المسلمين علي بن يوسف يسترجع أنفاسه، فلم يقر له قرار وعاش أيام حكمه التي لم تتجاوز السنتين وشهرين مقهوراً، وفر في آخرها إلى مدينة تلمسان فلم يرده أهلها فقصد مدينة وهران كونها مدينة حصينة فلحقه عبد المؤمن وحاصره وألحق بجموع المرابطين هزيمة نكراء، وحاول تاشفين الفرار إلا أنه لقي حتفه بعد سقوطه من فرسه وكان ذلك في سنة 540هـ/1145م³.

¹ ابن القطّان، المصدر السابق، ص ص 263-243. ينظر أيضاً: غسان محمد خلف الجبوري، *التدابير الأمنية في عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (1038-1229/430-668)*، ط 1، سوريا، صفحات للدراسات والنشر، 2024، ص 138.

² ابن القطّان، المصدر السابق، ص ص 264-265.

³ عبد الواحد المرّاكشي، المصدر السابق، ص 151. ينظر أيضاً: شمس الدين الذهبي، ج 11، المصدر السابق، ص 703، ينظر مبارك الميلي، ج 2، المرجع السابق، ص ص 289-290.

كما تفوق الموحدون في استخدام الخطط الحربية لاقتحام المدن والقلاع والحسون، مثل ما حدث في حصار مدينة فاس، وبعد تسعه أشهر من الحصار وصمود المرابطين لم يستسلم الموحدون، بل لجأوا إلى عملية حربية استراتيجية تمثل في قطع مجـرى الـتـهـرـ الذي يمـرـ على المدينة، وأقاموا عليه سـدـاً منـيـعاً منـاـشـجـارـ والـحـطـبـ، ورفع التـرـابـ علىـ السـدـ فـارـتفـعـ منـسـوبـ المـيـاهـ وـتـعـالـىـ حتـىـ صـارـ وـادـيـاـ تـجـريـ فـيـ السـفـنـ، مـاـ أـتـىـ إـلـىـ انهـيـارـ أـقـسـامـ كـبـيرـةـ مـنـ اـسـوـارـ الدـافـاعـيـةـ وـسـقـوـطـ أحـدـ الـأـبـوـابـ الرـئـيـسـيـةـ وـهـوـ بـابـ الفـتوـحـ، وـهـذـاـ دـلـيلـ عـلـىـ الـمـهـارـةـ الـحـرـبـيـةـ لـلـدـوـلـةـ الـمـوـهـدـيـةـ وـقـدـرـتـهاـ عـلـىـ الصـمـودـ وـاقـتـحـامـ المـدـنـ الـمـحـصـنـةـ¹، كـمـاـ أـتـىـ فـيـ سـنـةـ (1148ـهـ/543ـمـ)ـ فـرـ المـرـابـطـوـنـ إـلـىـ دـكـالـةـ وـتـحـصـنـواـ بـهـاـ، وـأـغـارـوـ عـلـىـ ضـواـحـيـ مـرـاـكـشـ فـلـحـقـهـمـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ فـانـحـازـتـ دـكـالـةـ إـلـىـ مـوـضـعـ كـثـيرـ الـحـجـرـ مـنـ جـهـةـ الـمـحـيـطـ وـقـامـواـ بـبـنـاءـ اـسـوـارـ وـكـمـنـواـ فـيـهـاـ، غـيـرـ أـنـ عـبـدـ الـمـؤـمـنـ قـصـدهـمـ مـنـ جـهـةـ غـيـرـ الـكـمـينـ فـاـخـتـلـلـ جـيـشـهـمـ وـدـخـلـوـ الـبـحـرـ فـقـتـلـوـ وـأـسـرـواـ².

أما عن الأسوار فقد عرفت هي الأخرى اهتماماً كبيراً واعتبرت كعنصر ثان لا يقل أهمية عن الحصون كونها عنصراً مهماً في المنشآت الحربية.

ب: الأسوار والأبراج في المغرب الأقصى والأوسط

- الأسوار:

تعتبر الأسوار عنصراً مهماً في بناء المنشآت الدفاعية للدول، كونها العنصر الأول للدفاع حيث توفر الأمان والاستقرار وقد أدرك المرابطون ذلك بمجرد خروجهم من الصحراء وتوجههم نحو الشمال، حيث أسسوا عاصمتهم مراكش وقاموا بتسويتها، ولتأسيس مؤسسات دولتهم الاقتصادية والاجتماعية استوجب الأمر تأمين حدودهم وبالتالي كان ذلك ببناء الأسوار، والتي كان بناؤها أمراً مألوفاً عند البربر وقد انعكس ذلك على عماراتهم التي كان لها طابع دفاعي

¹ مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 136. ينظر أيضاً: عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 257.

² غسان محمد حسن الجبوري، المرجع السابق، ص 138

حيث نجد أن أثر ذلك يتجلّى بوضوح في ما يُعرف باسم تيغرت أو إغرم، أمّا تغرت فهي عبارة عن مسكن مربّع في كلّ سور منه برج للمراقبة وتكون من طابقين الأول مخصص للأنعام وتخزين المؤونة، أمّا الطّابق الثاني فتمّ تخصيصه للسكن والحراسة، وإغرم فهو قلعة مرتفعة بها أنجحة لتخزين الأسلحة والمؤونة، وتستخدم كملجأ في أيام الحروب¹.

وقد تأخّر بناء الأسوار في دولة المرابطين بسبب الظروف البيئية الصحراوية المفتوحة التي عاشوا فيها، ومعاناتهم من الجفاف والغزوات المتالية من طرف قبائل بلاد السّودان والقبائل المجاورة لهم، فلم تخطر على بال قائد الحركة المرابطية، يوسف بن تاشفين، فكرة تسوير المدن، وذلك بسبب السيطرة العسكرية التي مارستها دولة المرابطين في المنطقة سواء في الصّحراء مع أهل السّودان، أو من الناحية الدّاخلية والشّمالية للمغرب الإسلامي، في حين فسر أحد الباحثين ذلك بسبب الاستقرار الدّاخلي الذي عرفته الدولة قبل ظهور خطر الموحدين².

ولعلّ ذلك يعتبر ثقة في النفس بالنسبة لقائد دولة المرابطين، بالإضافة إلى قوة الجيوش المرابطية من جهة أخرى، حيث إنّ يوسف لما احتط مدينة مراكش سنة أربع وخمسين وأربعين (454هـ/1062م) لم يخط بها سور حيث اكتفى بإقامة سور صغير يحيط بالمسجد الجامع الذي كان يعمل فيه بنفسه مع البنائين، وتشييد قبة صغيرة لحفظ أمواله وسلاحه وسمّي هذا الحصن بحصن الحجر ويعرف اليوم بالسّجينة³.

ظلّت المدينة بدون أسوار حتّى تولّى الحكم علي بن يوسف، فشرع في بناء سور حولها واختلفت الآراء حول السنة التي بني فيها السّور تحديداً فيرجعه صاحب الاستبصار إلى سنة (514هـ/1120م)⁴، بينما يذكر صاحب الحل الموسية أنه كان في سنة عشرين وخمسمائة (520هـ/1126م) وأنه أنفق في بناء السّور سبعين ألف دينار من الذهب⁵، أمّا ابن عذاري فيذكر

¹ عبدوني حسينة، المرجع السابق، ص 170.

² إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص ص 222-223.

³ - ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 245، ينظر أيضاً: الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 25، - مجهول، الحل الموسية، المصدر السابق، ص 16، - محمد عبد الله عنان، ج 2، المرجع السابق، ص 310.

⁴ مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 209.

⁵ مجهول، الحل الموسية، ص 90.

أنّ بناء سور مراكش كان في سنة (523هـ/1129م) بتأشير من الفقيه القاضي أبي الوليد ابن رشد¹ في حين يرجعه ابن خلدون إلى سنة (526هـ/1132م)² ويتحقق معه ابن أبي زرع إذ يرى أنّ العملية دامت ثمانية أشهر وذلك في سنة ستة وعشرين وخمسة³

كما رجح بعض الباحثين سنة (520هـ/1126م) كبداية لانطلاق العملية وكان الانتهاء منها سنة (522هـ/1128م)، وذلك أنّ ابن رشد قدم إلى المغرب من الأندلس ما بين سنة (519هـ/1126م)، ثمّ رجع إلى الأندلس بعد لقاءه لأمير المرابطين، وكانت وفاته سنة (520هـ/1126م) فمن الطبيعي أنه شرع في بناء السور بعد عودة ابن رشد⁴، ونظراً لأنّ العملية استغرقت مدة زمنية طويلة قرر الأمير علي بن يوسف تخصيص مبلغ كبير للقيام بها وطلب من القاضي أبي الوليد الإشراف عليها كما استقدم لها العمال المهرة والمهندسين المتميزين والبنائين المتخصصين لإتمام هذا المشروع⁵.

لما فتح يوسف بن تاشفين مدينة فاس يوم الخميس من جمادى الآخر سنة (462هـ/1080م)، أمر بتحصينها وهدم الأسوار التي تفصل بين المدينتين لتوسيعها ثمّ الشروع في بناء سور حولها⁶، كما أنّ أول مأْقَم به عند مروره إلى الأندلس وتحديداً بالجزيرة الخضراء هو بناء الأسوار وترميم الأبراج⁷ وهنا يبرز التوجّه الجديد الذي سار عليه المرابطون في مجال اهتمامهم بالأسوار والقيام بترميمها لما وفرته لهم من حماية وأمن داخل المدن.

أمّا عن توسيع الحركة المرابطية نحو الشرق فقد ميزها بناء العديد من العوائِر الحربية، وكان أولها في العاصمة الإقليمية للمرابطين تمسان، حيث أصبحت رباطاً عسكرياً بفضل

¹-ابن عذاري، ج 1، المصدر السابق، ص 310

²-ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 245

³-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 139.

⁴-ينظر: حمدي عبد المنعم محمد حسن، المرجع السابق، ص 374.- عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 115.

⁵-الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 25.

⁶-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 141.

⁷-مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 51.

الطبيعة المحسنة لمكان تاجرات المدينة الجديدة التي بناها المرابطون¹، وعندما وصل المرابطون إلى هذه المدينة، نصبوا خيامهم وسردقاتهم، وسرعان ما تبدلّ هذه المشاهد، حيث تحولت الخيام إلى منازل ودور، وتحفظ المدينة ببعض آثار المرابطين الحربية مثل باب العقبة الذي وضع في حائط مبني من مادة الذيش بعقد من الأجر على هيئة حدوة الفرس المنكسر، ويستند على حجارة تعود للفترة الرومانية².

كما شيدوا فيها قصراً أقام فيه أمراؤهم، وقد استخدمه الموحدون من بعدهم وبقي شامخاً حتى عصر بنى زيان، الذين أطلقوا عليه اسم القصر القديم، تميّزاً له عن القصر الجديد الذي بناه بنو زيان والذي أطلق عليه اسم المشور، كما أنّ يوسف بن تاشفين بنى سوراً للمدينة عند باب القرمدين، وقد أكدّ الباحث محمد الطّمار أنّ مدينة تاكرارت كانت محسنة ومسورة، حيث كانت مأهولة بالجنود وأصحاب السلطان فلا يعقل أن لا يتمّ بناء السور خاصة وأنّ لهم بها أعداء، وهدمت من قبل الموحدين، وقد استعملت تقنية الطابية في بناء هذه الأسوار كما هو حال سائر الأسوار المرابطية، وقد أكدّت الأعمال التّنقيبية التي قام بها الباحث هنري تيراس حيث عثر على آثار لأسوار المدينة أرجع تاريخ بنائها إلى العصر المرابطي³.

وبعد أن تم طرد المرابطين من تاكرارت من طرف الموحدين استطاعوا البقاء في أغادير لمدة تقارب أربع سنوات، حيث أبدت أسوار المدينة مقاومة بفضل أبراجها ومنشآتها⁴، وهذا يدلّ على مدى تحصين المدينة خلال الفترة المرابطية.

كما أشادت بعض المصادر التاريخية بما قام به الأمراء المرابطون وبالخصوص علي بن يوسف وتاشفين ابن علي، حيث عملا على تقوية المدن والحسون وسدّ الثغور ببناء الأسوار، وعليه تم فرض ضريبة خصّصت لبناء وإصلاح أسوار المدن الرئيسية، وكان ذلك في سنة (519هـ/1125م)، وسمّيت هذه الضريبة بضربيّة التّعليب خصّصت لبناء أسوار المدن

¹ ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 62.

² عثمان عثمان إسماعيل، ج 2، المرجع السابق، ص 122.

³ محمد بن عمرو والطّمار، المرجع السابق، ص ص 43-44.

⁴ جورج ووليم مارسي، المرجع السابق، ص 137. ينظر أيضاً: سميح موهobi، شلوق فتيحة، المرجع السابق، ص 140.

الكبير¹، وهذا دليل على إدراك المرابطين لأهمية الأسوار كونه معلماً عمرانياً أساسياً في المدينة يسهم في تعزيز هيبتها وإظهار قوة السلطة أمام الخصوم.

كما قام علي بن يوسف ببناء قلعة تسجيموت التي أسهم في بنائها الفلكي الأندلسي وحرص على بناء سورٍ حولها، كما أمر سنة (526هـ-1122م) بإحاطة مراكش بالأسوار، وإليه تنسب أسوار إشبيلية ولبلة وشريش وربض قرطبة، وكانت مادة البناء في معظمها الطابية²، كما قام ببناء حصن بالقرب من وهران على شاطئ البحر وقام بتسويره وجعله ملحاً له، بعدها شعر باستفحال خطر الموحدين وتزايد أتباعهم وما حققوه من انتصارات متتالية، فكان هذا الحصن بمثابة منفذ للأمير المرابطي الذي طلب من قائد أسطوله بألميرية عشرة أجفان حربية تعسّر بهذا الحصن، في انتظار تحينه لفرصة مرور إلى الأندلس³.

وقد تمكّن المرابطون من إدخال تحسينات كثيرة على النّظام المعماري لبناء الأسوار وخاصة في عهد علي بن يوسف، نتيجة الاحتكاك الحضاري في الأندلس وحتمية الظروف السياسية التي كانت تحيط بهم، كما ابتكروا نظماً جديدة في تخطيط الأسوار، تمثلت في الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية للأسوار، حيث تكون على شكل خطوط متعرجة ومنكسرة تسمح لجنود الأعداء بالتقىم داخل هذه الزوايا ثم يتمكّن المدافعون من الانقضاض عليهم من جهات زوايا مختلفة، وكان في أعلى السور درب يسير عليه المحاربون ويسمّى بمشى السور، وبه أيضاً شرفات تقدّف منها السهام وزوايا يحتمون بها وفتحات تساعد المُحارب إلى النّظر إلى ما في أسفل الحصن دون إصابته⁴، غير أنه لم يتبقّ من أسوار المرابطين إلا بقايا وأجزاء قليلة بمدينة تلمسان في المغرب الأوسط، وقلعةبني تاودافي المغرب الأقصى⁵.

مواد وتقنيات بناء الأسوار:

¹ حمدي عبد المنعم محمد حسن، المرجع السابق، ص 375.

² ليوبولد تورس بالباس، المرجع السابق، ص 26-27.

³ مجهول، الحل الموسية، ص 132-133.

⁴ السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1986، ص 159. ينظر أيضاً: حمدي عبد المنعم محمد حسن، المرجع السابق، ص 374.

⁵ عثمان عثمان إسماعيل، ج 2، المرجع السابق، ص 122.

أسهمت المصادر الجغرافية في ذكر المدن المسورة إلا أننا نجد فراغاً كبيراً في ما يخص الإشارات المتعلقة بتقنيات البناء فكثيراً ما يذكر سور المدن أو الحصن دون التفصيل في المادة التي بُنيَ بها أو طول السور¹، غير أنَّ تأمل الجزئيات المنتاثرة في المصادر يسمح برصد مجموعة من المؤشرات التي تدلُّ على مادة البناء، وتنظر أنَّ طبيعة الأرض التي يُبني فيها تسهم في التحكُّم في هذه المواد، حيث نجد مادة الطَّابية والتي هي خليط من التَّراب والرَّمل والصلب والمدكوك، والتي تتكون من لوحين من الخشب تربطهما مجموعة من العوارض جدًّا منشأة في الفترة المرابطية²، فالطَّابية كان يعتمد عليها في بناء الأسوار خاصة في المناطق التي لا تتوفر على الحجارة ولا سيما المناطق الصحراوية أو المجاورة لها، فقد ذكر الإدريسي أنَّ مدينة مرَاكش لما احتطَّها الملثمون كانت وطاء من الأرض ليس حواليها الجبال باستثناء جبل صغير يسمى إيجيليز، وليس في موضع المدينة حجر البَتَّة وبالتالي كان بناؤها بالطين والطوب التي تقام من التَّراب وسبب ذلك انعدام الحجارة وقتها، فقد ذكر أنَّ بجبل إيجيليز الحجارة ومنها اقتطع على بن يوسف المرابطي الحجر لبناء قصره وأسواره³ ما يجعل من احتمال نفاذ الحجارة بعد بناء القصر وارداً، وبهذا نرى أنَّ اللجوء إلى الطَّابية بسبب عدم توفر الحجارة وصعوبة نقلها.

الأبواب :

من الطَّبيعي أن تحتوي الأسوار على أبواب تفصل داخل المدينة وخارجها، وكان النَّظام المتبع في صنع هذه الأبواب هو النَّظام البيزنطي وهو عقدان متقابلان ينفتح أحدهما إلى الجهة الداخليَّة والآخر إلى الخارج، وقد تمكَّن المرابطون من استحداث أساليب وابتكارات معمارية كاستخدام المداخل المنكسرة وسميت عند المرابطين بالباشورة كما نجد أنَّ من مميزات الأبواب وجود الممرَّ الواسع بين فتحي الباب ينحني بزاوية قائمة على شكل مرفق، كما أنَّ من خصائصها أيضاً وضع عقبات وراء انحناء الممرَّ أمام المهاجمين، ومن الأبواب التي اتَّخذت

¹ على سبيل المثال حديث البكري والإدريسي عن مدن القيروان وصفاقص والمهدية وتلمسان ومدينةبني تاودا التي ابنتها الملثمون لم يذكر كل منها المادة التي بنيت بها مدن هذه الأسوار. ينظر: البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 703. ينظر أيضاً: الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 248.

² رينهارتزوسي، ج 9، المرجع السابق، ص 284.

³ الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 233.

هذا الشكل أبواب قصبة الأردية بالرباط وباب بثلاثة مراافق بمراكش كما وجدت أيضاً بالأندلس مثل أبواب مدينة غرناطة¹.

-الأبراج:

تمكن المرابطون من تدعيم تحصيناتهم الدفاعية بمنشأة الأبراج والتي تعتبر من العناصر المعمارية الحربية فقد كانت تشكل جزءاً من الأسوار الدفاعية للمدن والحسون فقد دعموا الأسوار بأبراج تتوزع على السور، كما كان يحيط بالسور سور آخر أمازيغي وبالأخص في الزوايا غير مكشوفة مما يسهل عملية المراقبة وهي نوع من أنواع الفنون المعمارية البيزنطية التي تأثر بها المرابطون وكان شكلها مستديرة كأبراج قلعة أمرجو كما استخدم المرابطون الأبراج السداسية كالبرج المسدس المنعزل في حصن العقاب وأبراج قنطرة القاضي بغرناطة².

ويبدو أنَّ الأبراج المستديرة كانت أفضل من الأبراج السداسية وذلك لسهولة بنائها، حيث لا تعتمد على الزوايا عكس الأبراج الأخرى لذلك نجدها أكثر حضوراً حيث تم بناؤها في أسوار مدن مراكش وقلعة أمرجو وغيرها من الأسوار.

وبناءً على ما سبق، نستنتج أنَّ حركة بناء الأسوار والأبراج وإن تأخر في بداية الدولة إلا أنَّ المرابطين تداركوا الأمر وأصبحت هذه المنشآت ضرورة حتمية تتبع اتساع نفوذ الملثمين، حيث قام بتشييدها جُل حكام الدولة نظراً لما توفره من أمن وحماية، كما كانت رمزاً للقوة رغم قلة مابقي من هذه المنشآت.

ثانياً: العمراء الحربية في عهد الموحدين:

حرص ابن تومرت منذ بداية نشأة دولته على حمايتها عبر الاحتماء بقبائل مصمودة الأكثر عدداً وحضوراً، عن طريق تنظيم الجهاز الحربي الذي يحمي جماعته الناشئة، ويضمن لها النمو والاستمرار، وفي هذا الصدد يذكر التأصري ما قام به من توزيع المهام فجعل أهل الجماعة للتفاوض والتشاور وأهل الساقية للاعتماد وأهل السبعين والخمسين لحمل راية العلم وسائر

¹ مغنية غردان، المرجع السابق، ص 180. ينظر أيضاً: لخميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 89.

² فتحي زغروت، المرجع السابق، ص ص 191-192.

القبائل للحرب ومحاجبها العدو¹، كما اهتم بالعمارة الحربية التي شملت المعاقل والحسون والأبراج والأسوار، والتي نالت حظاً كبيراً من طرف حكام الموحدين، حيث ساعدتهم في ذلك أن قبائل المصامدة وهم مؤسسو الدولة الموحدية قد كانت لهم دراية وخبرة كبيرة بهذه المنشآت وبالأخص الحسون، وكان ذلك واضحاً فيما تم بناؤه في موطن سكناهم بجبل درن حيث وقعت فيه العديد من الملاحم²، قبل بداية ظهور الدعوة الموحدية بزمن طويل، إضافة إلى جانب حرصهم الشديد على تأمين دولتهم التاسئة من خطر تهديدات الأعداء وخاصة المرابطين ونصارى الأندلس، وتمثلت هذه العمارة في الحسون والأسوار والأبراج.

أ: القلاع والحسون في المغرب الإسلامي من التخلّي إلى الإحياء – جدلية هدم الأسوار وإعادة بنائها.

تمكنَ الموحدون من السيطرة على العديد من الحسون والقلاع المرابطية، وقاموا بهدفهم العظيم منها³ خلال فترة بسط نفوذهم على بلاد المغرب، فأثناء فتح مدينة فاس من قبل عبد المؤمن سنة أربعين وخمسين (1146هـ/540م) وقد تحصن بها يحيى ابن أبي بكر الصحاوي المرابطي الملقب بابن الصحاوية، عمد عبد المؤمن إلى قطع الماء عن المدينة عبر سدّه وتحويل مجراه نحو أسوار المدينة فوق بسيط الأرض مما أدى إلى تخريبها، كما هدمت المباني التي زاد عددها عن ألفي دار ثم أمر عبد المؤمن بهدم سور المدينة فهدم، وقال إننا لا نحتاج إلى سور في إشارة إلى عدم جدواه ما بناه المرابطون للدفاع عن أنفسهم، بقوله إنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا، فلم يبن سور فاس إلا في عهد حفيده يعقوب المنصور الذي ابتدأ بناءه غير أن الموت عاجله فأنهى ابنه الناصر سنة ستّمائة (1204هـ/600م)⁴.

¹ الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 96.

² ابن خلدون، ج 6، المصدر السابق، ص 281-298.

³ في هذا السياق وجب التبيّن أنّ المرابطين أيضاً قاموا بعملية الهدم والتّخريب للعمران فعلى سبيل المثال أصبحت برغواطة منطقة مهجورة بعد دخول المرابطين إليها، وبقيت كذلك حتى فترة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور الذي أعاد تعميرها وبناءها. ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات، المرجع السابق، ص 74.

⁴ الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص 107، ينظر أيضاً: عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 272.

وقد أشار الإدريسي إلى عملية الاستئصال والهدم التي قام بها المصامدة لمدينة بني تاودا التي تقع شمال مدينة فاس¹، وما نزل بها من الخراب والتغيير لهدم أسوارها وتراجع مكانها فاندرست المدينة وبقيت أثراً بعد عين، إلا أنَّ المُوحدين قد غيروا هذه السياسة بعد أن تم لهم الاستقرار فشرعوا في بناء مختلف التحصينات العسكرية من القلاع والحسون والأسوار، كما استفادوا من أسلوب المرابطين في بناء الحسون، وجددوا وأصلحوا بعض الحسون والأسوار التي خلفها المرابطون لعدد من المدن، من أهمها تينملل وتأزة وقصبة رباط الفتح وقصبة مراكش وقصبة الوادي بفاس، كما تم تجديد عيد الحسون نذكر منها على سبيل المثال حسون رباط الفتح وتأزة وتينملل والقصر الصغير وحصن وادي آبكم، كما أعيد بناء عدداً من الأسوار وترميمها مثل أسوار مدن فاس ومراكش ووجدة وسلا والرباط².

وكانَت هذه المنشآت الحربية هي العمود الفقري الذي مكنت لدولة المُوحدين من توسيع نفوذها وإحكام سيطرتها العسكرية بالإضافة إلى أنها لم تعد مجرد هيكل للدفاع بل كانت تعكس أيضاً هيبة الدولة وقوتها، حتى أصبحت جزءاً أساسياً لا غنى عنه في مختلف الأنشطة العمرانية.

فقد عمد المُوحدون إلى تشييد العديد منها وفقاً لما اقتضته متطلبات دولتهم المتراصة للأطراف، ففي عهد المهدي بن تومرت تم بناء حصن عظيم في تينملل في جبل درن لا يبعد عن عاصمة المرابطين مراكش إلا ب نحو مائة كيلومتر، وقد عرف عنه حسانته الفائقة فهو منيع صعب تسلقه مما من سهل للوصول إليه لأنقطاعه بالأجراف لا يتم الوصول إليه من جهة الغرب إلا عن طريق ضيق لا يتسع إلا لمرور رجل واحد ومن الشرق كذلك عبر المرور بجانب الجبل، والسير إليه فيه خطراً لكثرة المهاوي كما عمد المهدي إلى زيادة تحصينه وتخزين أمواله وبه الآن قبره³، ومن البديهي أنه بني هذا الحصن لأغراض دفاعية لائقه خطراً لدولة المرابطين وخطر القبائل المعارضة لدعوته وهي قرية الشبه لقلعة "الموت"⁴، وبامعان النظر في مجال التحصينات في

¹- الإدريسي، ج 1، المصدر السابق، ص 249.

²- محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 222.

³ ابن سعيد، الجغرافيا، المصدر السابق، ص 125. ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 128.- محمد عبد الله عنان، ج 3، المرجع السابق، ص 182.

⁴الموت: هي قلعة جبلية شاهقة تقع في إيران استولى عليها الحشاشون بقيادة حسن الصباح وجعلها مقراً لدعوته، وهي فرقة شيعية نزارية نشطت بالشام وبلاد فارس والمشرق عرف عنها التنظيم والانضباط واغتيال الخصوم من حكام

بداية الدولة الموحدية، يمكن ملاحظة الدقة في اختيار الموقع وتفاصيل الجوانب الهندسية والمعمارية، وهو ما تجلّى في حصن تينمل الذي عكس استراتيجية دفاعية محكمة طبيعياً، بالإضافة إلى وجوده وسط قبيلة بني تينمل وهم شيعته وأهله¹، نفس الأمر ينطبق على مدينة هنین² فالرائز اليوم للمدينة يلاحظ الدقة في اختيار الحصن المنتصب إلى اليوم كشاهد من شواهد التاريخ وتعرف بدار السلطان التي تقع في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة ويعود بناؤها إلى الموحدين³ كما أنها تعكس فهماً عميقاً لفنون الحرب التي تميزوا بها فهي تقع على هضبة مرتفعة لا يمكن الوصول إليها إلا من جهة وهي شديدة التحصين (الملحق رقم 17).

بعد وفاة المهدي بن تومرت (515-524هـ/1121-1129م)، استمر عبد المؤمن في اتباع سياسة دفاعية عكست قدرته في الحفاظ على استقرار دولته على الصعيديين الداخلي والخارجي، فمع التوسيع الجغرافي للإمبراطورية الموحدية وتوحيد المغرب تحت سلطتها، كان لزاماً

وزراء وفقهاء، ويبدو أنَّ المهدي وصلته أخبار عن قلعة حسن الصباح لما كان في المشرق والزاجح أنه قد استفاد من تجربتهم، ينظر: مجھول، الحل الموشية، المصدر السابق، ص 113، - شوقي ضيف، ج 6، المرجع السابق، ص 49.

¹ تذكر بعض المصادر التاريخية أنَّ سُكَان تينمل كانوا على تواصل مع المهدي بن تومرت ودعوه للسكن بينهم وقد قُبِلَ بدعوتهم بعدما رأى أنَّ المكان له أبعاد سياسية وعسكرية فهو يشكّل حاجزاً طبيعياً منيعاً ضدَّ أعدائه المرابطين، كما أنه بين قبيلته وأهله، والغريب في الأمر أنَّ ابن تومرت لم يشارك في الحروب التي قامت ضدَّ أعدائه المرابطين، إلَّا أنه كان يخطب فيهم ويقوم بتحميسهم بأنَّ الله إلى جانبهم، كما كان يشرف على وضع الخطط الحربية وتعيين القادة المحاربين بصفته القائد العام. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 112.- البيدق، المصدر السابق، ص 34.- حيدر علي حول، المرجع السابق، ص 143.

² هنین: يعود تأسيس المدينة إلى القرن 12 ق.م حيث كانت محطة تجارية للتجار الفينيقيين وعرفت باسم جيساريا، وهي مدينة ساحلية حسنة بينها وبين تلمسان أربعون ميلاً وكانت المرسي الطبيعي لحاضرة تلمسان ومع وصول المسلمين إلى بلاد المغرب أصبحت المدينة متصلة بالعمران ولها سور متقدّم للبناء وأسوار وأسواق حسنة، ويعتبر عبد المؤمن المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين ابن المنطقة حيث لا يبعد جبل تاجرة مسقط عبد المؤمن إلا بمسافة يسيرة عن مدينة هنین وقد كان له الفضل في إعادة الحركة للمدينة التي دخلت ضمن الحضارة العالمية حيث جعل منها أيام فتوح تلمسان ووهان قاعدة خلفية تعطي السنداً للدولة الموحدية، ينظر: الإدريسي، ج 2، المصدر السابق، ص 534، لوحة إرشادات وزارة الثقافة، مدينة هنین ، تلمسان، الجزائر، 01 شوال 1446، الموافق 01 أبريل 2025.

³ لوحة إرشادات وزارة الثقافة الجزائرية بمدينة هنین، تلمسان، الجزائر، يوم 01 شوال 1446، الموافق ل 1 أفريل 2025

الحفاظ على الأمن والاستقرار، وهو ما جسّده عبد المؤمن لما تميّز به من قدرة على استيعاب العدد الهائل من الطّاقات البشرية التي أسهمت في الدّفع بحركة العمران، من خلال الأثر الواضح في عملية التّبادل التّقافي والتّأثير والتّأثّر في المجال العماني.

وقد إنعكس ذلك على عملية بناء الحصون والقلاع داخل حدود الدولة، سواء في المغرب أم في الأندلس، ولعلّ مما ساعد على ذلك هو اتساع حدود الدولة وتعدّ ثغورها المواجهة للأعداء، بالإضافة إلى تزايد التّهديدات التي شكلّت خطاً على دولتهم، ومن بين تلك الحصون المهمّة ما بُني في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي (524-558هـ/1129-1162م)، يبرز حصن جبل الفتح، كأحد أبرز هذه الإنشاءات الدّفاعية، وبالرّغم من التّباين في الآراء حول مسألة بناء هذه القاعدة وتحديد الخليفة الذي أشرف على بناها، فإنّ الرواية الأكثر قبولاً تشير إلى أنّ ابتداء البناء به كان في التّاسع من ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وخمسمائة (555هـ/1160م)، وكان بناءه بعد نزوله بجزيرة الأندلس بالقرب من جبل طارق الذي أطلق عليه جبل الفتح تيمناً باستئناف عملية الفتوحات الموحدية بالأندلس، وكمّل البناء فيه في ذي القعدة من السنة نفسها.

وقد أشرف على بناه أحد أبرز المهندسين الحاج يعيش المالقي¹ وأبو سعيد عثمان ابن عبد المؤمن ابن الخليفة، وقد قدم من غرناطة مصطحبًا معه أصحابه وجملة من عسكريه وهيئة من الطلبة والشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنّاني وإسحاق بن براز بن محمد، إضافة على هؤلاء تمّ جلب عدد من المهندسين وأمهر البناءين من الأندلس²، وفي هذا مثال واضح لاستفادة الموحدين من الخبرات الأندلسية والاستعانة بها في تطوير بناء الحصون لديهم، بما في ذلك حصن تازا³.

¹ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 156، ينظر أيضًا: النّاصري، ج 2، المرجع السابق، ص 140، ينظر، خير الدين الزركلي، ج 8، المصدر السابق، ص 206.

² ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 84-85.

³ تازا: منطقة جبلية من بلاد المغرب وحدها مابين بلاد المغرب الأوسط وببلاد المغرب في الطول، وفي العرض البلاد الساحلية مثل مدينة وهران ومليلية وغيرها، وبنيت فيها مدينة الزّباط . ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 128

ومن المؤكّد أَنَّه قد استخدمت فيه نفس تلك الموصفات والخبرات التي استخدمت في بناء حصن جبل الفتح، كما تمّ بناء عدة حصون بالمغرب الأدنى كحصن قابس¹ وحصن طرابلس، ومن أشهر الحصون التي أنشأها الموحّدون في عهد عبد المؤمن بن علي الكومي قصبة المهدى التي بُنيت سنة (545هـ/1150م) عند مصبّ واد أبي الرقاق، كذلك قام الموحّدون ببناء حصن قرب عاصمتهم الإقليمية تلمسان، ومن حصون الموحّدين المشهورة الحصن الذي بناه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالسسوس الأقصى للإشراف على معدن الفضة الذي اكتشف بالمنطقة وحمايته من السرقة² كما قام الموحّدون ببناء عديد الحصون على ثغور بلاد الأندلس منها حصن شلب³ وحصن طليطلة⁴ وحصن قلمريّة⁵، وقلعة رباح⁶.

¹ قابس: من مدن المغرب الأدنى قريبة من القيروان بينهما أربع مراحل وبينها وبين طرابلس ثمانية أيام، وهي مدينة جليلة مسؤولة بالصخر الجليل من البناء الأول بها حصن وأبراض وأسواق وفنادق وحمامات كثيرة ملكها الموحّدون ينظر: البكري، ج 2، المصدر السابق، ص 665.- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص ص 451-450.

² حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 394.

³ شلب، من بلاد الأندلس وهي قاعدة بلاد أشكونية تقابل مدينة باجة في المغرب الأدنى، كما تعرف شلب بجبلها العظيم، وهي بديعة البناء وعليها سور حصين وبينها وبين بطليوس ثلاث مراحل. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 342.

⁴ طليطلة، مدينة بالأندلس تقع في المركز بينها وبين قرطبة وبلنسية وألميرية تسع مراحل، وهي مدينة أزيلية تعرف بحسانة موضعها وعليها سور حسن، وقل ما يرى مثلها إقانا في البناء ولها قطرة من عجائب البناء، اتخذها القوط قاعدة لهم، ينظر: المصدر نفسه، ص 134.

⁵ قلمريّة، مدينة صغيرة متحضرة من مدن الأندلس، تقع على جبل بينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً بها نهر يصب في البحر وعليه حصن منيع جدًا يسمى منت مبور وهو نهر البحر. ينظر: الإدريسي، ج 2، المصدر السابق، ص 726، ينظر، الحميري، المصدر السابق، ص 164.

⁶ قلعة رباح، تقع بالأندلس بالقرب من ضفّة نهر يانة غير بعيدة عن موقعه الأرك الشهير بينها وبين طليطلة مرحلة ومنها إلى حصن البلاط مرحلتان، فهي تقع وسط قرطبة وطليطلة تعرف بحصونها الحصينة وهي من المدن المحدثة في عهد بني أمية، وقد عمرت بعد خراب أوريط ملكها التنصاري ما يقارب إحدى وخمسين سنة وعشرين شهر وفي عهد المنصور يعقوب ابن يوسف الموحدي استعادها وأمر بالصلة فيها وعيّن عليها يوسف بن قادس. ينظر: الإدريسي، ج 2، المصدر نفسه، ص 550.- الحميري، المصدر نفسه، ص 163.

وقد سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن على نهج أبيه في عملية تشييد الحصون حيث قام ببناء حصن يطل على البحر في مدينة سلا¹، كما كان راغبا في العمارة والتشييد فقد أمر بتمصير إشبيلية وبناء سور لها، وعقد جسرا على واديها بالقنطرة العظيمة.²

وأمّا في عهد يعقوب المنصور بن يوسف (558-562هـ/1162-1176م) فقد تمّ بناء عديد الحصون أشهرها حصن الفرج الذي قام بإنشائه خارج مدينة إشبيلية بقرب نهرها العظيم والذي أثار مكانه إعجابه لمنعته وحسن روائه³، وكان بناؤه سنة (589هـ/1192م) بعد الظفر بغزوة شلب حيث أمر ببناء القصور والقباب جاريا على عادته في حبّ البناء وإثارة التشيد، وكان هذا الحصن مكانا لمجالسة الوفود المهمّة بالنصر وقد أمر باستدعاء المشرف على بنائه ليقوم بتكريمه في حضرته بنفسه، وفي طول فترة حكمه لم يخل من قصر يستجده أو مدينة يعمرها مثل ما فعل في مدينة مراكش فتّمت له الحصون والقصور على ما أراد وزيادة.⁴

وخلال فترة حكم محمد الناصر (595هـ/1198-610هـ/1213م)، نلاحظ استمرار عملية بناء الحصون سواء في بلاد المغرب الإسلامي أم الأندلس نظرا لأنّ البلاد محاطة بالأعداء⁵، ومن أبرز الأعمال التي قام بها تحصينه لمدينة فاس حيث أتمّ بناء سورها الذي هدمه عبد المؤمن⁶، هذا وقد تمّ إنشاء حصون عديدة في آخر فترة نهاية الدولة الموحدية حيث ازدادت الأخطار في الداخل والخارج، فكان لزاما على خلفائها الدفاع عما تبقى من تخوم دولتهم، وهذا ما استدعته وجود هذه المنشآت التي ساعدت في تأخير سقوط الدولة.⁷

¹ سلا: مدينة أزلية بينها وبين مراكش تسع مراحل متصلة العمارة اهتم بها ملوكبني عبد المؤمن، وخاصة يوسف بن عبد المؤمن الذي قام ببناء مدينة كبيرة متصلة بقصبتها، وبها قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة وقنطرة عديدة وهي حصينة من جهة البحر. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 319.

² ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 165-166.

³ محمد عبد الله عنان، ج 4، ص 199.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 212، ينظر أيضاً: محمد عبد الله عنان، ج 4، المرجع السابق، ص 192.

⁵ محمد عبد الله عنان، ج 4، المرجع السابق، ص 283.

⁶ الناصري، ج 4، المرجع السابق، ص 214.

⁷ الناصري، ج 2، المرجع السابق، ص ص 107.

وهكذا نلاحظ أنَّ الموحدين اهتموا ببناء القلاع و الحصون مع مراعاة شروط الأمان والسلامة ، وتمَّ تشييد هذه الحصون في مناطق جبلية وعلى الأنهار والأودية، واستخدموها في بنائها موادًا عالية الجودة مثل الحجارة، كما استعنوا في ذلك بخبرات البناءين الأندلسيين ، وقد بقي العديد من هذه الحصون والأسوار قائمة في بلاد المغرب الأقصى لتجديد المرينيين لها وبناء أخرى بالقرب منها، فقد بنيت قصبة مدينة مكناسة بلد جديد بمدينة فاس بساحة الوادي سنة 674هـ / 1275م)، وقد اجتمعت الأيدي من كل حدب وصوب والصناعة والفعلة كما تمَّ جلب البناءين والمعدلين والعارفين بحركات الكواكب وأبرزهم ابن الحبّاك وأبو الحسن بن القطان¹.

والجدير بالذكر اختفاء العديد من المنشآت الحربية التي تعود للفترة المرابطية والموحدية خلال الزَّمن السُّعدي ، وهذا راجع للمشاكل الأمنية والسياسة المالية التي اعتمدتْها هذه الدولة والقائمة على تسليح الجيش دون الاهتمام بترميم وتجميد هذه المنشآت الحربية، وبعد قرون من تاريخ التَّشييد والاستعمال كان لزاماً ترميمها أو تجديدها، ذلك أنَّ العمَرَان يحتاج دائماً إلى الاهتمام والتَّرميم، وهو ما لم يتوفر للدُّولَة السُّعديَّة لقلة وسائلها وضيق رقعة مساحتها².

ب: الأبراج والأسوار في المغرب الإسلامي:

كانت الأبراج جزءاً أساسياً من البنية الدفاعية وتكون غالباً مربعة الشَّكل أو مستديرة ذات ثمانية أضلاع، وقد حرص الموحدون على تشييدها لتقدِّي أدواراً دفاعية وعسكرية حيث استخدمت لحماية المدن والقلاع، وعادةً ما كانت تُقام فوق الأسوار والأبواب لكي تستخدَم في مراقبة الأرضيَّة المحيطة بها وتأمين التَّواصل بين مختلف المناطق ومراقبة الأعداء وصد المهاجمين، وكان تصميم هندسة بنائها يتاسب مع هندسة بناء السُّور، وقد تنتهي بتصميم يشبه الأسنان والأفاريذ ، مما يسمح للمدافعين بإصابة المهاجمين بما عندهم من موادَّ مؤذية وبالتالي منعهم من اقتحام السُّور³ ، وقد أقيمت الأبراج عند الموحدين في أماكن مرتفعة لتشكل نقاط حراسة

¹ ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 258. ينظر أيضاً: سالم أبو القاسم غومة، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة (451-1059هـ/668-1269م) رسالة ماجستير، إشراف، د نجاح صلاح الدين القاسمي، جامعة الفاتح، 2003/2004، ص 108.

² محمد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 223.

³ جواد علي، ج 8، المرجع السابق، ص 19.

خاصة في الأسوار والمحصون، وكان الهدف منها رصد خطر العدو المفاجئ، ولقد بنيت الأبراج منذ بداية الدولة الموحدية، أي منذ عهد المهدي بن تومرت حيث سعى إلى بناء عديد الأبراج وأبرزها برج تيظاف الذي ابتناه بتتمال¹، كما قام عبد المؤمن بن بناء قصبة ذات أبراج مثلثة الزوايا عند نزوله بمدينة تونس أمامها فصيل يحول بينها وبين الساكنة المتواجدين بالقرب منها²

ويمكن تقسيم الأبراج إلى نوعين النوع الأول يكون متصلة بالأسوار الدفاعية والنوع الثاني يكون منفصلاً عن الأسوار و لاتزال بعض آثار هذه الأنواع قائمة إلى اليوم في مدينة هنين حيث قدر الباحث عيد الرحمن خليفة عدد الأبراج المتصلة بالأسوار الدفاعية مايزيد عن اثنين وعشرين برجاً مع احتساب أبراج القصبة³ في حين ذهب الباحث ابن حمو محمد أنَّ عددها المتبقى هو 17 برجاً⁴، في حين نجد عديد الأبراج المنفصلة عن سور مدينة هنين كونها مدينة ساحلية فقد دعمت حصونها بأبراج مراقبة لرصد الخطر الخارجي القادم من البحر⁵ ومن بين هذه الأبراج، برج نونة الذي يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للحصن (الملحق رقم 18) ، وبرج البحر الذي اندثرت معالمه ولم يعد له وجود⁶ وحسب ما أخبرنا به السكان المحليون في زيارتنا الميدانية فإنَّ مكانه اليوم يعرف بالديوانية.

ومن الأبراج البارزة في المدينة برج سيدى إبراهيم ويعرف كذلك ببرج إسبانيول وهو في منطقة مرتفعة لاتزال آثاره إلى يومنا هذا ويمكن من خلاله رصد التحركات القادمة من البحر

¹ البيدق، المصدر السابق، ص 41.

²-مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 153.

³ عبد الرحمن خليفة ينظر :

Abderrahmane khelifa.honainea travers ses monuments .colloque national sur.honaine passe et present.universited oran. février .1985.op. cit.p 29.

⁴ محمد بن حمو، التحصينات العسكرية لمدينة هنين، دراسات تاريخية، العدد 1، م 08، (من ص 48-74)، ص 64.

⁵-بن يحيى مصطفى، مدينة هنين في العهدين الموحدى والزناني (1146-1545هـ/962-1451م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 10، م 01، (ص ص 74-97)، ص 87.

⁶- بن يحيى مصطفى، المرجع السابق، ص 87.

بسهولة لارتفاعه الشّاهق¹ كما أتّه مقابل لدار السّلطان وبجانبه ضريح العالم الجليل إبراهيم الأبلي (الملحق رقم 19).

ولقد اتّبع الخلفاء الموحدون السياسة نفسها فقد شيدوا سلسلة من الحصون، وعملوا على تعزيز سيادتهم من خلال تنظيم عسكري دقيق، باعتبار أنَّ التنظيم العسكري السليم هو أساس الدولة، وهنا يجب أن نشير إلى ظاهرة ابتكار المربّع القتالي لعبد المؤمن بن علي صاحب هذه الفكرة، والتي لم تقتصر على استخدام التّربع في السّكة فحسب بل امتدَّ إلى مجال التّحصينات خاصة الأبراج الخارجية ذات الشّكل المربّع ويعود استعمالها خصوصاً في الأبراج التي تحاط بالأبواب لسهولة بنائها ومتانتها²، كما تميّزت بالتنوع والتّعدد والتي يمكن تصنيفها حسب الباحث الإسباني ليبيولد بالباس إلى:

الأبراج البرانية:

تكون خارج السّور وهي ليست ابتكاراً أندلسيّاً خالصاً، لكنّها انتشرت في شبه الجزيرة في فترة الموحدون بشكل لم يسبق له مثيل في أيّ مكان آخر، وتصلُّ أعلى هذه الأبراج بأعلي الأسوار عبر دروب وممرّات تمتدَّ على الجدران، تسمح بالمرور بينهما، والهدف من بنائهما حماية نقاط الضعف في الأسوار عبر ستارة يُطلق عليها القورجة تساعد في غلق الطريق أثناء إغارات العدوّ وكان شكلها مربعاً أو مُثمناً، أمّا الأبراج المضلّعة فقد كانت منتشرة في العمارّة الحربيّة خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي (12/١٦هـ)، لكنّها طغت على أغلب أسوار الموحدون خاصّة في بلاد الأندلس وبدرجة أقلَّ في بلاد المغرب³.

الأبراج المتحركة:

وكانَ غالباً من أربعة طوابق الطّابق الأول مصنوع من الخشب، الثاني من الرّصاص، والثالث من الحديد والأخير من النّحاس الأصفر، وكانت هذه الأبراج تتحرّك على عجلات، ويصعد

¹ Rene basset.nedromah et les traras.ernestleroux editour.paris.1901.p103.

² مصطفى سالم، "جهود خلفاء الموحدين في تطوير مجالهم الدّفاعي"، مجلة الإحياء، مجلد 22 العدد 30، جانفي 2022، (ص ص 933-942)، ص 936. ينظر أيضاً: مبارك الميلي، ج 2، المرجع السابق، ص 290

³ ليبيولد نوريـس بالباس، المرجع السابق، ص 39.

الجنود عبر طوابقها لنقب الحصون وتسلق الأسوار¹، بالإضافة إلى ذلك استخدمت الأبراج للمراقبة وتقديم الإشارة كما هو الحال في مدينة هنين وأحواز مراكش وفجيج وحاجا وقد بنيت بالحجر والطابية التي ورثها الموحدون عن المرابطين.

وقد عُرفت أبراج الإشارات بالمنار وهي أبراج للإشارة مزودة بمرآة يمكن من خلالها الاتصال في النهار وعن طريق إشعال النار في الليل، وقد كانت هذه الأبراج كثيرة بالساحل الشمالي من الإسكندرية إلى طنجة، وقد كان منار قلعةبني حماد بالمغرب الأوسط نموذجاً لهذه الأبراج التي شيدت في المغرب الإسلامي بعد القرن الخامس بتخطيط مربع يبلغ طول ضلعه 22 متراً.

لقد بقيت العديد من الأبراج الموحدية في الأندلس مثل برج فوق أسوار مدينة قاشرش وأبراج قصبة بطليوس، وبرج الذهب الذي يقع على وادي إشبلية²، وهذا يشير إلى مدى اهتمام الموحدين ببناء الأبراج لدورها الكبير الذي كانت تؤديه في الدفاع والتحصين، والتي تميزت بالتأثر الفني المغربي الأندلسي، وكان الموحدون سباقون إلى الاهتمام ببناء الأبراج في بلاد المغرب، ويعود الفضل إليهم في إدخال هذا الفن المتبّع في بلاد المغرب والأندلس.

- الأسوار عند الموحدين:

قامت الدولة الموحدية في خضم الحروب، وكان لزاماً على حكام الدولة أن يصدوا للدفاع عن المغرب الإسلامي، وفي هذا الإطار كانت الحماية والأمن هدفين دائمين للموحدين، وقد استدعى ذلك تحصين المدن بأسوار دفاعية منيعة خاصة المدن ذات الوظائف السياسية والتجارية، وقد اهتم جميع أمراء الموحدين ببناء الأسوار ورأوا فيها وسيلة لصد الخطر الخارجي، وقد كانت أسوار الموحدين على نفس أسلوب المرابطين من حيث البناء بقطع الحجر الكبيرة غير المنتظمة تتخللها بعض القطع من حين لآخر لتنظيم السطح وهو ما قام به المرابطون في أسوار قلاعهم.³

¹ مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 936.

² ليبولدو توريس بالباس، المرجع السابق، ص 39.

³ عثمان عثمان إسماعيل، ج 3، المرجع السابق، ص 120.

وفي هذا المنحى أشار صاحب كتاب "الحلل الموسية في ذكر الأخبار المراكشية" إلى ما قام به المهدي محمد بن تومرت ببناء العديد من الأسوار، وكان أهمّها ذلك السور الذي بُنيَ حول المدينة التي يقع فيها حصن تينمل، حيث أحاط السور بالمدينة من جميع الجوانب، وكان بناؤه على رأس الجبل وما ميز المدينة وجود حصن به سور ليكشف على ما وراء الجبل حيث أصبح الوصول إلى هذه المدينة صعباً إلا عبر طريقين أحدهما غربي وهو من جهة مدينة مراكش والثاني شرقي، وهذا الطريقان ضيقان جداً، حيث يستحيل على فارسين عبورهما جنباً إلى جنب خشية السقوط من أعلى الجبل، وقد صنع الطريقان في نفس جهة الجبل، ونظراً لضيق الطريق وما تميّز به من سفوح شديدة الانحدار تم تدعيم بعض المواقع بالخشب، إذا أزيلت خشبة واحدة يصبح المرور مستحيلاً لم يمر عليها أحد، وممّا زاد من صعوبة الوصول أن طول الطريق يعادل مسافة سير يوم كامل¹.

ونلاحظ هنا حُسن اختيار المهدي لمكان انطلاق الدولة الموحدية بعدما لاحظ من مناعة الوصول إلى مدينة تينمل لما تميّزت به من قوّة في التّحصين والذي جاء نتيجة التّمازج بين الطريقين مما زاد في قوته، فوجود مسالك واحد وما تميّز به من منعرجات جعله بمثابة سورٍ طبيعي يحمي المدينة من تهديدات المرابطين، بالإضافة إلى ذلك، أسهم بناء سور الحصن لمراقبة المناطق الواقعة خلف الجبل في جعل أهل المدينة على دراية بما يجري خارج أسوار مدينتهم.

وبعد وفاة المهدي بن تومرت تولّى أمر الموحدين عبد المؤمن ابن علي الكومي، وفي بداية عهده لم يواجه أخطاراً كبيرة باستثناء خطر المرابطين، غير أنّ هذا الخطر بدأ يضعف ويتشّدّق شيئاً، وربما لهذا السبب لم يول عبد المؤمن اهتماماً كبيراً لبناء الأسوار معتبراً الأسوار الحقيقية للموحدين هي السيف والعدل، بل قام بتهدم الأسوار التي كانت موجودة مثل ما حدث أثناء فتحه لمدينة فاس، وقال إنّ الموحدين لا يحتاجون للأسوار فلم تبن أسوار المدينة إلا في فترة حكم حفيده المنصور².

¹ مجهول، الحلل الموسية، المصدر السابق، ص 112.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 189، ينظر أيضاً: السلاوي، ج 2، المرجع السابق، ص 107،الجزنائي، المصدر السابق، ص 43.

وسرعان ما غير وجهه نظره عندما أدرك أهمية الأسوار خاصة بعد توسيع الرقعة الجغرافية للدولة وتزايد الأخطار المحيطة بها ومن هنا قرر بناء الأسوار ومن ذلك بناء سور حول مدينة تاجة بتلمسان¹، كما قام عبد المؤمن ببناء القلعة الحصينة في جبل طارق سنة (1160هـ/556م) وجعلها مركزاً لانطلاق عمليات الجهاد في شبه الجزيرة، وقد حرص الموحدون على إقامة الأسوار الأمامية في مراكش ورباط الفتح²، لأنها كانت تصد الهجمات المباشرة على الأسوار الرئيسية وتعرقل تقدم العدو، ولا تمكّنه من إيجاد ثغرات في الأسوار الرئيسية التي تؤدي إلى مداخل المدينة وكانت المسافة بين الأسوار الأمامية والرئيسية حوالي أربعة أمتار يُحفر بينهما الخنادق وتوضع فيها الكمامات³.

وعلى سبيل المثال فقد كانت مدينة تاكرارت بعد دخول الموحدين إليها مسورة وزادت عنایتهم بها، خاصة بعد محنّة بني غانية، حيث عمد الموحدون إلى ترميم وإصلاح الأسوار وكان ذلك تحديداً في فترة حكم عبد المؤمن والمنصور والناصر، على يد الولاة من الأسرة الموحدية: أبي عمران موسى وأبي الحسن أبي حفص⁴ وهو ما أكدّه ابن خلدون بقوله: "وندب الناس إلى عمرانها، وجمع الأيدي على رمّ ما تخلّ من أسوارها... وصرف ولّة الموحدين بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم بشأنها إلى تحصينها وتشييد أسوارها، وحشد الناس إلى عمرانها والتّاغي في تمصيرها واتّخاذ الصّروح والقصور بها، والاحتفال في مقاصر الملك واتّساع خطّة الدّور... واتّصلت أيام ولايته فيها، فشيد بناءها وأوسع خطّتها وأدار سياج الأسوار عليها..."⁵.

ومن الأسوار التي بناها الموحدون وهي باقية إلى اليوم أسوار مدينة هنـين والتي يزيد عرضها عن مترين (صورة رقم 20)⁶ تتخلّ هذه الأسوار خمسة أبراج باحتساب الأبراج الركـنية

¹ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 189.

² ليوبولد تورييس بالباس، المرجع السابق، ص 28

³ عياد المبروك عمار الرحبي، العمارـة الإسلامية في الأندلس خلال العهد الموحدـي، مجلـة الجامـعة المغارـبية، ص 195.

⁴ عبد العزيز لعرج وأخرون، المرجع السابق، ص 29.

⁵ ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 104.

⁶-ينظر الصورة رقم 20، ص 277.

وبه فتحات المداخل التي تزال تشهد على أصالة الإبداع الموحدي، كما أنّ هناك أسوار مبينة في جهة الجبل وهي على امتداد يزيد عن ثمانين متراً ترتبط بأبراج حراسته.¹

أمّا في فترة يوسف بن عبد المؤمن بن علي فقد تمّ تحصين العديد من المدن في المغرب والأندلس، ففي بلاد المغرب كان أهمّ الأسوار التي بنيت في فترة حكمه أسوار العاصمة الإقليمية تلمسان حيث أقام بتعميرها وشيد بنيانها وأدار سياج الأسوار حولها، وهو ما يشار إليه ابن خلدون بأنّ ولادة الموحدين صرفوا نظرهم بالاهتمام بشأنها وتشييد أسوارها واتخاذ الصّرُوح، وكان أعظمهم اهتماماً بذلك أبا عمران موسى ابن أمير المؤمنين يوسف العشري.²

أمّا في فترة حكم يعقوب المنصور ابن عبد المؤمن، فلم يكن اهتمامه ببناء الأسوار أقلّ من سابقيه من أمراء الموحدين فقد اخترَّ مدينة الرباط ورسم حدودها وأكمل بناء سورها وأبوابها³، كما أنه سعى إلى بناء أسوار مدينة فاس وإصلاح ما تمّ تهديمه من قبل عبد المؤمن بن علي لولا أنّ وفاته حالت دون ما أراد⁴، وأوصى بنيه وأشياخ الموحدين بعديد الوصايا قبل مماته، منها موافقة سياسة بناء الأسوار وخصوصاً تلك المدن الواقعة على التّغور بما فيها الأيتام وقصد بهم أهل الأندلس واليبيّنة وهي الأندلس وأن لا يغفلوا عن إصلاحها وتشييد الأسوار بها⁵، ولعلّ هذا ما دفع خليفته محمد الناصر بن يعقوب إلى إعادة بناء مدينة فاس من خلال استكمال بناء أسوارها وتحسين تحصيناتها⁶.

ولم تكن للأسوار غایيات دفاعية فقط فقد كانت تحمل دلالات سياسية وعسكرية ونفسية حيث كانت تُعلق بها الرؤوس وفي ذلك جزء من سياسة الدولة في فرض الهيبة وإحكام السيطرة وإهانة الخصوم وهو مافعله الخليفة الموحدي المأمون أبو العلاء إدريس سنة (1229هـ/1827م) حيث قتل بمراكش من مخالفيه الممتنعين عن بيعته أعداداً لا تُحصى واختار منها أربعة عشر

¹ محمد بن حمو، التّحصينات العسكرية، المرجع السابق، ص 60.

² ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 104.

³ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 266.

⁴ الجنائي، المصدر السابق، ص 42.

⁵ مجھول، الحال الموشية، المصدر السابق، ص 160

⁶ الجنائي، المصدر السابق، ص 43.

ألف رأس مقطوعة وأمر بتعليقها في أسوار مراكش في زمان الحرّ، فلما طُلب منه إزالتها خشية الأمراض ونظراً لتفشي الروائح الكريهة في المدينة رفض ذلك وقال بأنّ هذه الرؤوس حرز للموحدين وروائحها عطر للمحبّين مُستقدمة عند المبغضين.¹

-الأبواب:

تخلّلت أسوار الموحدين أبواب تميّزت بالدقة استعلمت فيها الحجارة المنجورة مما زاد في روعة هندستها وضخامتها، وتدعى إلى الإعجاب كباب الرواح الذي عرف بقيمه الدّفاعية وصموده أمام عوامل الزّمن، وقد بني على قطع حجرية متوسّطة الحجم مكوناً نظاماً دفاعياً يعلوه برجان مربّعان يحميان مداخله وممرّاته، وهو تصميم معقد جاء به المرابطون غير أنّ الموحدين ضاعفوا هذه الظاهرة لزيادة حجم العرّاقيل والعقبات في طريق المهاجمين حيث تمكّنوا من ابتكار طريقة التخطيط ذي المنعطفات المرفقية المزدوجة²، حيث يؤدّي مدخله إلى ساحة بها دهليز مربع الشكل تعلوّه قبة مصلّعة قائمة على حافات مقببة بانصاف قبور متعارضة، ويصل هذا الدّهليز إلى ممرّ يؤدّي إلى دهليز ثالث مكشوف من الأعلى يتعرّض عنده المهاجمون للنّبال والرّيوبوت الحارقة من الأعلى، ويؤدّي هو بدوره إلى دهليز رابع تعلوّه قبة تؤدّي إلى مدخل المدينة.³

وباب الودايا بالرباط الذي يُعتبر أحد أبرز إبداعات القرن السادس في مجال عمارة الأبواب، لما اشتتمل عليه من تركيب هندسي وتعقيد معماري متّطّور وتقنّ في وسائل الدفاع وأسلوب التّغطية الذي يكسوه فضلاً عما اشتتمل عليه من زخارف، وأيضاً باب رباط الفتح وباب أجناو بمراكش، والتي مازالت تحفظ بجلالها وهيبتها وألوانها الجميلة، مما يعكس التّقّع والتّراء في تصميماها ويظهر عظمة الدولة، كما عُرفت بتعقيّداتها، حيث أنشأوا أبواباً بمرافق ثنائية وأخرى ثلاثة المرافق، ولم تسقف الممرّات بل تركت مكشوفة في أغلب الحالات، مما أتاح الفرصة للجنود

¹ مجهول، الحل، المصدر السابق، ص 165.

² عثمان عثمان إسماعيل، ج 3، المرجع السابق، ص 123.

³ فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 194.

لإشراف من الأعلى على المهاجمين والقذف بالبال والمياه المغلاة، وكلّ هذا يبرز شخصية وعصرية التصميم المعماري في هذه الفترة، كذلك من الأبواب التي أبدع فيها الموحدون، باب الأحد بمدخله البارز الذي يتميّز بفكرة شظف الأركان في بدنّي الباب بتحويل تخطيطه من التّربع إلى التّثمين¹.

ومن الأبواب الموحدية التي لاتزال إلى اليوم بمدينة هنـين بـاب الشـمال ويـعرف عند سـكان المـدينة بـاب السـانـية بـسبب الطـاحـونـات المـائـية المـوجـودـة عـلـى ضـافـاف الـوـادـيـ، وبـاب الشـرق ويـسمـى بـباب السـنـونـ وـمـوـقـعـه شـرقـ المـدـيـنـةـ وـبـجـانـبـهـ بـرـجـانـ ذاتـ أـشـكـالـ مـرـبـعـةـ هـذـاـ عنـ الأـبـوـابـ التيـ صـمـدـتـ أـمـامـ تـقـلـيـبـاتـ الرـزـمـنـ وـهـنـاكـ أـبـوـابـ اـنـدـثـرـتـ وـانـهـارـتـ مـنـهـاـ بـابـ الـبـحـرـ الـذـيـ كـانـ يـشـكـلـ مـمـراـ لـقـنـاءـ تـصـلـ الـمـيـنـاءـ بـالـبـحـرـ وـبـابـ الـخـرـاجـةـ الـذـيـ لمـ يـبـقـ لـهـ أـثـرـ².

وقد أدى تقدّم المعمار الحربي في ظلّ حكم الموحدين إلى تأثيره في المعمار الحربي الأوروبي، فأفادوا منه ونقلوا عنه الأشكال والأوضاع بشهادة المستشرقين³، أمّا عن الأسوار الخاصة بالمدن فقد تركها الموحدون كما هي دون أن يضيفوا لها أي شيء يذكر باستثناء أسوار تونس وبالخصوص قصبة ومهدية وصفاقس حيث تم إضافة لها أسوار متقدمة⁴.

من حصاد هذا المبحث يتضح أنّ أغلب المدن الموحدية كانت محاطة بأسوار قوية وضخمة ذات ارتفاع معتبر، مما أضافي عليها طابعا عسكريا دفاعيا ووفر لها الحماية والأمن، وبالطبع هذا دليل واضح على مدى التّطوير الكبير الذي بلغه الموحدون في مجال بناء الأسوار وما وفرته من حماية.

ثالثاً: التأثيرات الأندرسية في العمارة المرابطية والموحدية:

عرفت بلاد المغرب وصول جماعات مختلفة من عرب وأندلسيين وأوروبيين في فترات زمنية مختلفة، إضافة إلى تنوع العلاقات التجارية الخارجية التي أدت إلى تنوع مصادر التأثيرات

¹ عثمان عثمان إسماعيل، ج 3، المرجع السابق، ص ص 127، 136.

² بن يحيى مصطفى، المرجع السابق، ص 80.

³ ليوبولدو توريس بالباس، ، المرجع السابق، ص 40.

⁴ باسيليو بابون مالدونادو، المرجع السابق، ص 52.

المعمارية والفنية الواقدة، وقد أدى ذلك إلى تنوع المشارب أو الأصول ومن ثمّ كان لكلّ وطن طابع يميّزه في كلّ فترة.

وقد كان لضمّ المرابطين الأندلس بعد معركة الزلاقة (479هـ/1086م)، أثر كبير في انتشار الطراز الأندلسي الذي كان له انعكاس كبير على فنون عماير المغرب الإسلامي خاصة بعد قيام الدول الكبرى دولتي المرابطين والموحدين، حيث تبادل الجانبان التأثيرات العمرانية، مما جعل بعض الباحثين يرون أنه طراز معماري واحد وهو الذي يطلق عليه بالإسباني المغربي¹.

¹-hispano mauresque

أ- التأثيرات المعمارية الأندلسية في الفترة المرابطية:

انتسمت عماير المرابطين الأولى وفي عهد يوسف بن تاشفين تحديداً بالخشونة وخلوها من الزخرفة التي كان يرى فيها المرابطون أنها مخالفة لتعاليم الدين، وإنعكاساً لروح المجتمع التي رافقت قيام هذه الدولة، وبضمّ المرابطين الأندلس بدأت ملامح الخشونة تزول تدريجياً، وكان لمظاهر الحضارة والتزفّ أثره البالغ في نفوس أمراء المرابطين، فأدت معاشرتهم المجتمع الأندلسية إلى تغيير نظرتهم اتجاه المظاهر الفنية التي كانت منبوذة أول الأمر، وأصبح الفنان المغربي يأخذ منها شيئاً فشيئاً ويوظفها في المبني المغربي².

ومع أنّ الفنون المعمارية قبل المرابطين امتازت بصيغة ذات طابع ببرلي، إلا أنّ المرابطين وبعد ضمّهم الأندلس تأثروا بالفن الأندلسية خاصة من حيث الأسلوب وطابع البناء الذي يميل إلى الزخرفة³، عكس ما كان عليه المرابطون قبل مرورهم إلى الأندلس، وقد تمّ هذا بعد استقدام العمال المهرة والبنائين من الأندلس إلى المغرب، وهو ما تجسد في عهد يوسف بن تاشفين حيث استعملهم في حركة البناء في الحصون والقلاع والمدن⁴.

¹ حسين مؤنس، المساجد، المرجع السابق، ص 186.

² مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص 298.

³ إبراهيم حركات، ج 1، المرجع السابق، ص 340.

⁴ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 374-375.

وتمثل فترة حكم "الأمير علي بن يوسف بن تاشفين" (500-537هـ/1106-1143م)، أزهى الفترات التي عرف فيها المغرب ازدهاراً عمرانياً وفنياً، حيث سادت الفنون الأندلسية على المغرب، وذلك يرجع لعدة أسباب واعتبارات من بينها، مرور جيوش المرابطين إلى الأندلس بهدف الدفاع عنها ضد التنصاري، وبعد استقرار المرابطين في المنطقة نتج عنه تأثير كبير انعكس على الجانب العماني الذي كان يسود الأندلس، فتغيرت نظرة المرابطين للفنون وأقبلوا على تشجيع مظاهر الفن، أيضاً فإن علي بن يوسف قد عاش فترات طويلة في الأندلس، مما جعله شديد التأثر بالعمارة الأندلسية وكثيراً ما كان يستعين بالخبرات الأندلسية للإشراف على بعض مشاريع البناء، بل كانوا يستدعون حتى لبلاته فكان مجلسه لا يخلو من رجال الفن من أصحاب الأندلس¹.

وهنا نلاحظ تغيير نظرة المرابطين التي صاحبت قيام دولتهم، حيث لم يكن يُسمح بالزخرفة تماشياً مع النظرة الفقهية المالكية، إلا أن هذه النظرة قد تغيرت بعد الاحتكاك بالأندلس مما أكسب المباني المرابطية مسحة أندلسية، تجلّت في مختلف العوامل الحربية أو المدنية والدينية، بالإضافة إلى معالمهم العمرانية في المغرب الأوسط التي مازالت قائمة شاهدة على هذه الروائع المعمارية ذات الأبعاد الفنية المغربية الأندلسية.

وفي المغرب الأوسط كانت تلمسان في عهد المرابطين عاصمة إقليمية، وحاضرة للدراسات الفقهية والكلامية والتبوغ العلمي للعلماء، ولا شك أن ذلك لم يكن لولا وجود مؤسسات تحتوي هذه الأطر الفكرية من مختلف امتداداتها ويأتي في مقدمتها النخب الأندلسية والتي كان لها أثر في الدفع بالحركة العمرانية².

¹ مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص296.- السيد ع العزيز سالم، "الفرديوس المفقود، الفن الأندلسي"، مجلة الدارة، عدد4، 1983، ص10. ينظر أيضاً: ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر السيد محمود عبد العزيز سالم و محمد صالح الدين حلمي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1990، ص46-47.

² عادل محمد زيادة، التراث المعماري الديني بتلمسان منذ عصر المرابطين ودوره في التواصل الحضاري بين شرق العالم الإسلامي وغربيه، تلمسان الإسلامية، بين التراث العماني والمعماري والميراث الفني، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص213.

وفي هذا المنحى فقد أشرف مهندس أندلسي يدعى الفلكي على بناء قنطرة وادي تنسيفت في عهد علي بن يوسف، كما ذكرت المصادر وجود أندلسيين في عملية بناء حصن تاسغيموت سنة (519هـ/1125م)، وأنَّ عملية البناء كانت تحت إشراف مهندس يحمل نفس اسم الشخص الذي قام ببناء قنطرة تنسيفت¹، مما يجعلنا نرجح أنَّ الفلكي كان مهندساً معمارياً ذا شأن كبير لإشرافه على هذه العمليات المعمارية المهمة.

ونظراً لقوة التأثيرات العمرانية الأندلسية في بلاد المغرب الإسلامي جعل بعض الباحثين يُعزِّزُون ذلك لغياب التقاليد الفنية في الفترة المرابطية والمُوحَّدية، وهو ما فسح المجال للفنون الأندلسية التي كانت أكثر انتشاراً وحضوراً في مختلف البنيات العمرانية خلال هذه الفترة²، وفي اعتقادنا أنَّ هذا تحامل كبير لوجود عملية تأثير وتتأثر بين المنطقتين، فالأندلس كانت تحت حكم المغرب الإسلامي في الفترة المرابطية والمُوحَّدية ومع مرور الزَّمن أصبح المغرب الإسلامي مؤثراً بعد أن كان متأثراً فقط.

وقد كانت التأثيرات الأندلسية في عمارة المغرب الإسلامي على مستوى جانبيين، الجانب الأول كان مباشراً خلال فترة حكم المرابطين، أمَّا الجانب الثاني فقد انتقل عن الموحدين من المغرب الأقصى وتجلَّ أكثر في فترة دول ما بعد الموحدين³، فقد نتج عن التَّواصل الحضاري بين مسلمي المغرب الإسلامي ومسلمي الأندلس تطورات ملحوظة على التَّواهي المعمارية بسبب الابتكارات الجديدة على فنون العمارة والزَّخرفة، حيث أسهم الفنانون المعماريون الذين استقدموا من قرطبة إلى بلاد المغرب وأسهموا في تجسيد رؤائع معمارية مُبهرة.

ويرى الباحث مبارك بوطارن أنَّ التأثيرات الأندلسية في بلاد المغرب الأوسط في فترة المرابطين لم تكن في جانب واحد، بل شمل تأثيرها جميع الجوانب، وهذا دليل على مدى تأثير بلاد المغرب بالحضارة الأندلسية، مما جعل جميع الفنون تجد طريقها نحو بلاد المغرب

¹ عبدوني حسينة، المرجع السابق، ص 173.

² ليوبولدو تورييس بالباس، المرجع السابق، ص 1.

³ مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص 297.

الإسلامي، بالرغم من أنّ الدولة المرابطية لم تُعمر كثيراً، إلا أنّ هذا يوضح مدى انفتاح المجتمع المرابطي لِتقبيل مظاهر الحضارة وبالخصوص الأندلسية¹.

بـ- التأثيرات المعمارية الأندلسية في العهد الموحد

تواصل أثر المعماريين الأندلسيين وبصماتهم في العمارة في الفترة الموحدية الذين اقتفوا سياسة المرابطين وهي الاستعانة بخبرة أهل الأندلس، وكان لسيطرة الموحدين على الأندلس أثر كبير على فنّهم المعماري واصطبغت العمارة الموحدية بطابع خاصٍ حقق التجانس، وبدت رؤاهه المعمارية والفنية في مختلف العوامل الموحدية بمراكش والرباط²، وقد نتج عن ذلك زيادة قيمة بنايى الأندلس نتيجة الطلب وال الحاجة المتزايدة عليهم، حيث برعوا في صنع أدوات الترف المختلفة الخاصة بفن العمارة والزخرفة الأندلسية، وكنتيجة لهذه التأثيرات المتواصلة بين الخبرات الأندلسية والمغاربية مكنت من ظهور خبرات صناعية مغاربية، ودليل ذلك أنّ الموحدين عندما أرادوا تشييد المباني في الأندلس استعنوا بعرفاء البناءين من مراكش وفاس وبقيّة المدن المغاربية³، ويستنتج من ذلك أنّ بلاد المغرب لم تُعد من هذه الفئة.

ومن أهم الصناع الذين لاقوا حظوة عند سلاطين الموحدين والذين قدموا إفادة عظيمة في مجال العمران نذكر المهندسين الآتية أسماؤهم: "أبا الحسن علي ابن يوسف ابن عبد المؤمن" "ال حاج يعيش المالكي"، الذي تمكّن من صنع مقصورة هندسية بالمسجد الجامع بمراكش للخليفة الموحدي عبد المؤمن والذي استقدمه سنة (1091هـ/1523م)، حيث كانت تعمل ميكانيكياً ترتفع عند خروج الخليفة وتعود لمكانها عند دخوله، إلى جانب المهندس "أحمد بن باسة"، "والليل الصقلي" و "أبي الحسن ابن محمد الأزرق" و "أبي شامة الجبائي"⁴ وغيرهم كثير ممّن لم يرد ذكرهم في المصادر التاريخية، وقد أثمرت الخبرة الأندلسية بشكل كبير في الفترة الموحدية

¹ المرجع نفسه، ص ص 303-304.

² حسن علي حسن، المرجع السابق، 375. ينظر أيضاً: عادل محمد زيادة، المرجع السابق، ص 216.

³ هناء محمد عبد الحميد الفقي، المرجع السابق، ص 83.

⁴ هناء محمد عبد الحميد الفقي، المرجع السابق، ص 86.

وخلصت مؤشرات وروافد جديدة جاءت من القิروان وقلعة بنى حماد التي يلاحظ عليها تأثيرها بالعمارة المشرقية.¹

صيغة القول إن دولتي المرابطين والموحدين قد تأثرتا بالعمارة الأندلسية التي عرفت ازدهاراً كبيراً في تلك المرحلة وتمكننا من الاستفادة من الأساليب الأندلسية في مجال التحصينات الدفاعية والبناء والزخرفة ومختلف التصاميم، مما يدل على قدرة الدولتين على تطوير وتكييف هذه العناصر حسب احتياجاتهم وكان ذلك أكثر عند دولة الموحدين مما منح طابعاً عالمياً ومميزاً للعمارة في عهدهما.

رابعاً: دراسة مقارنة

اهتم كل من المرابطين والموحدين بالعمارة الحربية وفيما يلي أهم أوجه التوافق والاختلاف بينهما.

أ/ أوجه التشابه:

1/ الحصون والقلاع

عرفت الدولتان المرابطية والموحدية بالطابع العسكري، ففي الدولة المرابطية تجلّى هذا الطابع من خلال كون معظم حكام الولايات والوزراء ذوي مظهر عسكري وعلى دراية كبيرة بقوانين الحرب وفي الغالب كانوا من عصبة لمتونة وصنهاجة، ومن أشهر قادة الجيش البارزين سير ابن أبي بكر المتنوبي²، وقد بلغ مكانة كبيرة عند يوسف بن تاشفين، ينتان ابن عمر، وكان من أبرز رجال الحرب عند المرابطين ومحمد ابن الحاج، ومزدلي ابن تيولنكان، ويحيى ابن غانية، وغيرهم من القادة البارزين³، وقد انعكس ذلك على العمارة العسكرية بكثرة تشيد الحصون

¹ محمد السيد أبو رحاب، العمارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 10.

² سير ابن أبي بكر: أحد أعظم قادة جيوش المرابطين، وصهر يوسف بن تاشفين، وكان حاضراً معه عندما دخل إلى جزيرة الأندلس، قام بفتح إشبيلية وتولى ولاديتها، حارب المعتمد ابن عباد وحاصره أشهراً ثم دخل المدينة قهراً وقام بأسره ونقله إلى مدينة أغمات. ينظر: النويري، ج 24، المصدر السابق، ص 269.- ابن خلكان، ج 7، المصدر السابق، ص 123.- محمود مقديش، ج 1، المرجع السابق، ص 445.

³ محمد عبد الله عنان، ج 4، المرجع السابق، ص 640.

والقلاع لتأمين الدولة حيث بلغت حصون المرابطين حوالي سبعين حصناً في جبل درن فقط، كما كان اختيار المقرّات الأصلية للمرابطين من مسؤوليات القادة، ومن أبرز هذه المقرّات جبل لمتونة الذي يتّصل بسلسلة جبال تمتدّ حتى البحر المحيط.

الرّباط:

كان منطلق الدّعوة المرابطية رباط السنّغال، وهو عبارة عن بناء تجتمع فيه الصّفة الحربيّة والدينيّة، فهو من المرابطة أي ملازمّة التّغور والاستعداد للعدوّ، كما اتّخذ المرابطون رباط أغمات التي تقع شمال جبل درن مقراً للدّعوة والمجاهدة¹، فانتشرت الرّبط أيام المرابطين ببلاد المغرب وكان الرّباط الديني²، كرباط آكلو مكاناً للتعبد والتّعلم واعتكاف المتصوّفة، أمّا الرّباط الحربي فكان بناؤه في المكان الاستراتيجي، كما يتمّ تسويره وتجهيزه بوسائل الدّفاع والهجوم وحجراته مزودة بمخازن القوت والأسلحة، كما شملت بعض الأربطة على الوظيفة الحربيّة والدينيّة في نفس الوقت³، فلا يُمكّن أن يكون العامل الديني سبباً وحيداً في تأسيس الرّبط أو الحصون ما لم توجد سلطة سياسية تُدعّم بالجنود والمؤونة، فالناسُ والمتعبد في كثير من الأحيان لم تكن لهم القدرة على الدّفاع لعدم تمكّنهم من فنون القتال، لذلك جاءت بعض الفتاوى من الفقهاء بعدم جواز المرابطة لمن ليس له القدرة على الحرب⁴، فدوافع بناء الرّبط كانت متعدّدة أهمّها الجانب الأمني والديني فرباط عبد الله بن ياسين الذي يُعدّ من أهمّ الرّبط التي بناها الملثمون كان الدّافع وراء بنائه أمنياً قبل أن يكون دينياً ولم تختلف دوافع بناء الرّبط في الفترة المرابطية عن دوافع تشييدها في الفترة الموحدية أو دول ما بعد الموحدين.

¹- غسان خلف الجبوري، المرجع السابق، ص ص 132-133.

²- المقصود به التّقريّق بينه وبين الرّباط الحربي المختص للجهاد والدفاع عن التّغور.

³- لم تجز أي دراسة تطبيقيّة حسب ما اطلّعنا عليه حول الرّبط في عصر المرابطين رغم أنّ دراسة محمد الأمين بلغيث الموسومة بـ "الرّبط في المغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحدين من الدراسات الجادة التي تناولت الرّبط في هذه الفترة غير أنها ليست تطبيقيّة فلم تعتمد على التّحليل الأثري وذلك ربما راجع لأنّثار الآثار وصعوبة تتبعها ينظر: عثمان عثمان إسماعيل، ج 2، المرجع السابق، ص ص 117-118.- محمد الأمين بلغيث، الرّبط، المرجع السابق، ص ص 1-200.

⁴- محمدو ولد عمر، المرجع السابق، ص 240.

أما في الدولة الموحدية فيتجلى الطابع العسكري في اختيار مقرات الدّعوة التي لم تختلف كثيراً عن أسلوب اختيار المرابطين، فقد اختار ابن تومرت تينمل والتّي هي عبارة عن حصن في أعلى الجبل مقرّاً لانطلاق الدّعوة نظراً لما تمتّع به من حصانة طبيعية ومنعة مقارنة بغيرها من مدن السوس الأقصى.

-جبل درن: كما أطلق عليه أيضاً جبل المصامدة وجبل جزولة وجبل أوراس، ويبعداً من بحر الظلمات- المحيط الأطلسي- في أقصى السّوس ويمّر من الشّرق حتّى جبل نفوسه ليتّصل بعدها بجبال طرابلس، وهو متّصل العمارة به قلاع وحصون أشهرها حصن تتمل الذي انطلق منه محمد بن تومرت وهو الذي زاد في تشبيده وتحصينه¹.

كما اهتمَّ معظم خلفاء الدولة بالبناء الحربي وأبرزهم عبد المؤمن بن علي الذي قام بتشييد سور تاكرارت بتلمسان سنة (540هـ/1146م) وحصون الفتح سنة (555هـ/1160م)، وأبو يعقوب يوسف، والمنصور والناصر الذي بني سور مدينة فاس.

انتشرت القلاع والحسون في بلاد المغرب، واعتبرت كثرة بناء الحصون والقلاع ظاهرة واضحة لوجود صراع لم ينقطع في بلاد المغرب سواء في العهد المرابطي أم حتّى الموحدّي، حيث قام المرابطون بتشييد القلاع والحسون والأسوار بالمغرب الإسلامي والأندلس خاصة في أواخر عصر الدولة المرابطية لأسباب عديدة، منها التّوسيع العسكري والسياسي الكبير حيث قامت الدولة المرابطية بتوسيع أراضيها بشكل كبير، استدعي الحاجة إلى بناء قلاع وحصون لحماية المناطق الجديدة وتأمين الحدود، وأيضاً لصدّ التّهديدات الدّاخلية والمنتّلة في القبائل المعارضة والخطر الموحدّي والحرّوب بالأندلس ضد النّصارى.

ساعدت القلاع والحسون في الحفاظ على الأمن الاقتصادي للدولة المرابطية والموحدية نظير ما وفرته من حرّكة في التّمذّن وحماية للطرق التجارية والمراكز الاقتصادية المهمّة، وممّا زاد من حاجتها أنّ هذه الدول اعتمدّت على عملية الغزو والجهاد كموارد مفيدة لاقتصادها، لذلك

¹ محمود مقديش، ج 1، المرجع السابق، ص 59.

أطلق عليه بعض الباحثين اقتصاد المغازي¹، كما كانت مراكز لتخزين الحبوب والمعادن الثمينة، وبالتالي كانت تمثل أكثر من مجرد موقع عسكري تلجأ إليها العامة وقت الحرب والخوف.

من خلال دراسة الأمثلة السابقة يتبيّن أن القلاع والحسون المرابطية والموحدية تم بناؤها في موقع استراتيجية، حيث بُنيت الحصون في المغرب الإسلامي على طول جبال الأطلس الكبير وحدود جبال الأطلس الشمالية في مناطق مثل تادلة ودرن، كما حملت أسماء بربيرية مثل تاجرارت وتاسغيموت وتاكزورت و TASGIMARAT ، وسميت في المدن بالقصبة بينما في الأندلس عرفت بالقلاع، وكان هدفها واحد وهو الحماية من الغزوات والهجمات وتأمين إمكانية شن العدوان لهجمات معاكسة، وعادة ما كانت القيادة تسند إلى أحد القادة المتمرسين من قبيلة لمتونة تساعده قوّة تتّلّف من 200 فارس و 500 جندي بدون فرس².

تأثّرت كل من العمارة المرابطية والموحدية بالمؤثّرات الأندلسية، التي شملت كل مجالات الفنون والعمارة إبان هذه الفترة، فقد استعان المرابطون بالخبرات الأجنبية الداخلية كالأسرى والأندلسين في بناء المنشآت الدّفاعية - الفلكي الذي بني قصر تسغيموت-، كما أنّ الموحدين تأثّروا بالأسلوب الأندلسي، وتمّت الاستفادة من الخبرات الأندلسية في بناء الحصون والقلاع، عبر جلب أمهر البناء والمهندسين من مدن الأندلس لاستخدامهم في عمليات البناء، لدرجة أنّ بعض الباحثين في سياق حديثه عن الفن في عصر المرابطين والموحدين أوضح أنّهما فنانان أندلسيان³، وقد أشار ابن خلدون لاتّخاذ ملوك المغرب للإفرنج في الجندي للضرورة، وأمّا الجهاد فلا يُستعان بهم خوف مكرهم وخدعهم⁴، وبهذا فلا يُستبعد الاستعانة بهم في مجال البناء.

كما استفاد الموحدون من تجارب المرابطين في هذا الجانب وزادت خبرتهم وتوسّعوا في بناء الحصون والقلاع، فتميّزت حصونهم بأمنها العالي نتيجة لموقعها العالمي الإستراتيجية، سواء كانت في مرتفعات أم بجانب الأنهر، حيث كانت تستخدم لأغراض دفاعية وحماية الأرضيّة خاصة الواقعة على التّغور، كما كانت هذه المنشآت جزءاً من إستراتيجية الموحدين لما تعكسه

¹ إبراهيم القاري بوتشيش، حلقات، المرجع السابق، ص 21.

² عبدوني حسينة، المرجع السابق، ص 178.

³ ليبولدو تورييس بالباس، المرجع السابق، ص 13.

⁴ ابن خلدون، ج 1، المصدر السابق، ص 338.

من قوّة الدولة وهيئتها، لإحكام سيطرتهم وتأكيد قوّتهم سواء السّياسية أم العسكريّة، لدورها المهم في ترسّيخ نفوذ الموحدين في المناطق التي كانت تحت حكمهم.

أمّا في ما تعلق بمرامي السّهام فقد استخدمت في كلّ من القلّاع والأبراج المرابطية والموحدية حيث توجّد ضمن الأبراج ولكن بحجم صغير.

أمّا في ما يخص التخطيط والتصميم نجد أن المرابطين اعتمدوا على التخطيط البسيط فكانت أشكال البناءات في الأغلب مربعة وفي بعض الأحيان مستطيلة في حين عمد الموحدون إلى استخدام تخطيطات أكثر تعقيدا كالزوايا والأبراج والأبواب الضخمة فالمرابطون ضمّنوا الحماية بوسائل بسيطة وغير مكلفة في حين أن الموحدين كان لهم هدف مزدوج بين الحماية والجانب السياسي والرمزي.

2/ الأسوار:

قام المرابطون ببناء الأسوار حول المدن في بلاد المغرب والأندلس، وكان ذلك بتكاتف الأمّاء وإرشادات الفقهاء، مثل ما قام به علي بن يوسف والفقـيـه ابن رشد، كما كانت تخصص أموال معتبرة من ميزانية الدولة في بناء هذه المنشآت.

اتّبع المرابطون نظاما دفاعيا يعتمد على الأسوار المتعددة ذات الزوايا المنكسرة الداخليّة والخارجية، داخل السور يوجد ممرّ يسهل حركة المقاتلين، كانت الشرفات تعلو هذه الأسوار لتوفير حماية إضافية من الأعداء، كما تميّزت دفاعاتهم بوجود سور خارجي مواز للسور الداخلي يبلغ ارتفاعه حوالي مترين وعرضه أيضا حوالي مترين، أمّا السور الداخلي فقد تراوح ارتفاعه بين خمسة إلى عشرة أمتار وعرضه مترين، واستعملت هذه الطريقة عند الموحدين وكانت من السمات البارزة في العمارة العسكريّة الموحدية.

تأخر بناء الأسوار في الدولتين المرابطية والموحدية كليهما لعدة اعتبارات منها أنّ المرابطين كانوا أهل بدو ولم يألفوا هذه التّحصينات، أمّا عن الموحدين كانت أولويتهم للهجوم وليس الدفاع لكن سرعان ما تغيّرت نظرتهم لهذه المنشآة خصوصا بعد بناء المرابطين المدن

وبالأخص مدينة مراكش، كما كان عبورهم للأندلس سبباً وجيناً في اهتمامهم بهذه المنشأة، وكذلك أدرك الموحدون أهمية هذه التحصينات لترسيخ ملوكهم بسبب التهديدات التي واجهت دولتهم وبالأخص تهديدات النصارى.

ب / أوجه الاختلاف

1- الحصون والقلاع:

من نقاط الاختلاف التي وقنا عليها في العمارة الحربية للمرابطين والموحدين، أنَّ المرابطين في بداية تكوين دولتهم لم يكونوا على دراية كبيرة بفنون الحصار وأساليبه، ولعل ذلك راجع لقلة الحصون والقلاع في المناطق التي انطلقا منها لكن نظرتهم تغيرت خاصةً بعد وصولهم للأندلس حيث أصبحت المنشآت الدُّفاعية ضرورة حتمية، أمّا بالنسبة لدولة الموحدين فقد آلت إليهم منشآت المرابطين التي أضافوا إليها عديد التحسينات، مما جعل منشآتهم المعمارية الحربية تصمد إلى وقتنا الحالي خاصةً في المغرب الأقصى والأندلس في حين غابت هذه المنشآت عن المغرب الأوسط والمغرب الأدنى.

لابد من الإشارة أنَّ عمران الحصون في العهد المرابطي قد طالته أيدي الخراب على أيدي القبائل الهلالية خاصةً في المغرب الأوسط، كما أنَّ المصادر التاريخية قد أحجمت على تفاصيل هذه الحصون في بلاد المغرب الإسلامي عكس بلاد الأندلس، فلا نجد حصوناً معروفة قرب مدينة مراكش العاصمة وإنما قلاب في أماكن جبلية كقلعة تسغيموت¹، فقد تأخر المرابطون في بناء الحصون وعلى الرغم من تداركهم للأمر وإدراكهم لأهمية هذه التحصينات، إلا أنها لم ترق حسب نظرنا إلى ما وصلت إليه في الفترة الموحدية، بدليل أنَّ بعض الحصون في الفترة الموحدية تحولت إلى حواضر عمرانية كبرى مثل ما حدث لمدينتي تازا والمهدية، وهو ما لم يحدث في فترة المرابطين.

¹ عثمان عثمان إسماعيل، ج 2، المرجع السابق، ص 121.

تميّز الموحّدون عن المرابطين في مجال بناء الحصون والقلاع أنّ هذه المنشآت كانت تحت إشراف هيئات عليا تمثّلت في الحكام والسادة والأشياخ¹، كما تم الاستعانة بالطلبة والعنصر الأجنبي، وبالتالي فإنّ الحصون عرفت اهتماماً كبيراً من طرف الموحّدون حيث شكلّت عنصراً مهمّاً من المنشآت الحربية، عكس المرابطين الذين أوكلوا المهمّة لقادة العسكريين دون تأثير كبير للفئات الاجتماعية الأخرى.

يمكن التميّز بوضوح أنّ المرابطين في أواخر عهد علي بن يوسف التزموا بخطط الدفاع نظراً لظروفهم السياسيّة التي كانوا يمرون بها، لذا أكثرّوا من تشييد القلاع وال حصون وبناء الأسوار، كما يلاحظ قدرتهم على الدفاع كونهم يجيدون الامتناع بالقلاع ويرهقون محاصريهم، لكن إذا ما قارنّا قدرتهم على الدفاع بالهجوم لا يتّضح أنّهم كانوا على حظّ كبير بفنون الدفاع والهجوم، وقد أرجع أحد الباحثين سبب ذلك كون دعامة جيشهم ترتكز على الفرسان أكثر من المشاة وهم أقلّ خبرة في فنون الحصار².

أمّا في ما يخصّ الموحّدون فإنّهم امتازوا بالمهارة في فنّ الحصار وتفوقوا على المرابطين في هذا الجانب، وكانت أمنّ الحصون والأسوار تتهاوى أمام ضرباتهم لامتلاكهم أدوات وأساليب الحصار، وقد اتّضح ذلك في حصارهم الثاني لمراكش حيث أمر عبد المؤمن بصنع سلام للأسوار، وجعل كل قبيلة على جهة فتمكنّوا من دخول المدينة والتّكيل بالمرابطين، وهو ما حدث أيضاً أثناء حصار مدينة فاس والمهدية³، كما عرف عنهم توسيع أساليب الحصار، فأحياناً يستعملون المجانيف وأحياناً الحرّاقات والدّبابات وسلام الحصار، كما استعملوا في أحياناً كثيرة المياه كالسلاسل لتهدم الأسوار مثل ما فعل عبد المؤمن في حصاره لمدينة فاس حيث عمد إلى سدّ المياه ثمّ توجيهها دفعة واحدة على الأسوار.

¹الشيخ: رتبة وطبة علياً في جيش الموحّدون وقد استخدم أيضاً للدلالة على وظيفة عسكريّة مهمّة تُعرف بشيخ الغزّة وتعني القائد العام، كما كانت هذه الرّتبة لقباً لموظّف مهمّ في دولة الموحّدون، وكان لقب الشيخ المعظم من كبار موظّفي الدولة ووُجد في دولة الموحّدون رتبتان من الأشياخ هما الأشياخ الكبار، وهم الطّبقة الأولى، والأشياخ الصغار، وهم أقلّ مرتبة من الطّبقة الأولى، حيث يُشكّلون الطّبقة الثانية من الجنود، ينظر: فتحي زغروت، المرجع السّابق، ص 126.

²فتحي زغروت، المرجع السّابق، ص 182.

³غسان محمد حسن خلف الجبوري، المرجع السّابق، ص 122-124.

كما يلاحظ أن عبد المؤمن نفسه كان على دراية كبيرة بفنون الحصار، حيث أتت الحيل التي استخدمها في إسقاط عديد المدن مثل ما فعل في مدينة وهران، حيث عمد إلى إحراق أبواب المدينة وكذلك فعل في مدينة المهدية ومراكش التي لم تقف أسوارها الحصينة عقبه أمام دهائه.

2- الأسوار والأبراج:

- الأسوار

أخذ الموحدون عن المرابطين أسلوب بناء الأسوار غير أنّهم سرعان ما طوروا تقنياتهم وفقاً لما تطلّبته الحاجة، فقد أضافوا نسبة الجير وكسرات الفخار والحجارة الصّغيرة في تقنية الطّابية مما جعلها أicker صلابة وقوّة مما كانت عليه في العهد المرابطي، وقد قدّمت هذه الإضافات خصوصية للمعمار المغربي وكلّ ما جاء به التّطوير الحديث في التقنية المعمارية لا يتجاوز استبدال الحمري بالرمل والجير بالإسمنت بالإضافة إلى استخدام الحديد.¹

- الأبراج:

نالت الأبراج اهتماماً كبيراً من الموحدين على عكس ما حظيت به عند المرابطين وربما يرجع ذلك إلى إدراك الموحدين للدور العسكري المهم للأبراج، لذلك قاموا بابتكار عدّة بناءات عسكرية كالأبراج البرانية والمثمنة والأبراج المكونة من اثنى عشر ضلعاً، والأسوار المتعرّعة مما يعده تطويراً في هذا الجانب، فقد أقيمت الأبراج في عهد الموحدين في نقاط الحراسة فوق الأسوار والحسون كما تميّزت بالتنوع وهو ما لم نلاحظه عند المرابطين، فقد كان الموحدون سباقين في الاهتمام بهذه المنشآت الدفاعية في بلاد المغرب والأندلس²، بالإضافة إلى تداخل التأثيرات المغاربية الأندلسية في بناء الأبراج في الفترة الموحدية.

- مواد البناء :

اعتمد الموحدون في بداية دولتهم على نفس مواد البناء التي استخدمها المرابطون مثل الحجر غير المنظم والطّابية، غير أنّهم قاموا بتطوير تقنيات بنائهم وبحثوا عن أساليب جديدة لتنقية

¹ عثمان عثمان إسماعيل، ج3، المرجع السابق، ص ص 120-123.

² فتحي زغروت، المرجع السابق ص ص 190-191.

صلابة الطّابية، وهو ما يكشف عن نواياهم العرمانية وعدم الاكتفاء بالأساليب الموروثة فتميّزت منشآتهم بالسرعة في الإنجاز والاقتصاد في النّفقة مع تحسّن كبير في الصّلابة التي قاومت الزّمن فيما تمّ تشييده في عهدهم، وبالإضافة إلى الطّابية نجد موادّ الجصّ المخلوط بالحجارة الصّغيرة والطّين الخزفي والفالخاري والموادّ الصلبة كالحجارة والحديد مما جعل استخدام تقنياتهم وأساليبهم في عملية البناء طوال العصر الذي تلى عهدهم¹.

وعلى وجه المقارنة يمكن القول إنّ الدّولتين كلتيهما أبدعتا في مجال العمراء الحربيّة لكنّ الموحدين تفوقوا على المرابطين في مجال الفنون الدّفاعيّة، ويتجلّى ذلك منذ بداية ظهورهم، فقد اختاروا المواقع الاستراتيجيّة مثل جبل درن الذي كان مقراً لثورتهم نظراً لحصانته، ومدينة تينمل مهد الدّولة ومنشأ ابن تومرت، كما قاموا بتأمين مواقعهم من خلال بناء الأسوار والأبراج والتي كانت أكثر تطويراً وإبداعاً من الأسوار المرابطيّة وبالإضافة إلى الجانب الدّفاعي لهذه المنشآت التي وفرت لهم شروط الدّفاع، بناء على ما أكّدَه ابن خلدون في ما يجب مراعاته عند تأسيس المدن²، كانت أكثر تعقيداً مما عكس قوّة الدّولة الموحدية وتأثير طابعها العرمانى على العمارة اللاحقة.

¹ عثمان عثمان إسماعيل، ج3، المرجع السابق، ص 123.

² عبد الرحمن ابن خلدون، ج1، المصدر السابق، ص 432.

خلاصة:

جسّدت العمارة الحربية في العهدين المرابطي والموحدّي تجسيداً للواقع السياسي والعسكري الذي ساد في عهديهما في بلاد المغرب الإسلامي وكان للصراعات الدّاخلية والخارجية دوراً في تطوير الجانب الدّفاعي.

المرابطون اهتموا بالطّابع الدّفاعي العملي من خلال بناء القلاع والأسوار القوية حول المدن مع التركيز على الواقع الجغرافية الصعبة وكانت منشآتهم تتركز على الصّلابة والقوّة، في حين نجد العمارة الحربية الموحدية عرفت طابعاً عمراّنياً أكثر تطوراً حيث امتنج الجانب الدّفاعي بالجانب الجمالي ولاحظنا ذلك في الأبراج والأبواب والتقنيات المعمارية التي تم استحداثها في عهدهم.

خاتمة

يُتضح مما تقدم عرضه وتحليله في فصول هذه الأطروحة، أهمية دراسة العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين، ويمكن استخلاص أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يلي:

ورث المغرب الإسلامي إرثا عمرانياً زاخراً عن الحضارات السابقة للفتح الإسلامي وقد تأثر هذا الإرث بعوامل متداخلة كالامتداد الجغرافي والتفاعل بين الحضارات والشعوب وقد أسهم في تشكيل هوية عمرانية خاصة ببلاد المغرب الإسلامي.

- كانت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة وتأسيس الدولة الإسلامية بداية بروز التخطيط العمراني لل المسلمين حيث أصبح المسجد نواة للمدينة الإسلامية وعليه تدور المدينة ومع مرور الوقت تجلّت التوجهات المبدئية للطرح الإسلامي فيما تعلق ببناء المدن.

انتشرت المدن الإسلامية زمن الخلافة الراشدة والأموية والعباسية في كامل المناطق المفتوحة وأنشئت مدن الموانئ في الساحل والمناطق الداخلية والواحات على طريق القوافل، بعد وصول حركة الفتح الإسلامي إلى بلاد المغرب عرفت العمارة نمواً ملحوظاً وتم إنشاء المدن كمدينة القيروان وتأهرت وفاس والمساجد والقصور دون إغفال المرافق المهمة التي كانت موجودة سابقاً حيث استفاد المسلمون من تجارب الأمم التي سبقتهم، مع تمكّنهم من إدخال خصوصيات خاصة بهم.

شهدت بلاد المغرب الإسلامي ظهور مدن وحواضر كبرى لعبت دوراً مفيدة في تطور العمارة الإسلامية حيث أسهمت هذه المدن والتي أخذنا منها نماذج كالقيروان في المغرب الأدنى وتأهرت والقلعة في المغرب الأوسط وفاس في المغرب الأقصى في نشأة نمط معماري يجمع بين التأثيرات المشرقية والأندلسية والتأثيرات المحلية.

اهتمت العديد من الدراسات الأكademie بالعمارة الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي من كل جوانبها، حيث تناولت العمارة الدينية كالمساجد والأضرحة والمدنية كالقصور والمنازل والعسكرية كالأربطة ورغم الأهمية البالغة التي تمثلها فترة المرابطين والموحدين إلا أن الجانب العمراني خلال هذه الفترة لا يزال يعرف نقصاً واهتمامـاً من قبل الباحثـين.

تنوعت العوامل الدينية المرابطية والمحمدية من مساجد ومدارس وكتاتيب وبقايا المساجد والتي تعد شاهد عيان على ما بلغته دولة المرابطين والمحمدية من ازدهار وتطور عمراني وقد عرفت زيادات في المساحة في كلا الفترتين تبعاً لزيادة الكثافة السكانية حيث تم توسيعة مسجد القرويين في العهد المرابطي ومسجد الكتبية في العهد المحمدية، ويحق لأهل الجزائر الافتخار ببقاء المعالم الدينية للدولة المرابطية والتي تحمل رسائل إنسانية تبيّن اهتمام المرابطين بالفن المعماري وترتدي على الصورة النمطية الوحيدة التي تنشرها مراجع المستشرقين مردّها التقليل من شأن هذه الدولة ومسيرتها التاريخية.

تميزت العوامل الدينية المرابطية بالنقش والبساطة فشيّدوا مساجد تعتمد على الأقواس مع اهتمام خاص بالمحاريب والمنابر ودليل ذلك صمود منبر المسجد الكبير للجزائر إلى اليوم وهو في صورة جيدة، أمّا المحمدون فقد سعوا إلى إضفاء طابع الضخامة والاتساع واعتمدوا على الزخارف ذات الطابع الهندسي مما جعل مساجدهم أكبر حجماً وجمالاً من مساجد المرابطين، إضافة إلى وجود مراافق معمارية لم تكن في الفترة المرابطية كالمنذنة والأعمدة الحجرية والرخامية التي يعطي بها السقف.

كانت المساجد أحد الأدوات التي استخدمت في الصراع الفكري الإيديولوجي بين المرابطين والمحمدية ودليلنا على ذلك ما كان يقوم به المهدي بن تومرت عند مروره بالمساجد المرابطية حيث كان يوجه انتقاداته لحكام المرابطين وسياساتهم، وكانت نتيجة هذا الصراع عمليات التحريب التي طالت المنشآت الدينية المرابطية كما رأينا ذلك في مسجد مراكش الذي تم غلقه وهدمه من قبل المحمدية.

أمّا في مجال العمارة المدنية فقد أدت السلطة السياسية المتمثلة في الجانب المرابطي وكذا المحمدية دوراً كبيراً في الدفع بالحركة العمرانية واعتبرته وسيلة لتوسيع الملك وهيبة الدولة.

-تمكن المرابطون من بناء عديد المدن كمدينة مراكش في المغرب الأقصى والتي تعتبر من أهم منجزاتهم العمرانية حيث أصبحت مركزاً للحضارة في المغرب الإسلامي مما جعل أعدائهم المحمدية يحافظون عليها كقاعدة لهم كما كان لبناء المدن نصيب في المغرب الأوسط حيث تم تشييد مدينة تاقرارت.

كان لبيئة المرابطين الصحراوية تأثير في بناء المدن الصحراوية والمراکز التجارية كمدينة تبلاطة وأرتنيوازوكي ومدينةبني تاودا.

-استطاع الموحدون بناء مدن وتطوير البعض مما تركه المرابطون وأظهرت المقارنة أنَّ الموحدين كانوا أكثر نشاطاً ومبادرة من المرابطين حيث تركوا بصماتهم العمرانية في بلاد المغرب والأندلس وقد شملت المنشآت المدنية مدينة رباط الفتح وتطوير العاصمة مراكش ومدينة جبل طارق، إضافة إلى الدور والحمامات والأسواق والفنادق.

سعى المرابطون إلى حدٍ كبير للاكتفاء بالمنشآت الضرورية كالأسواق والدور مراعاة لحياة الرُّهُد والتقطُّف وتجنب التبذير، بينما عرف العصر الموحدي افتاحاً كبيراً على مختلف المرافق حيث بُنيت القصور الواسعة والحدائق والبيمارستانات انعكاساً لرغبة الدولة في تثبيت السلطة وتحقيق الرفاه في العمران.

سكن المرابطون القصور والتي توفرت على جميع المرافق الحياتية وكانت أكثر تحصيناً بسبب طبيعة النظام العسكري غير أنَّ قصور الموحدين عكست اهتمامهم الكبير بالأبهة والرُّخوفة كونها تعكس قوة الدولة وكانت أكثر افتتاحاً على الطابع المدني وذلك راجع كما رأينا لتأثيرهم بقصور ملوك الطوائف.

أما في جانب العمارة الحربية، اتضح من خلال المقارنة أنَّ كلاً من المرابطين والموحدين اهتماً بتحصين وتسوير المدن، فقد اتسمت التحصينات المراطبية بالقوة والمثانة والتركيز على الجانب الوظيفي، بينما ركز الموحدون على تشييد الأسوار والأبراج وفق هندسة أكثر تطوراً شملت الجمع بين الجانب الوظيفي والنفاذ في الجانب الجمالي والزخرفي.

اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أنَّ العمارة ليست مجرد مبانٍ وهيكل صامدة بل هي انعكاس لصورة للمجتمع لأنَّه غالباً ماتصف حقيقة العلاقات التي كان يعيشها الأفراد سواء من الناحية السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، فمن خلال القصور يمكننا تحديد مستوى معيشة حكام الدولة ومن خلال المنشآت العامة وخاصة الدور والأزقة يمكننا تحديد الوضعية التقريبية للفرد وأهم المشاكل الاجتماعية المتعلقة بالأحياء السكنية في تلك الفترة وأهم الحلول التي قدّمتها كلٌّ من

القضاء وأصحاب الحسبة، إلى جانب دراسة المنشآت الحربية كالحصون والأسوار يمكن للمؤرخ معرفة الحالة الأمنية للدول.

وصلتنا معلومات معتبرة فيما تعلق بدولة المرابطين خاصةً ما تعلق بالجانب السياسي كالحروب وأخبار حكام الدولة خاصةً يوسف بن تاشفين وابنه علي، أمّا ماتعلق بالجانب الحضاري بمختلف أنواعه الديني والمدني أو الحربي، فنجد أنّ أغلب المؤرخين والباحثين أغفلوا هذا الجانب ومردّ هذا النقص مجموعة من الإعتبارات تمّ ذكر بعضها في متن الأطروحة على عكس دولة الموحدين أين كانت النصوص أكثر حضوراً.

كان للتطور الاقتصادي واستقرار الأوضاع أو اضطرابها أثر كبير على العمران في العهدين كليهما فصاحب حياة الترف تطور حضاري وعماني وكان لاضطراب الأوضاع السياسية أثره في تراجع العمران وخرابه.

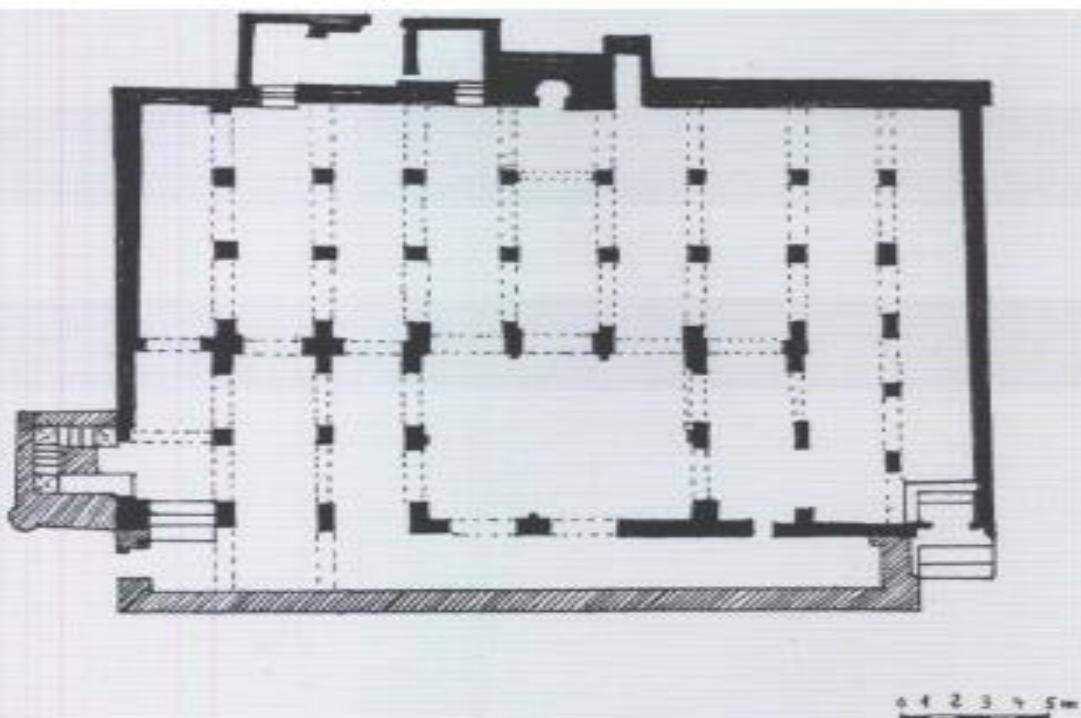
عموماً يمكن القول إنّ التطور الحضاري صاحب دولة المرابطين وأكملته دولة الموحدين وهذا أمر طبيعي كون قيام الدولتين لم يكن في نفس الفترة حيث إنّ الموحدين استفادوا من خبرات سابقيهم مع تحسّن في الموارد الاقتصادية والتحولات السياسية والدينية.

يتضح مما سبق أنّ المغرب الإسلامي شهد في عصر المرابطين ثمّ عهد الموحدين نشاطاً معمارياً وازدهاراً عمانيّاً نشطاً حيث ازدانت البلاد في عهدهم بمختلف المنشآت العمانيّة الدينية والمدنية الحربية وأنّ هذا النشاط قد ورثته الدول الثلاثة التي خلفت الموحدين الزبيانيون والحفصيون والمرinيون.

في ضوء ما نقدم نكون قد أوضحنا أبرز أوجه التشابه والاختلاف في مجال النشاط العمراني بالمغرب الإسلامي في فترتي المرابطين والموحدين في ضوء ما سمحتنا لنا به المصادر التاريخية التي حصلنا عليها ولكن ميدان البحث مايزال مفتوحا لأن الشواهد الأثرية لم تكشف عن كل أسرارها، مما يفتح مجالا لدراسات أكثر عمقا.

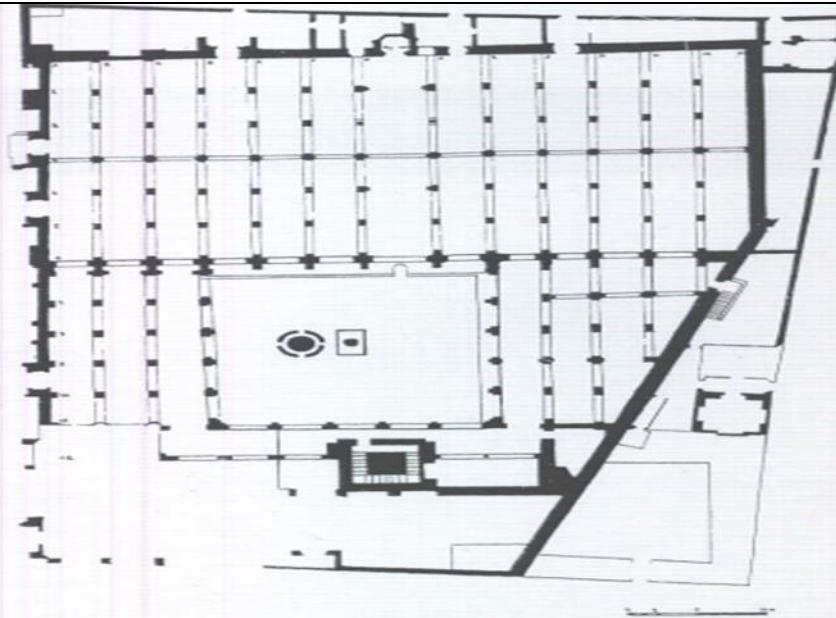
الملاحق

شكل رقم 01: مخطط مسجد ندرومة



نقاً عن: راجح فيسة، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة، ص 227.

الشكل رقم 02: مخطط المسجد الكبير المرابطي في تلمسان



نقلًا عن محمد رابح فيسة، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة، ص 228

الملحق رقم 01: صورة لمئذنة جامع القيروان



نقلًا عن بسمة حسام أبو المعاطي منصور، توسيعات المساجد الجامعية الألفية، ص 536.

الملحق رقم 02: صورة لمدينة قلعة بني حماد



من تصوير الطالب المعايضيد - المسيلة - 13 أفريل 2022

الملحق رقم 03: صورة لواجهة مسجد ندرومة المرابطي



من تصوير الطالب بتاريخ : 01 أبريل 2025 في ندرومة- تلمسان -الجزائر.

الملحق رقم 04: صورة لوحه تشير إلى بناء المسجد المرابطي في ندرومة



تصوير الطالب، المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية -الجزائر العاصمة- بتاريخ
12-أפרيل 2025.

الملحق رقم 05: صورة لصحن جامع تلمسان وواجهته



من تصوير الطالب بتاريخ 01 أفريل 2025 تلمسان الجزائر

الملحق رقم 06: صورة خارجية لجامع تلمسان



من تصوير الطالب، بتاريخ 01 أبريل 2025 في تلمسان الجزائر

الملحق رقم 07: صورة لواجهة مسجد الجزائر المرابطي



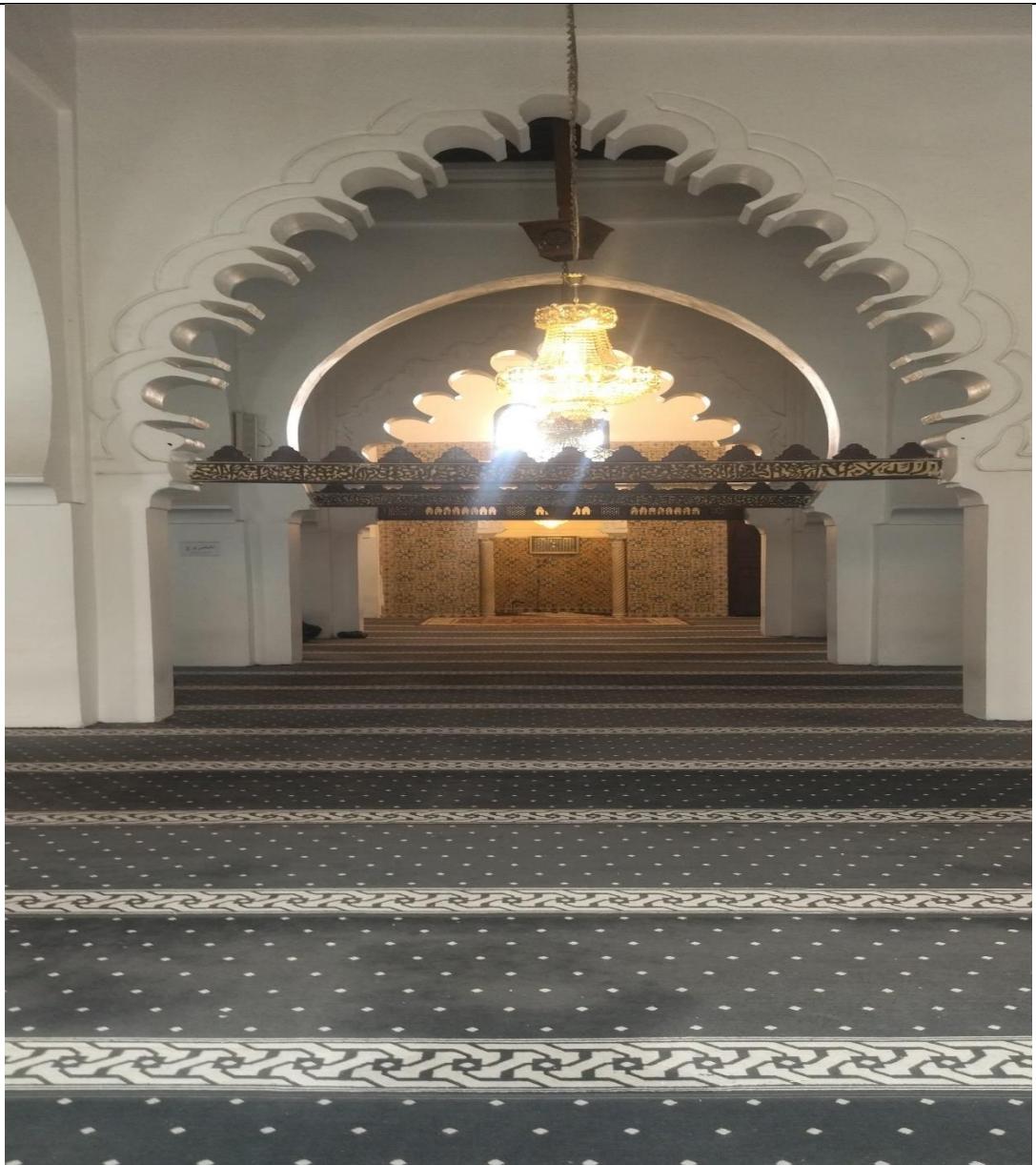
من تصوير الطالب بتاريخ 12 أفريل 2025-الجزائر العاصمة

الملحق رقم 08: صورة لمنبر الجامع الكبير المرابطي



من تصوير الطالب بتاريخ 12 أفريل 2025 متحف الآثار القديمة والفنون الإسلامية- باردو-
الجزائر العاصمة

الملحق رقم 09: صورة للعقود المفصصة لجامع الجزائر المرابطي



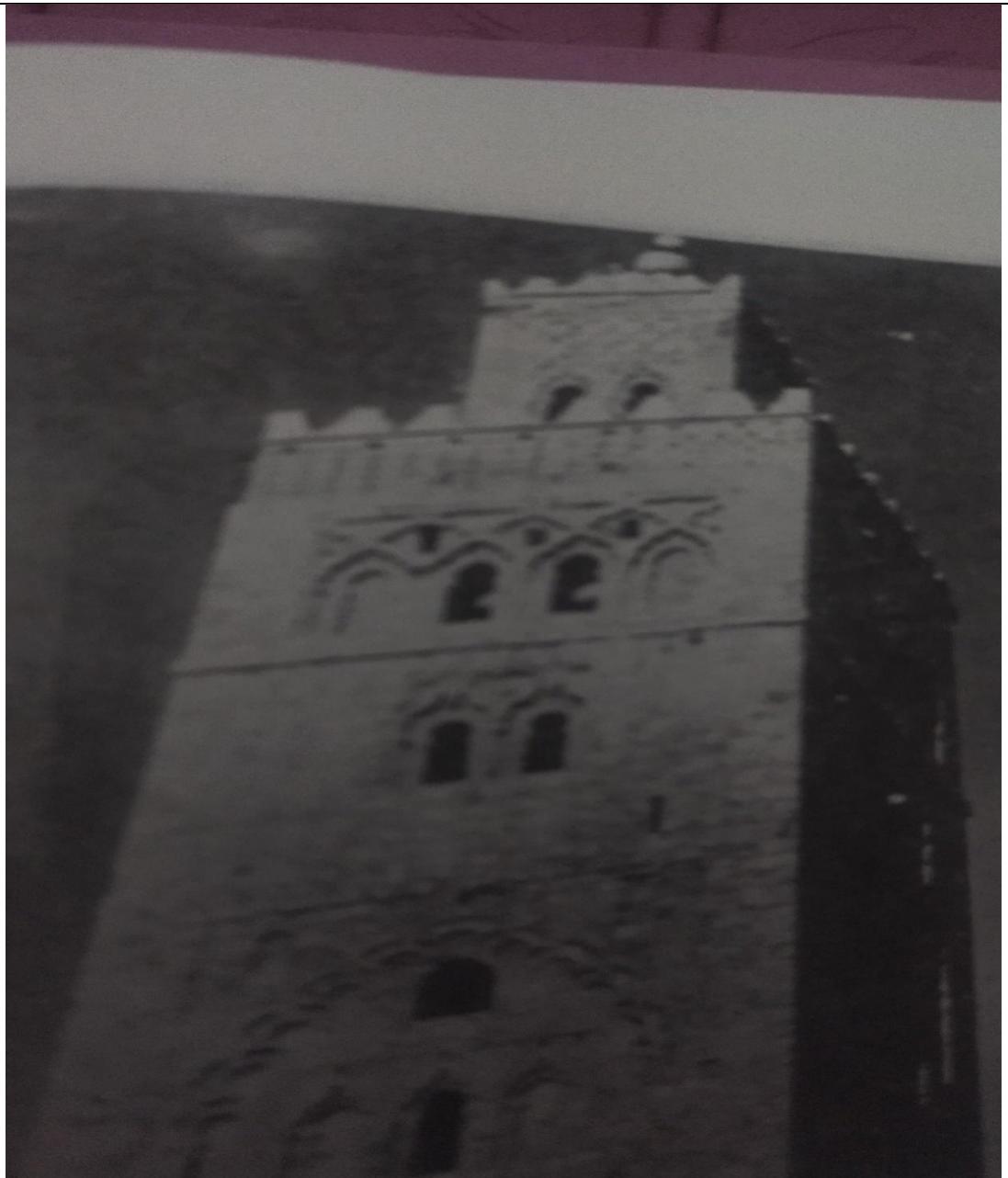
من تصوير الطالب بتاريخ 12 أفريل 2025، الجزائر العاصمة

الملحق رقم 10: صورة لمئذنة جامع الجزائر



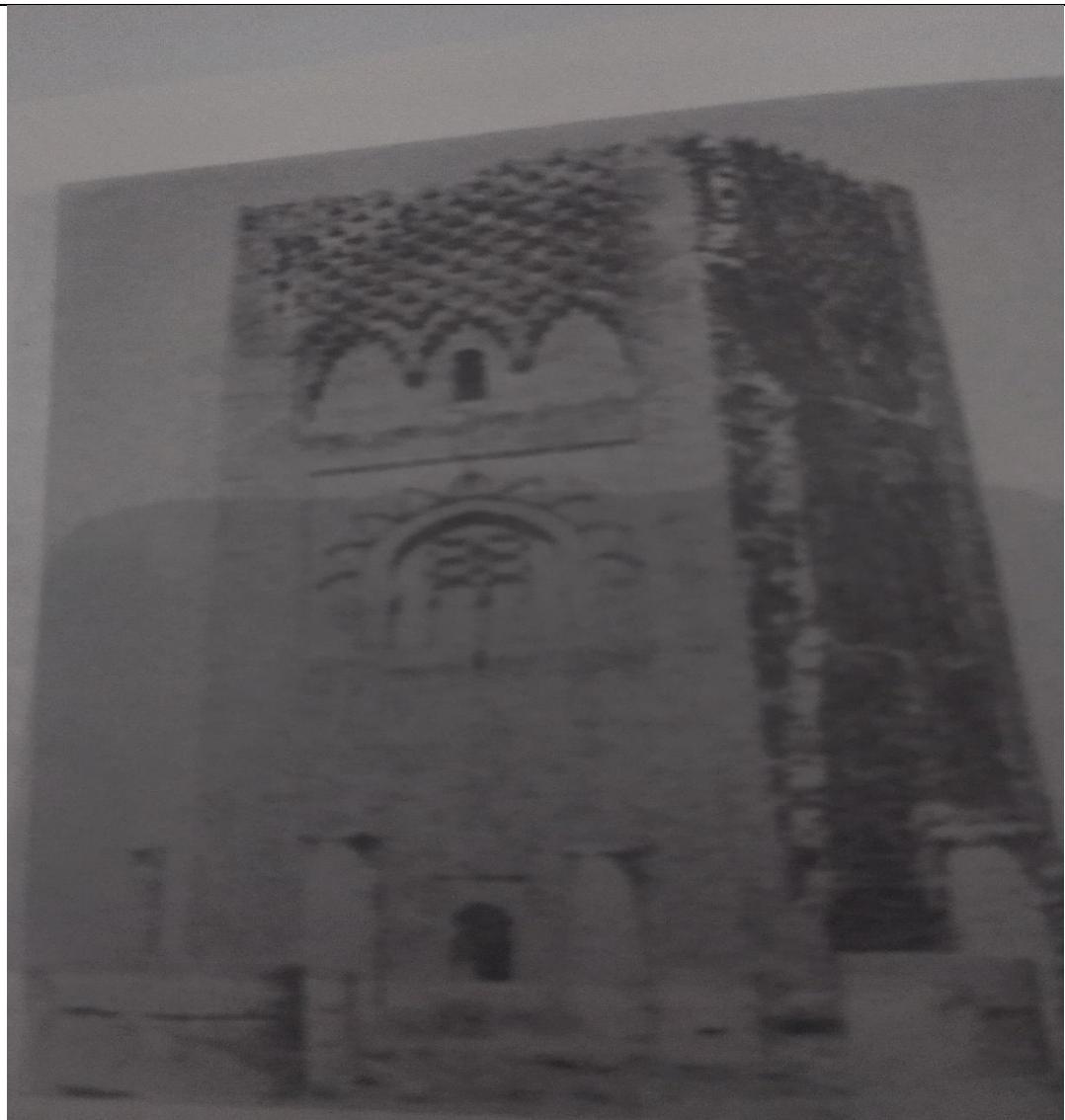
من تصوير الطالب بتاريخ 12 أفريل 2025 الجزائر العاصمة

الملحق رقم 11: صورة لمئذنة جامع الكتبية بمراكش



نقلًا عن صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 158

الملحق رقم 12: صورة لمئذنة جامع حسان برباط الفتح



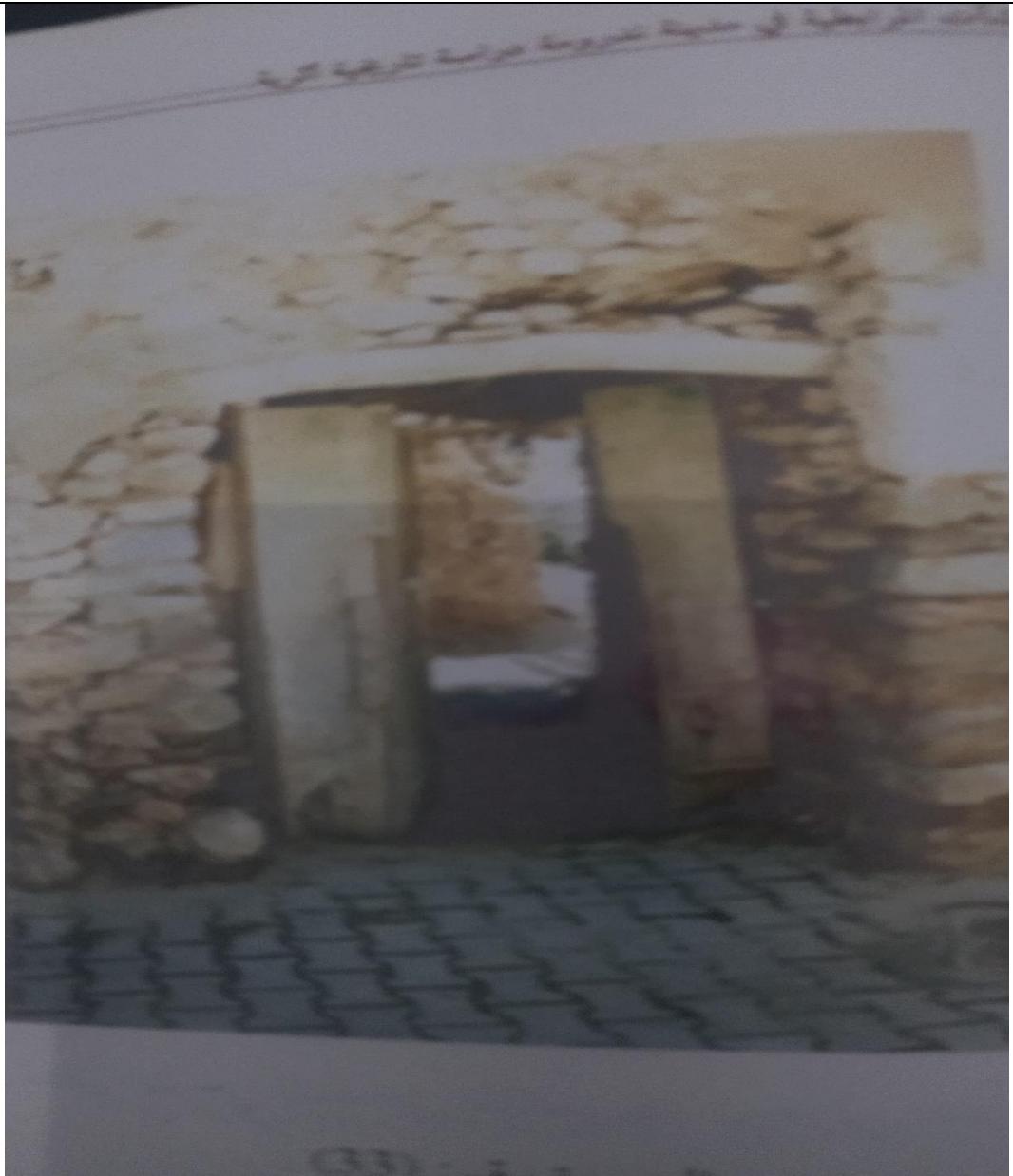
نقلًا عن صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 159.

الملحق رقم 13: صورة لنموذج قصر تم بناؤه في فترة المرابطين



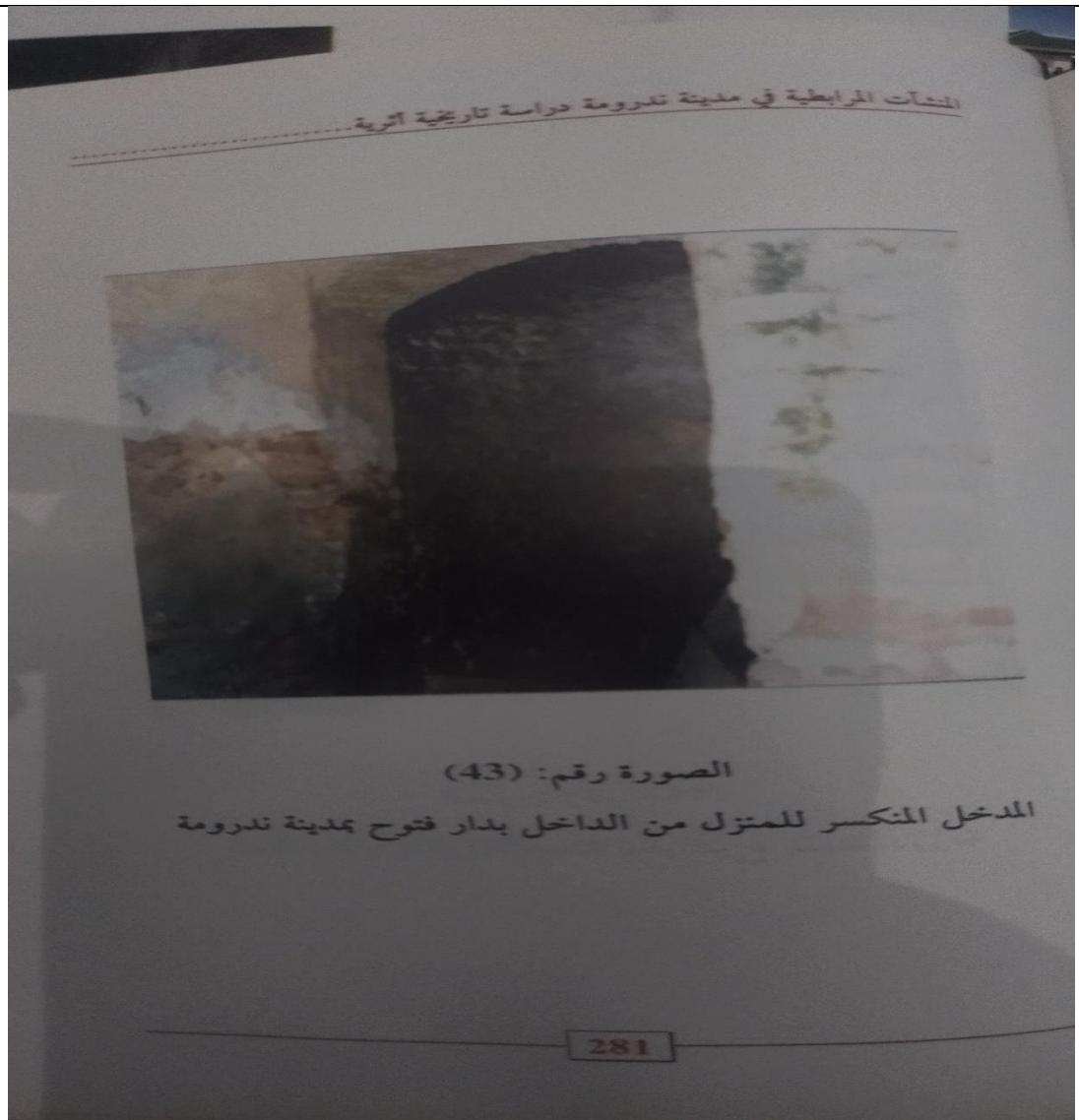
من تصوير الطالب، قصر مغار، النعامة – الجزائر بتاريخ 04 أبريل 2025

الملحق رقم 14: صورة لواجهة منزل زرهوني يعود بناؤه لفترة المرابطين



نقلًا عن محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 271.

الملحق رقم 15: صورة لواجهة منزل الفتوح الذي يعود لفترة المرابطين



نقلًا عن محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص 281

الملحق رقم 16: صورة لمدخل الحمام البالي الذي يرجح أن بناءه يعود لفترة المرابطين وهو مقابل للجامع المرابطي



من تصوير الطالب بتاريخ 01 أفريل 2025

الملحق رقم 17: صورة توضح الموقع الاستراتيجي لدار السلطان الموحدى بمدينة هنين



من تصوير الطالب ندرومة تلمسان بتاريخ 01 أفريل 2025

الملحق رقم 18: صورة لبرج نونة الذي بناه الموحدون بمدينة هنين



من تصوير الطالب ندرومة تلمسان بتاريخ 01 أبريل 2025.

الملحق رقم 19: صورة لبرج سيدى إبراهيم المعروف عند السكان المحليين ببرج إسبانيول



من تصوير الطالب هنين تلمسان بتاريخ 01 افريل 2025

الملحق رقم 20: صورة توضح حجم أسوار تعود لفترة الموحدين



من تصوير الطالب مدينة هنين - تلمسان - الجزائر بتاريخ 01 أبريل 2025.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. المصادر:

1. ابن البار أبو عبد الله (ت 865هـ/1260م)، تحفة القايد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
2. -----، الحلة السيراء، تحرير حسين مؤنس، ج 2، ط 2، دار المعارف، 1985م، القاهرة.
3. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزري (ت 630هـ/1233م) الكامل في التاريخ، تحرير عمر عبد السلام التدمري، ط 1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1997م، ج 8.
4. آباديا الفيروز، بصائر ذوي التمييز في طائف الكتاب العزيز، ج 2، تحرير محمد علي النجاشي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1996.
5. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، (ت 807هـ/1404م)، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، 1972.
6. الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريفي السبتي، (ت حوالي 560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط 1، بيروت، عالم الكتب، 1988.
7. ابن أبي أصيبيعة أبو العباس أحمد ابن القاسم الخزرجي، (ت 668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحرير نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، دولة.
8. ابن الأزرق أبو عبد الله محمد الأندلسي، (ت 897هـ/1491م)، بدائع السلك في طبائع الملك، ج 1، تحقيق علي سامي النشار، ط 1، وزارة الإعلام، العراق.
9. الاصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت 340هـ/951م) المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، 2004م.
10. الأصفهاني الراغب (ت 506هـ/1112م)، المفردات في غريب القرآن، تحرير صفوان عدنان الداؤدي، ط 1، دمشق، دار القلم، 1412هـ.
11. ابن الرامي، الإعلان بأحكام البناء، تحرير فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، 1999.
12. الأمسى محمد، (ت 940هـ/1533م)، روض الأخيار المنتخب في ربيع الأبرار، ط 1، دار القلم العربي، حلب، 1423.

13. البخاري، أبو عبد الله محمد بن سماويل، (ت 256هـ/869م)، *صحيح البخاري*، ج 1، دار طوق النّجاة، بيروت.
14. بسام الشنيري أبو الحسن، (ت 542هـ/1147م)، *الذخيرة في محسن أهل الجزيرة*، ج 5، تح إحسان عباس، ط 1، ليبيا، تونس الدار العربية للكتاب، 1981.
15. أبوبكر ابن العربي القاضي، (ت 543هـ/1148م)، *قانون التأويل*، تح محمد السليماني، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1986.
16. البكري أبو عبيد الله (ت 484هـ/1094م)، *المسالك والممالك*، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
17. البيدق أبو بكر ابن علي (ت 594هـ/1159م)، *أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين*، تح عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقه، الرباط، 1973.
18. الترمذى محمد بن عيسى، (ت 279هـ/892م) *سنن الترمذى*، ج 5، تح محمد شاكر، آخرون، ط 2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، 1975.
19. التبكىي أحمد بابا، (ت 1036هـ/1627م)، *نيل الابتهاج بتطريز الدبياج*، تح عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 2، ليبيا، دار الكاتب، 2000.
20. التهانوى محمد ابن علي ابن القاضي (ت بعد 1158هـ/1745م) *كشف اصطلاحات الفنون والعلوم*، ج 2، تحقيق علي درحوج، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.
21. ابن تومرت (ت 524هـ/1129م)، *أعز ما يطلب*، تح عمار طالبى، الجزائر، وزارة الثقافة، 2007.
22. التالدى، يوسف بن يعقوب الزيات (ت 628هـ/1230م) *التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي*، تح أحمد التوفيق، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1984.
23. التميمي أبو العرب، *طبقات علماء إفريقيا وكتاب طبقات علماء تونس*، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
24. الجنائى أبو الحسن علي، (ت 807هـ/1404م)، *جي زهة الآس في بناء مدينة فاس*، تح، عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1991.

25. الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت 478هـ/1085م)، نهاية المطلب في دراية المذهب، ج 2، ط 1، تحرير ركن الدين، دار المنهاج، 2008.
26. أبو جعفر الجذامي (ت 598هـ/1202م) الانتخاب في شرح أدب الكتاب، ج 1، ط 1، الجزائر مركز الإمام الشاعابي للدراسات، 2009.
27. الحجوي محمد الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
28. ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1064م)، المحلى بالآثار، تحرير عبد الغفار البنداري، ج 3، دار الفكر، بيروت، 1988.
29. الحموي ياقوت (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، ط 2، بيروت، دار صادر، 1995.
30. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي، (ت 900هـ/1494م)، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، ط 2، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980.
31. -----، صفة جزيرة الأندلس، تحرير ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، 1988.
32. الحميري نشوان بن سعيد (ت 573هـ/1177م) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحرير حسين بن عبد الله العمري، ج 10، ط 1، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1999.
33. ابن حوقل أبو القاسم محمد ابن علي البغدادي (ت 380هـ/990م)، صورة الأرض، دار صادر، ط، بيروت، 1938.
34. ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ.
35. -----، الحل الموسوية في ذكر الأخبار المراكشية، ط 1، تونس، مطبعة التقدم الإسلامية، 1911.
36. -----، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحرير أحمد المختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

37. ابن خلدون عبد الرحمن، (ت 808هـ/1406م) *العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر*، ج 1، مراجعة، سهيل زكار، ط 1، بيروت، دار الفكر، 2004م.
38. ابن خلكان أبو العباس، (ت 681هـ/1282م)، *وفيات الأعيان وأنباء الزمان* تح إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1994.
39. خليل بن إسحاق الجندي المالكي المصري، (ت 776هـ/1374م)، *التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب*، تح أحمد بن عبد الكريم نجيب، ج 1، ط 1، مركز نجيبوبي للمخطوطات وخدمة التراث، قطر، 2008.
40. خيّاط ابن خليفة، *تاريخ خليفة بن خيّاط*، ط 2، بيروت، مؤسسة القلم، 1977م.
41. خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، (ت 1396هـ/1996م)، *كتاب الأعلام*، ج 4، ط 15، دار العلم للملائين، لبنان، 2002.
42. ابن دحية الكلبي، (ت 633هـ/1236م)، *المطرب في أشعار أهل المغرب*، تح إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع، بيروت، دت.
43. الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، (ت 670هـ/1271م)، *طبقات المشائخ بالمغرب*، ج 1، تح إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974.
44. الدمشقي ناصر الدين، (ت 842هـ/1438م)، *توضيح المشتبه بضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم*، تح، محمد نعيم العرقاوي، ج 7، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
45. ابن دقيق العيد، (ت 702هـ/1302م) *شرح الأربعين النووية*، ط 6، مؤسسة الريان، لبنان، 2003م.
46. ابن أبي دينار أبو عبد الله الشيخ محمد ابن القاسم الرعيني القيرولي، (كان حيًّا 1110هـ/1698م) *المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس*، ط 3، بيروت، دار المسيرة، 1993.
47. الذهبي شمس الدين، (ت 748هـ/889م)، *سير أعلام النبلاء*، تح، حسين أسد وآخرون، ج 12، ط 3، دمشق، مؤسسة الرسالة، 1985.
48. ———، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تح عمر عبد السلام التتمري، ج 43، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993.

49. ابن ربيع شهاب الدين أحمد ابن محمد، (ت 272هـ/887م)، *سلوك المالك في تدبير المالك*، تحقيق ناجي التكريتي، دار الأندرس، بيروت، 1981.
50. ابن رشد أبو الوليد القرطبي الجد، (ت 520هـ/1126م)، *مسائل أبي الوليد ابن رشد*، تح، محمد الحبيب التجانى، ج 1، ط 2، دار الجيل، بيروت 1993
51. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، *تاج العروس من جواهر القاموس*، ج 26، د ط، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001.
52. زين الدين الرازى، (ت 666هـ/1267م)، *مختر الصحاح*، ط 5، بيروت، الدار النموذجية، 1420هـ/1999م.
53. السبكي تاج الدين عبد الوهاب (ت 771هـ/1369م)، *طبقات الشافعية الكبرى*، تح محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط 2، هجر للطباعة، 1992.
54. السقطي المالقى، أبو عبد الله محمد ابن أبي محمد (ت 12هـ/412م) *آداب الحسبة*، تح ليفي بروفنسال وكولان، باريس، إرنسيلورو، 1931.
55. ابن سهل أبو الإصبع عيسى ابن سهل ابن عبد الله الأستى (ت 484هـ/1093م)، *الإعلام بنوازل الأحكام و قطر من سير الأحكام*، أو ديوان الأحكام الكبرى، القاهرة، دار الحديث، 2007.
56. -----، *وثائق في شؤون العمران في الأندرس المساجد والدور*، تح محمد عبد الوهاب خلاف، ط 1، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، 1983.
57. ابن سيد المرسي، (ت 458هـ/1066م) *المحكم والمحيط الأعظم*، تح عبد الحميد هنداوى، ج 7، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م.
58. ابن سعيد أبو الحسن علي ابن موسى (ت 685هـ/1286م)، *بسط الأرض في الطول والعرض*، تح حوان قرنيط، معهد مولاي، تطوان، 1958م.
59. -----، *المغرب في حل المغرب*، ج 2، تح، شوقي ضيف، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1955.
60. -----، *كتاب الجغرافيا*، تح إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والتشر، بيروت، 1970.

61. السُّمَلَّاَيِّ العَبَّاسُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَاضِيِّ، (ت 1378هـ/1958م)، تَحْ عَبْدُ الْوَهَابِ ابْنُ مُنْصُورَ، الْإِعْلَامُ بِمَنْ حَلَّ بِمَرَّاَكِشِ وَأَغْمَاتِ مِنَ الْأَعْلَامِ، ط 2، الْرِّبَاطُ، الْمَطْبَعَةُ الْمُلْكِيَّةُ، 1993م.
62. الشَّاطِبِيُّ أَبُو إِسْحَاقِ إِبْرَاهِيمِ ابْنِ مُوسَى الْلَّخْمِيِّ، (ت 790هـ/1388م)، الْمَوْافِقَاتُ، ج 6، ط 1، تَحْ أَبُو عَبِيدَةِ مَشْهُورٍ، دارِ ابْنِ عَفَانَ، 1997.
63. الشَّمَاخِيُّ أَحْمَدُ ابْنُ سَعِيدٍ (ت 928هـ/1522م)، كِتَابُ السَّيِّرِ، تَحْ أَحْمَدُ ابْنُ سَعْدٍ السَّيَابِيِّ، مَسْقَطُ، وزَارَةُ التِّرَاثِ الْقَوْمِيِّ وَالثَّقَافَةِ، 1992.
64. شَمْسُ الدِّينِ الْذَّهَبِيِّ، (ت 748هـ/1347م)، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ وَوَفَيَاتُ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ، تَحْ عَمَرُ عَبْدُ السَّلَامِ التَّدْمِرِيِّ، ج 43، ط 2، دارِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوتُ، 1993.
65. ابْنُ الصَّغِيرِ الْمَالِكِيِّ، أَخْبَارُ الْأَئِمَّةِ الرَّسْتَمِيِّينَ، تَحْقِيقُ، إِبْرَاهِيمَ بَحَازَ وَمُحَمَّدَ نَاصِرَ، جُمُعَيْةُ التِّرَاثِ، دَتُّ، الْجَزَائِرُ.
66. الصَّفْدِيُّ صَلَاحُ الدِّينِ، (ت 776هـ/1375م) الْوَافِيُّ بِالْوَفَيَاتِ، ج 28، تَحْ أَحْمَدُ الْأَرْنَاؤُوطُ وَتُرْكِيُّ مُصْطَفِيُّ بَيْرُوتِ، دَارُ الْإِحْيَاءِ، 2000م.
67. ابْنُ الصَّبِيرِفِيِّ أَبُو بَكْرٍ يَحِيَّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوَيْفِ الْأَنْصَارِيِّ، (ت 557هـ/1161م)، الْأَنْوارُ الْجَلِيلَةُ فِي أَخْبَارِ الدُّولَةِ الْمَرَابِطِيَّةِ، تَحْ مُحَمَّدُ عَلِيٍّ دَبُورُ، دَارُ النَّابِغَةِ، مَصْرُ 2018م.
68. ابْنُ عَذَارِيِّ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرَاكِشِيِّ (كَانَ حَيَا فِي 712هـ/1312م) الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ فِي أَخْبَارِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ، ج 1، ط 3، دَارُ الثَّقَافَةِ، بَيْرُوتُ، 1983م.
69. الْعَرَبِيُّ أَبُو بَكْرِ الإِشْبِيلِيِّ الْمَالِكِيِّ، (ت 543هـ/1148م)، الْمَسَالِكُ فِي شَرْحِ مَوْطَأِ مَالِكِ، ج 1، ط 1، بَيْرُوتُ، دَارُ الْغَربِ الْإِسْلَامِيِّ، 2008.
70. الْعُمَرِيُّ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ، (ت 749هـ/1348م) مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ، ج 4، ط 1، أَبُو ظَبِيِّ، الْمَجْمِعُ الْعَالَمِيُّ، 1423هـ.
71. عَيَّاضُ الْقَاضِيِّ، أَبُو الْفَضْلِ، (ت 844هـ/1401م)، التَّبَيَّنُاتُ الْمُسْتَبْطَنَةُ عَلَى الْكُتُبِ الْمُدَوَّنَةِ وَالْمُخْتَلَطَةِ، ج 2، تَحْ، مُحَمَّدُ الْوَثِيقُ، الدَّكْتُورُ عَبْدُ النَّعِيمِ حَمِيَّيِّ، ط 1، بَيْرُوتُ، دَارُ ابْنِ حَزَمِ، 2011.
72. —————، تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ وَتَقْرِيبُ الْمَسَالِكِ، ج 8، تَحْقِيقُ أَحْمَدِ أَعْرَابِ، ط 1، الْمَغْرِبُ، مَطْبَعَةُ فَضَالَّةِ، 1983.

73. علي ابن الحسن الملقب بـ كراعالنمل، (ت بعد 309هـ/921م)، المنتخب من كلام العرب، تح محمد بن أحمد العمري، ط1، جامعة أم القرى، 1979.

74. العيني بدر الدين(ت 755هـ/1354م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزَّمان، ج4، ت، محمود رزق محمود، القاهرة، دار الكتب والوثائق، 2010.

75. الغازى محمد أبو عبد الله محمد ابن أحمد، (ت 919هـ/1513م)، الرُّوض الْهَتُون في أخبار مكناسة الْزَّيْتون، تح عبد الوهاب ابن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1988.

76. الفتح بن خاقان الوزير أبو نصر محمد القيسى الإشبيلي، (ت 529هـ/1134م) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح حسين يوسف خرشوش، ط1، الأردن، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، 1989.

77. -----، مطعم الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط1، تح محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1983.

78. الفاسي ابن أبي زرع علي (كان حيا سنة 726هـ/1326م) الأنیس المطرب بروض القرطاس في ذكر ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

79. أبو الفدا عماد الدين إسماعيل ابن محمد ابن عمر، (ت 732هـ/1332م)، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، دت.

80. قالى أبو علي ، البارع في اللّغة، تحقيق هشام الطعان، ط1، بيروت، دار الحضارة العربية، 1975، ص 557.

81. الفسطاطي أبو العباس ، (كان حيا في 504هـ/1110م)، القسمة و أصول الأرضين، تح بكير بم محمد الشّيخ بلحاج و محمد صالح ناصر، ط2، القرارة، الجزائر، جمعية التّراث، 1997.

82. ابن القاضي المكناسي (ت 1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، الرباط، دار المنصور، 1973.

83. القطبان أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي، (ت 628هـ/1230م)نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزَّمان، تح محمد علي مكي، ط2، دت.

84. -----،**أحكام النظر في أحكام النّظر بحاسة البصر**، تح إدريس الصّمدي، ط1، دار القلم، دمشق، 2012.
85. القلقشندی أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م)،**قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزّمان**، تح إبراهيم الإبياري، ط2، دار الكتاب المصري، 1986-1406.
86. -----،**صبح الأعشى في صناعة الإنسا**، ج5، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987.
87. القيرواني ابن أبي زيد، (ت 386هـ/996م)،**النّوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تح عبد الفتاح محمد الحلو، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
88. القيسي أبو علي، (ت 6هـ/12م)**إيضاح شواهد الإيضاح**، ج1، تح محمد بن محمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
89. ابن القنف أبو العباس أحمد ابن الحسين القسنتيني، (ت 810هـ/1407م)،**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح محمد الشاذلي النمير و عبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية، 1968م.
90. ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم**، تح سامي بن محمد السالمة، ج6، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999.
91. ابن الكرديوس أبو مروان عبد الملك محمد بن القاسم، (ت 580هـ/1184م)،**الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تح صالح بن عبد الله الغامدي، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 2008.
92. اللخمي أبو الحسن (ت 478هـ/1085م)،**التّبصّرة**، تح أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2011م.
93. ابن ماجة أبو عبد الله محمد ابن يزيد القزويني، (ت 273هـ/886م)،**سنن ابن ماجة**، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، دت.
94. المالكي أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد، (ت بعد 474هـ/1081م)**رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، ج1، تح، بشير البكوش، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994.

95. الماوردي أبو الحسن علي ابن محمد (ت 450هـ/1058م)،**تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك**، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
96. محمد ابن القاسم السبتي، **اختصار الأخبار عما كان يعرف بثغر سبتة من سُنّي الآثار**، ط٢، تحرير عبد الوهاب بن منصور، 1983
97. محمد ابن يوسف الزيني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدى البوعدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1987.
98. المرّاكشي ابن عبد الملك، **الذيل والتكميلة لكتابي الموصول والصلة**، ج٢، ط١، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2012
99. المرّاكشي أبو عبد الملك (ت 647هـ/1250م)**المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن الفتح الأندلس إلى آخر عهد الموحدين**، تحقيق عبد الواحد بن علي التميمي المرّاكشي، ط١، بيروت، المكتبة العصرية، 2002
100. المقدسي أبو عبد الله محمد ابن أحمد، (ت 387هـ/997م)**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٣، دار صادر، بيروت، 1991.
101. المقري التلمساني أحمد، (ت 1041هـ/1631م)**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج١، ط٣، بيروت، دار صادر، 1998.
102. مكناسي ابن القاضي، أبو العباس أحمد لن محمد (ت 1025هـ/1616م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، ج١، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.
103. ابن منظور محمد بن مكرم، (ت 845هـ/1451م)، **لسان العرب**، ج٢، ط١، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م.
104. مؤلف مجهول (عاش خلال القرن 6هـ/12م)**الاستبصار في عجائب الأمصار**، ج١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.
105. مؤلف مجهول (عاش خلال القرن 8هـ/14م) **الحلل الموسوية في ذكر الأخبار المرّاكشية**، تحرير سهيل زكار وعبد القادر زمانة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط١، 1979م.
106. المازوني أبو زكريا (ت 883هـ/1487م)، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحرير مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.

107. النسائي أَحْمَدُ بْنُ شَعِيبٍ (ت 303هـ/915م)، *سنن النسائي*، تَحْ مُحَمَّد رضوان عرقسوسي وآخرون، ج 2، ط 1، دار الرسالة العالمية، سوريا، 2018.
108. النويري أَحْمَدُ شَهَابُ الدِّينِ، (ت 733هـ/1333م) *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج 24، ط 1، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2002.
109. الوزان حسن، (كان حيا ق 10هـ/16م) *وصف إفريقيا*، تر، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.
110. الونشريسي أبو العباس أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى، (ت 914هـ/1508م) *المعيار المعرف والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب*، إخراج جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف، المغرب، وزارة الأوقاف، 1981.
111. الناصري أبوالعباس أحمد ابن خالد، (ت 1315هـ/1898م) *الاستقصاء لدول المغرب الأقصى*، ج 2، تَحْ، جعفر و محمد الناصري، المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء.
112. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامية تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تَحْ عبد الهادي التازني، ط 3، دار الغرب الإسلامي، 1987.
113. الزركشي أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم، (ت 382هـ/1477م) *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تَحْ محمد ماضود، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
114. الزركشي بدر الدين الشافعي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (ت 794هـ/1392م)، *إعلام الساجد بأحكام المساجد*، تَحْ، أبو الوفا مصطفى المراغي، ط 5، القاهرة، 1999م.
115. الزهري أبو عبد الله محمد ابن بكر، (ت 6هـ/12م) *كتاب الجغرافية*، تَحْ محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دت.

II. المراجع:

أ. الكتب باللغة العربية:

1. أحمد رضا، *معجم متن اللغة*، ج 4، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1379هـ/1960م
2. أحمد عيسى، *تاريخ البيمارستانات في الإسلام*، ط 2، بيروت، دار الرائد العربي، 1981

3. أزاد أحمد علي، حول العمارة والتشييد عند ابن خلدون، الفكر الاجتماعي الخلدوني المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008
4. أشقر عمر سليمان، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط4، عمان، دار التفاصي للنشر والتوزيع، 1994.
5. أنس ابن عادل البياتمي، منية الساجد بشرح بداية العابد وكفاية الزاهد، ط1، الكويت، دار ركائز للنشر والتوزيع، 2018.
6. أشياخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2، تر وتع محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1996.
7. إحسان عباس، تاريخ الأدب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، بيروت، دار الثقافة، 1962.
8. برغوثي يوسف، العمارة الإسلامية فن وإبداع، ط1، عمان، دار أمجد للنشر والتوزيع، 2016.
9. باسيليyo بابون مالدونادو، عمارة المساجد في الأندلس غرناطة وباقى شبه الجزيرة الإيبيرية، تر، خالد بسطي، ط1، المسيلة، الجزائر، دار فيرير للنشر والتوزيع، 2015
10. بروفنسال، ليفي الإسلام في المغرب والأندلس، تر السيد محمود عبدالعزيز سالم ومحمد صالح الديم حلمي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1990،
11. بسمة حسام أبو المعاطي منصور، توسيعات المساجد الجامعية الألفية بالمدن الإسلامية شبه الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، ط 1، مصر دار الوفاء لدنيا الطباعة، 2025.
12. بلبکاي جمال وبوطی محمد نور الدين، تأثير العمارة على السلوك الاجتماعي، تنسيق، بشير خلف، الإنسان والعمارة، ط20دي13، الوادي مطبعة سخري
13. بلغيث محمد الأمين، الرابط بال المغرب الإسلامي ودورها في عصرى المرابطين والموحدين، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
14. بلوط عمر ، فنادق مدينة تلمسان الزيانية، ط1،الجزائر، مؤسسة ضحى للنشر والتوزيع، 2011

15. ابن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1988.
16. البهنسى صلاح أَحمد، عمارة بلاد المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ط١، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة، 2023.
17. البهنسى عفيف، معجم العمارة والفن، ط١، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1995.
18. بوتشيش إبراهيم القادري، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2006.
19. -----، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1998
20. -----، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية تطبيقية في التاريخ المنظور من أسفل، ط١، القاهرة، 2014، ص 230-231.
21. بورويبة رشيد ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1979
22. بورويبة رشيد وآخرون، التاريخ السياسي في عهد الرستميين، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج.3.
23. -----، الحياة الفنية في عهد المرابطين والموحدين، الجزائر في التاريخ، ج 3، تع محمد بلقراد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
24. بوطارن مبارك، العوامل الدينية في المغرب الأوسط، تلمسان، دار كنوز، 2011
25. بولعراس خميسى، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين والموحدون، الجزائر ، النشر الجامعي الجديد، 2018.
26. التّازى عبد الهادى، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ج 1، ط٢، الرباط، دار نشر المعرفة، 2000
27. تاوسيخت لحسن، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، ج 1، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.
28. توفيق حمد عبد الجود، العمارة الإسلامية، فكر وحضارة، مصر ، مكتبة الأنجلو مصرية، 1987

29. تيمور أحمد باشا، **معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية**، ج 5، ط 2، مصر، دار الكتب والوثائق القومية، 2002
30. الجابري محمد عابد، **فكر ابن خلدون العصبية والدولة معلم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.
31. جبوري غسان محمد خلف، **التدابير الأمنية في عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (668-1229/430-1038م)**، ط 1، سوريا، صفحات للدراسات والنشر، 2024.
32. جعيط هشام، **الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية**، ط 1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر 1947
33. جيلالي عبدالرحمن، **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، ط 2، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، 1965
34. حجي عبد الرحمن، **السيرة التبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها**، ط 1، دمشق، دار ابن كثير، 1999.
35. حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ج 1، الدار البيضاء، د ط، دار الرشاد الحديثة، 2000
36. حريري محمد عيسى، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس**، ط 3، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1987، ص 96
37. حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني و الثقافي والاجتماعي**، ج 4، ط 14، دار الجبل بيروت، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1416هـ 1996م.
38. حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين صفرة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، ط 2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996
39. حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة صاحب الجلة الملك الصالح فاروق الأول**، ج 1، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1946
40. حسن محمد ، **المدينة والبادية بآفريقيا في العهد الحفصي**، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1999.

41. حسين عبد المنعم حمدي محمد، **التّارِيخُ السّياسِيُّ والْحَضَارِيُّ لِلْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِ الْمَرَابطِينِ**، (د ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997.
42. حمدي عبد المنعم محمد حسين، **التّارِيخُ السّياسِيُّ والْحَضَارِيُّ لِلْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِ الْمَرَابطِينِ**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1997.
43. بن حمو محمد، **الْعِمَانُ وَالْعِمَارَةُ مِنْ خَلَالِ نُوازِلِ الْوَنْشَرِيِّيِّ**، دار الكنوز، الجزائر، 2011م
44. حموش مصطفى، **مَسَاجِدُ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ وَزَوَّاِيَاَهَا وَأَضْرَبْتَهَا فِي عَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ مِنْ خَلَالِ مَخْطُوطِ دِيفُولْكُسِ**، الوثائق العثمانية، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
45. -----،**الْمَدِينَةُ وَالسُّلْطَةُ فِي إِسْلَامِ نَمْوذِجِ الْجَزَائِرِ فِي عَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ**، ط 1، دبي، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، 1999.
46. خالدي أحمد أرشيد، **الْمَدِينَةُ وَالآثارُ إِلَيْهَا**، ط 2، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن، 1436-2010م.
47. خضيري إبراهيم، **أَحْكَامُ الْمَسَاجِدِ فِي الشَّرِيعَةِ إِلَيْهَا**، ج 2، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1419هـ
48. خولي بسيوني محمد، **الْعِمَانُ وَالْمَدِينَةُ زَهْرَةُ الْحَضَارَةِ إِلَيْهَا**، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2023.
49. دورزي رينهارت، **تَكْمِيلَةُ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ**، ج 9، ط 1، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، 2000.
50. دوري عبد العزيز، **أُوراقُ فِي التّارِيخِ وَالْحَضَارَةِ أُوراقُ فِي التّارِيخِ الْإِقْتَصَادِيِّ وَالْإِجْتَمَاعِيِّ**، ط 3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2019.
51. ديو رانت ويليام جيمس، **قَصَّةُ الْحَضَارَةِ**، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران، دار الجيل، لبنان، 2002، ج 12.
52. دبورانت ويل، **قَصَّةُ الْحَضَارَةِ**، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، بيروت، لبنان، 1423هـ-2002م.

53. داود عمر سلامة عبيات، **الموحدون في الأندلس المغرب والأندلس مابين سنتي (1146هـ/1268م)**، دار الواضح للنشر والتوزيع، الأردن، 2005.
54. ذنوب احمد عبد الواحد، **تطوير عمارة المساجد دراسة لدور التكيف في تطوير مساجد القرن الأول الهجري**، ط1، 2014، عمان، دار البيازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2013.
55. رابطة الدين محمد، **مراكش زمن حكم الموحدين جوانب من تاريخ المجال والإنسان**، ج2، ط2، مراكش، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، 2016.
56. رحاب محمد السيد ، العوامل الدينية والجنازية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين دراسة آثرية معمارية، ط1، القاهرة، دار الأزهر ، 2008.
57. زغروت يوسف، **الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين المغرب والأندلس**، ط1، القاهرة، دارالتوزيع والنشر الإسلامية، 2005.
58. سالم السيد عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مصر، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، 1999م.
59. سامح كمال الدين، **العمارة في صدر الإسلام**، د. ط، مصر، المؤسسة المصرية العامة، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د.ت.
60. شواكري منير، **أسس قيام الدولة في المغرب الإسلامي وفق نظرية ابن خلدون**، نشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2016م
61. صفوت أحمد زكي ، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، ج3، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
62. ضيف شوقي ، **تاريخ الأدب العربي**، ج10، ط1، مصر ، دار المعارف، 1990م
63. طرشاوي بلحاج، **العمارة الإسلامية أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية**، دار النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 2017.
64. الطمار محمد ابن عمرو، **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984.
65. طيار مساعد، **فصل في أصول التفسير**، ط2، دار ابن الجوزي، 1423هـ.

66. عابد أحلام وبوغواص زبيدة، *فن العمارة بين التأصيل والتغريب*، تسيق بشير خلف، *الإنسان والعمارة*، الوادي، مطبعة سخري، 2013.
67. عادل محمد زيادة، *التراث المعماري الديني بتلمسان منذ عصر المرابطين ودوره في التواصل الحضاري بين شرق العالم الإسلامي وغربه*، تلمسان الإسلامية، بين التراث العماني والمعماري والميراث الفنّي، تلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011.
68. عاشور محمد الطاهر، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، ج 2، تحرير محمد الحبيب ابن الخوجة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004.
69. عباد الصاحب، *المحيط في اللغة*، ج 5، تحرير محمد حسن آل ياسين، ط 1، بيروت، عالم الكتب، 1994..
70. عبد المجيد النجار، المهدى بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 1129/524 حياته وأراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.
71. عبدة محمد، *البداوة والحضارة*، نصوص من مقدمة ابن خلدون، ط 1، المنتدى الإسلامي، لندن، 1413هـ-1993م.
72. عثمان عثمان إسماعيل، *تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى*، ج 1، ط 1، سلسلة حضارة المغرب الإسلامي، 1992.
73. عثمان محمد عبد السنّار ، *المدينة الإسلامية*، عالم المعرفة، الكويت، 1988.
74. عربي إسماعيل، *المدن المغاربية*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
75. -----، دولة بنى حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980،
76. عزالدين عمر موسى، *الموحّدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم*، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
77. عزب خالد محمد مصطفى، *فقه العمارة الإسلامية*، ط 1، دار النشر للجامعات، مصر، 1997.

78. -----، **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية**، كتاب الأمة، رقم ،58.
- منشورات الفرقان، الدار البيضاء، 1997.
79. عزوق عبد الكريم ، **تطور المآذن في الجزائر**، ط2، الجزائر، شركة ابن باديس للكتاب 2011،
80. علي حجيج سعيدة مفتاح، **المسار التاريخي للتطور العمراني لمدينة الجزائر خلال الفترة 1830/1251ـ1999/1420**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر ، 2011
81. عمرو إسماعيل محمد، **تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون**، مصر ، دار الكتب المصرية، 2009م.
82. عميرة محمد دور زناته في الحركة المذهبية، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984
83. عميم محمد **إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا**، المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، الدار البيضاء ، 1988 .
84. عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج 3، ط2، القاهرة، مكتبة 1990.
85. عناني كمال إسماعيل، **الآثار الإسلامية في المغرب**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2016.
86. فكري أحمد، **المسجد الجامع القิروان** مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، 1355-1936.
87. -----،**مساجد القاهرة ومدارسها المدخل**، دار المعارف بمصر ، 1961.
88. فيسة محمد رابح ، **المنشآت المرابطية في مدينة ندوة دراسة تاريخية أثرية**، دار المسيل للنشر والتوزيع، الجزائر ، دت،.
89. كربوع مسعود، **النظام المالي في المغرب الإسلامي(2-15هـ/8-1355)** دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، دار أجيال الرقمي، الجزائر ، 2023.
90. فيلاي عبد العزيز ،**تلمسان في العهد الزيري** دراسة سياسية عمرانية اجتماعية وثقافية، الجزائر، ج 1، مؤقم للنشر والتوزيع ، 2002.
91. كنون عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج 2، ط2، مركز النّخب العلمية، الرياض، 1380هـ.

92. لعرج عبد العزيز وآخرون، مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
93. لوبيون غوستاف ، حضارة العرب، ترجمة، عادل زعير، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، القاهرة، 2012.
94. لي تورنو روجر، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة أمين الطيبى، ط3، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع، 1998.
95. ليوبيلدو تورييس بالباس، الفن المراقب والمُوحَّد، مصر، دار المعارف، 1981.
96. مارتين تيودور هوستما، توماس وولكر أرنولد، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج 27، إشراف، حسن حبشي، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1999.
97. مرسي محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط1، عالم الكتب، الرياض، 2005.
98. مارسي وليم جورج ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تر: مراد بلعيد، علي محمد بوريبة، فلة عبد مزيام ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011.
99. مارسييه جورج ، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق في العصور الوسطى، تر، محمود عبد الصمد هيكل، شبكة المعارف بالإسكندرية للنشر، مصر
100. مالكي قبيلة، تاريخ العمارة عبر العصور، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2012.
101. محمد حمزة إسماعيل حداد، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، ط1، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 1993
102. محمد سليمان الطيب، القبائل العربية، ج3، ط3، دار الفكر العربي، مصر، 2010
103. محمد عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مصر، مكتبة مدبولي، 2000
104. مختار عمر أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ط1، عالم الكتب، 2008
105. مقديش محمود، كتاب نزهة الأنوار في عجائب التواريخ والأخبار، ج1، تح علي الزاوي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988
106. مؤنس حسين، المساجد، ج1، الكويت، عالم المعرفة، 1981

107. ملي مبارك بن محمد، *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1986م، ج 1.
108. ناجي عبد الجبار، *دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية*، ط 2، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2009
109. نظيف عبد السلام أحمد، *دراسات في العمارة الإسلامية*، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1989،
110. نوار سامي محمد، *المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي دراسة أثرية معمارية*، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 1999
111. نويهض عادل، *معجم أعلام الجزائر-من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر*، ط 2، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1980.
112. هادية علي واخرون، *القاموس الجديد للطلاب*، ط 7، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991،
113. هاينريش فون مالتسان، *ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا*، ج 1، ط 1، الجزائر، دار الأمة للنشر والطباعة، 2008.
114. هراس المختار، *القبيلة والدورة العصبية_قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغاربي_، الفكر الاجتماعي الخلدوني المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية*، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.
115. هناء محمد عبد الحميد الفقي، *التطور التاريخي والسياسي للصناعات في المغرب والأندلس خلال عهد المرابطين والموحدين (1056-1066هـ / 448-448م)*، مصر، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2024.
116. يشي طارق، *أسوار وأبواب مدينة فاس خلال العصر الوسيط -مقارنة طبوئية تاريخية* دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2019.
- ب. الكتب باللغة الأجنبية:**

1. David Nicolle , The Great islamique conquêts ad 632-750.osprey .
Publiching.england.2009

2. Basset,R.nedrouma et les traras, Ernest leroux, Paris,1901
3. MarcaisG, lachaire de la grande mosquee de nedrouma, ALGER
4. Marcais.g,les arabes en berberie du xl au xlv siecles,constantine,paris,1913.
5. Basset.h.et terrasse.h ,sanctuaires et forteresses al mohadeshesperis,tom 12 ,librairie,paris,1927.
6. Belhamisi moulay, Histoir de mostaganem des origines a nos jour, 2 edition, s n e d ,Alger 1982.
7. Alfred GeorgesPaul.Martin, Quatre sièclesd'histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1894 à 1912,paris,LibraireFelixalcan, 1923.
8. Abderrahmane khelifa.honaine a travers ses monuments .colloque national sur.honaine passe et present.universited oran. février .1985.
9. Rene basset.nedromah et les traras.ernestleroux editour.paris.1901.

III. المقلات العلمية:

1. تبجيري فردوس محمد، فضيلة مصباح إسماعيل، العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية -العمارة الدينية -مجلة المنتدى الجامعي للدراسات الإنسانية والتطبيقية، طرابلس، 2022.
2. جيلالي عبد الرحمن ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا و تاريخيا، مجلة الأصالة، العدد 8،الجزائر ، 1972.
3. حديدي الحسين، دور الثانية الجغرافية والقبلية في تأجيج الصراع المرابطي الموحدى، دورية كان التاريخية، 2020.
4. حمادي عباس إبراهيم وعبد الحسن كاظم عناد، مملكة أودغست الإسلامية دراسة في أحوالها العامة (62-673هـ/1054-1054م)، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلد 23، العدد 1 ، 2012.
5. ابن حمو محمد ، التحصينات العسكرية لمدينة هنين، دراسات تاريخية، العدد 1، م. 08.2014.
6. خذير إبراهيم،"المنبر وتطوره في الإسلام"، مجلة المداد، العدد 4، المجلد 2 ، 2014.

7. رحاب محمد السيد محمد ، ملامح تخطيط العوائد الدينية المرينية بالمغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالمغرب الأوسط دراسة أثرية مقارنة، مجلة دراسات تراثية، الجزائر، العدد 1، 2011.
8. الرحبي عياد المبروك عمار، العمارة الإسلامية في الأندلس خلال العهد الموحدى، مجلة الجامعة المغاربية.
9. سالم السيد ع العزيز، "الفردوس المفقود، الفن الأندلسي"، مجلة الدارة، عدد 4، 1983.
10. سالم السيد عبد العزيز، "العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها"، ج 8، دراسات في التراث عالم الفكر، العدد 01، جوان 1988، وزارة الاعلام، الكويت.
11. سالم مصطفى، "جهود خلفاء الموحدين في تطوير مجالهم الدفافي"، مجلة الإحياء، مجلد 22 العدد 30، جانفي 2022.
12. بن ساعو محمد ، العمارة التجارية في المغرب الأوسط خلال العهد الزيري من خلال مصنفات التوازن والحسبة (07-13هـ/2015م)، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد 01، ج 11، (ص-ص 07-42). 2015.
13. غريبة خليف مصطفى ، "منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجا)"، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، العدد، 1 المجلد 8، 2015م.
14. قاسي هاشم العلوى ، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف القرن العاشر الميلادي، ج 2، المحمدية، مطبعة فضالة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، 1995.
15. قربة صالح، "أهمية تبلبلاة في تجارة المغرب وببلاد السودان خلال العصر الوسيط"، مجلة دراسات إنسانية، 2001.
16. موهوبي سميح، شلوق فتحة، الحركة العمرانية ودلائلها الحضارية بمدينة تلمسان خلال الفترة المرابطية(473-1048هـ/1079-1542م)، العصور الجديدة، العدد 03، 2023.
17. بن يحيى مصطفى، مدينة هنين في العهدين الموحدى والزيري، (541-962هـ/1146-1545م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، العدد 10، م 01، 2024م.
18. وارث أحمد، رباط تيط في دكالة تاريخ وعمارة، مجلة رواق، العدد 10، 2021.

19. هدوش صلاح الدين، وعطية عبد الكامل، قراءة تحليلية في تشيد الفخر من خلال كتاب "القسمة وأصول الأرضين" لأبي العباس أحمد الفسطائي، مجلة العلوم الإنسانية الاجتماعية، العدد 1، 2021.

20. الرسائل الجامعية:

1. تسكورت يمينة، النافورات وأحواضها بالمغرب الأوسط من القرن 11هـ إلى نهاية القرن 14هـ دراسة فنية أثرية، أطروحة دكتوراه، إشراف عائشة حنفي، جامعة الجزائر 2، 2018-2019، (غير منشورة).

2. حميدي مصطفى، العلماء والسجل العلمي في المغرب الأوسط ما بين القرنين 13-15هـ، أطروحة دكتوراه، إشراف، حميدي مليكة، جامعة لونيسى علي - البليدة -، 2009م. (غير منشورة) 2024

3. الجندي علي محمود عبد الطيف، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، إشراف، محمد عبد الوهاب فضل، جامعة الأزهر، قسم التاريخ والحضارات، 2004.

4. شلوق فتحية، مساهمة الموضع الأثري والمعالم التاريخية في تطوير السياحة بمنطقة الزيان دراسة أثرية تنموية، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر 02، 2014/2015.

5. عطابي سنا، الفقه وتنظيم المجال الحضري في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري/الثالث عشر -الخامس عشر الميلادي تلمسان نموذجا، أطروحة دكتوراه، إشراف علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2017-2018.

6. عبدالنبي حسينة، الحياة العمرانية في عهد الدولة المرابطية حلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير، إشراف لقبال موسى، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2002/2003.

7. عيسى بن ذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية اقتصادية 1056-1145هـ540هـ، رسالة دكتوراه، إشراف أحمد شريف، جامعة الجزائر، 2008/2009.

8. غرداين مغنية، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة (5-11-13هـ) أطروحة دكتوراه، إشراف لخضر عبلي، (2015-2016).
9. غومة سالم أبو القاسم، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة (1059-1269هـ) رسالة ماجستير، إشراف، د نجاح صلاح الدين القاسمي، جامعة الفاتح، 2004/2003.
10. محروم إسماعيل، العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي من القرن 7 حتى القرن 10هـ/13م حتى 16هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، إشراف، أ.د معروف بالحاج، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2017/2018م.
11. ولد عمر محمد، العمران الواقفي في الغرب الإسلامي بين القرنين (5-9هـ/11-15م) دراسة من خلال التوازن والشواهد الأثرية، أطروحة دكتوراه، إشراف البشير غانية، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2023.
12. صديقي عبد الجبار ، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات رسالة ماجستير، إشراف مكيوي محمد ، جامعة تلمسان، 2013/2014، ص ص 74-84.

النّدوات العلمية:

1. بوتشيش إبراهيم القادري، دور المصادر الدّفينـة في كشف الجوانب الحضارية المنسيـة للمدينة المـغربية - دراسة تطبيـقـية حول مدينة مراكـش من التـأسيـس حتـى أواخر عـصر المـوحـدين، المـديـنة في تـارـيخ المـغـرب العـربـي، الدـارـالـبيـضاـءـ، منـشـورـاتـ كلـيـةـ الآـدـابـ وـالـعـلـومـ الإـنسـانـيـةـ، أـشـغالـ النـدوـةـ المنـظـمـةـ منـ 24ـ 26ـ نـوـفـمـبرـ 1988ـ.

الفهرس:

1 . فهرس الآيات

2 . فهرس الأحاديث النبوية

3 . فهرس الشخصيات

4 . فهرس الأماكن

5 فهرس المحتويات

1. فهرس الآيات: هـ

الصفحة	السورة	الآية
2	سورة الأعراف الآية 43	"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا"
16	التوبه الآية 18	"وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: إِنَّمَا يَعْمَلُ مَسَاجِدَ اللَّهِ
116	الآية 200، سورة آل عمران	"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَأَيْطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"
159	سورة التحل الآية 5-6.	"وَالآنِعُمْ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءَةٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيْخُونَ وَحِينَ شَرَحُونَ .
128	سورة الإسراء 80	"وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ".

2. فهرس الأحاديث:

الصفحة	مصدر الحديث	الحديث
42	شرح الأربعين النووية	لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارٌ
75	سنن النسائي	"خَيْرٌ صُفُوفُ الرِّجَالِ أَوْلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا
75	سنن النسائي	وَخَيْرٌ صُفُوفُ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوْلُهَا"
75	صحيف البخاري	"جُعِلْتُ لِي الْأَرْضُ مَسِيْدًا وَطَهُورًا"
16	سنن الترمذى	"إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْحَرَبِ"

فهرس بأهم الأعلام:

- .25.....سعد بن أبي وقاص
- .35-34-25.....عمرو بن العاص
- 90-25.....عمر بن الخطاب
- .32-31.....كريسوبل
- .32.....كلود كاهن
- .33.....موريس لمبارد
- .58-56-55-35.....هشام بن عبد الملك
- .58.....بشر بن صفوان
- .42.....ابن عبد الحكم
- .297-43.....ابن أبي الريح
- .44-43.....الماوردي
- .68-49.....ابن حوقل
- .56.....حسان بن النعمان
- .158-57.....يزيد بن حاتم
- .183-57-56.....إبراهيم بن الأغلب
- .58-57.....زيادة الله
- .61.....ابن الصغير المالكي
- .186.....ابن مروان
- .78-62.....زيري بن مناد

- .66-65.....إدريس بن إدريس
- .298--241-119-117-113.....عبد الله بن ياسين
- .146-66-23.....الشريف الإدريسي
- .85-83-81-86.....عبد الواحد المراكشي
- .66.....طارق يشي
- .220-69.....أبو يعقوب يوسف
- .189-163-147-76.....ابن رشد الجذ
- 140-138-129-128-125-123-101-88-85-80-79-65.يوسف بن تاشفين
- .247-230-211-204-199-186-147-146-145-144-141
- 245-226-222-217-216-133-129-118-103-83-82-81.المهدي بن تومرت
- .291-279
- .101-100-84-83-82-81.....عبد المؤمن بن علي
- .88-87.....فاطمة الفهرية
- .87.....مريم الفهرية
- .108-106-85.....ابن أبي زرع
- .128-92.....عبد الحق بن معيشة
- .95.....ابن الحسن بن علي بن محمد
- .98-97.....عبد الرحمن الجيلاني
- .98.....ابن مرزوق الحفيـد

.227-220-216-118-109-104.....	يعقوب المنصور
.61.....	ابن أبي زيد مخلد بن كيداد.....
.117.....	إسماعيل الأُمغاري.....
.131-121-76.....	القاضي سحنون.....
.119.....	القابسي.....
.143.....	عبد الله بن يونس.....
.148.....	بختي من ولد يعلى.....
.235-223-170.....	الحاج يعيش المالقي.....
.223-170.....	أبو سعيد عثمان.....
المدن والأماكن	
.53-34-29-28-25.....	البصرة.....
.178-53-34-26-25.....	الكوفة.....
.26-25.....	الفسطاط.....
-99-98-97-96-95-94-93-92-86-70-58-65-58-50-47-36 .236-231-227-195-186-165-146-122-118-117-112	تلمسان.
-116-114-112-109-104-101-100-86-85-83-81-47-41-38 -162-160-151-149-148-143-144-143-141-140-132-126-122-120 -210-207-205-204-198-187-186-175-171-170-169-166-165-164 .233-226-225-224-214-213-212	مراكش.

-89-88-87-86-85-83-82-71-70-69-67-66-65-51-45-43-38	فاس.
-162-151-150-149-144-130-122-121-120-117-112-101-98-91	
-208-207-205-202-199-195-191-187-186-179-178-172-170-168	
.236-233-228-227-211	
40-39-31-26.....	قبة الصخرة
.220-48.....	باجة
48.....	شرشال
48.....	مليلة
.224-48.....	طنجة
48.....	وازيلي
48.....	سلة
.123-121-118-113-112-48.....	سيبة
.58-49-48.....	طربة
48.....	تيفاش
.61-48.....	مليانة
.48.....	نقاوس
48.....	طرابلس
.58.....	ميلة
.61.....	المدية
.213-185-166-165-82-70.....	إيجيليز

- .220-181187-82-91.....المرية
- .181-180-154-130-122-7-94-93-92-86.....ندرومة
- .116-115.....تيط
- .117-88-61-49.....بونة
- .236-219.....الستوس الأقصى
- .136.....تمبكتو
- .139.....تنمطيط
- .246-198-185-128.....أزوكي
- .246-185-140-139.....تبلالة
- .139.....تغاري
- .235-205-141-140-138-116.....أغمات
- .216-213-204-144.....بني تاودا
- .146.....بوماريا
- .146.....مستغانم
- ..145-60-48.....الشلف
- .224-218-167-166.....جبل طارق
- .185-167-145-60.....البطحاء
- .226-178-127-117-115-100.....تازة
- .226-228-216-127-118-115.....رباط الفتح

.246-226-212-211-98-94.....	تكرارت.....
.212.....	وليلة.....
.218-166.....	جبل الفتح.....
القبائل والدول:	
.220-198-197-144-143-84-51.....	مصممودة.....
.59.78.79.117.118.144.192.234.....	صنهاجة.....
.146-60.....	لواثة.....
.146-87-60.....	هوارة.....
.60.....	زواحة.....
.60.....	مطماطة.....
.118-84-82.....	هرغة.....
.202-84-82.....	نفيسة.....
.205-82.....	هزرجة.....
.89-91-96-70-63-54-50-40-38-20.....	مصر.....
.45-34-25-20.....	العراق
.219-166-165-146-127-119-51-47-40-30.....	المغرب الألدى.....
.224-115-112-100-96-90-78-58-51-49-47-46-36.....	المغرب الأوسط.....
-122-117-116-115-110-99-98-97-96-95-91-90-85-65.....	المرابطون.....
-157-149-146—144-143-.142-141-140-132-137-130-128-125	

-217-215-212-211-210-205-202-210-190-192-191-190-185-183

.246

-182-179-174-173-168-167-166-165-137-131-91-71-67...

-224-223-219-216-211-208-207-208-205-201-292-186-185-183

.246-245-240-239-238-237-229-228-227-226

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

5	الإهداء.....
6	شكر وعرفان
13--7.....	مقدمة.....
الفصل الأول: مدخل للعمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى بداية المرابطين.13-72	
14	تمهيد ..
15	أولاً: تعريف العمارة:.....
21	ثانياً: العمارة الإسلامية نشأتها وخصائصها.....
33	ثالثاً: عناصر العمارة الإسلامية وطرزها.....
41	رابعاً: العمران في الفقه الإسلامي وشروط المدائن.....
46	خامساً: الإرث العمراني بالمغرب الإسلامي قبل القرن الخامس الهجري:.....
72	خلاصة:.....
الفصل الثاني: العمارة الدينية في المغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين 138-74.....	
74	تمهيد ..
77	أولاً: الأوضاع العامة في عهد المرابطين والموحدين.....
86	ثانياً: بناء المساجد وترميمها في عهد المرابطين:
101.....	ثالثاً: بناء المساجد وترميمها عند الموحدين.....
114.....	-خامساً: الربط والروايا في عهد المرابطين والموحدين.....
120.....	سادساً: الكتاتيب.....

.....	سابعا: دراسة مقارنة.....
122.....	
137.....	خلاصة:.....
196-138.....	الفصل الثالث: العمارة المدنية في المغرب الإسلامي في عهدي
138.....	المرابطين والموحدين.....
139.....	تمهيد:
139.....	أولاً: العمارة المدنية في عهد المرابطين:.....
168.....	ثانياً: العمارة المدنية في عهد الموحدين.....
182.....	ثالثاً: المرافق العامة في المغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين ..
188.....	رابعا: دراسة مقارنة.....
197.....	خلاصة:.....
.....	الفصل الرابع: العمارة الحربية في المغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين
249-198.....	
199.....	تمهيد:
201.....	أولاً: العمارة الحربية في عهد المرابطين:.....
219.....	ثانياً: العمارة الحربية في عهد الموحدين:.....
234.....	ثالثاً: التأثيرات الأندلسية على العمارة المرابطية والموحدية:.....
239.....	رابعا: دراسة مقارنة.....
248.....	خلاصة:.....
249.....	خاتمة.....
255.....	الملاحق.....
278.....	قائمة المصادر والمراجع.....

الفهارس: 301-312
الملخص: 313-314

المُلْخَصُ:

تهتم هذه الدراسة بتسليط الضوء على جانب العمارة في بلاد المغرب الإسلامي خلال عهدي المرابطين والموحدين والوقوف على نقاط التوافق والاختلاف بين التمظين المعماريين حيث تجلّى التوافق في الاهتمام بالبناء والتشييد والاعتماد على الطراز الأندلسي المغربي فاً زهرت الحركة العمرانية بجوانبها المختلفة.

أما نقاط الاختلاف فقد تميزت العمارة الموحدية بالفخامة والدقة والتركيز الفني واتضح ذلك في بناء المساجد والمدارس في المقابل اتجهت عمارة المرابطين نحو البساطة مرتكزين على الجانب الوظيفي على جانب الزخرفة، وفي جانب العمارة المدنية تطورت بشكل ملحوظ نتيجة عدة اعتبارات مما أسهم في ظهور المدن الكبيرة والقصور والدور أما في الدولة المرابطية فظلّ الطابع المدني محدوداً يغلب عليه الجانب الوظيفي والعملي، أما في جانب العمارة العسكرية ركز الموحدون على بناء القلاع والأسوار والأبراج في المقابل بنى المرابطون أسواراً متينة حول المدن ونظموا تخطيطها بأسلوب دفاعي.

Abstract:

This study sheds light on architecture in the Islamic Maghreb during the Almoravid and Almohad eras, identifying points of agreement and disagreement between the two architectural styles. This agreement was evident in the emphasis on construction and building, and the reliance on the Andalusian-Moroccan style. This allowed the urban movement to flourish in its various aspects.

As for the points of difference, Almohad architecture was distinguished by luxury, precision and artistic focus, and this was evident in the construction of mosques and schools. In contrast, Almoravid architecture tended towards simplicity, focusing on the functional aspect rather than the decorative aspect. In the civil architecture aspect, it developed significantly as a result of several considerations, which contributed to the emergence of large cities, palaces and houses. In the Almoravid state, the civil character remained limited, dominated by the functional and practical aspects. As for military architecture, the Almohads focused on building castles, walls, and towers. In

contrast, the Almoravids built strong walls around the cities and organized their planning in a defensive manner.